هبة عبد العزيز

الطبعة الثانية

أوراق دامية

رواية

إبهار للتوزيع والنشر

ART_OF_BOOK

ART_OF_BOOK

@ART_OF_BOOK

أبهار للتوزيع والنشر

أَوراق دَامِيَة

د.هبة عبد العزيز

رواية

تصميم الغلاف: يوسف السيد

تنسيق داخلي: سمر ناصر

الطبعة الثانية 2024

إذن طباعة:MC-01-01-1752656

الترقيم الدولي(ISBN) : 978-9948-449-31-7

التصنيف العمري: 13+

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي
تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام التصنيف
العمري الصادر عن مجلس الإمارات للإعلام.

جميع الحقوق محفوظة ©

**أي اقتبـاس أو تقليـد أو إعادة طبـع أو نشـر دون موافقة كتابيــة، يُعرِّض صاحبه للمساءَلة القانونيـة.
أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمـادة الـواردة في الكتـاب فهي خاصـة بالكـاتب فقط لا غير.**

Info@ebharbook.com
www.Ebharbook.com

00971522282688

كالأميرة الفرعونية ذات الجمال السرمدي تتزين بحليها العتيقة من معابد وتماثيل، تحيط بجيدها الفتان، تسترخي على ضفاف "حابي العظيم" في انتظار المفتونين بجمالها ليتيهوا في جمال دهاليزها القديمة ويعبروا طرقاتها التي تعبق بغبار التاريخ السرمدي.

كم من زمن مر عليها وهي كما هي لا يتغير جمالها وغموضها الذي لم يسبر أغواره بشر إلى الآن.

"الأقصر" تلك المدينة العتيقة قبل أيام من عيد ميلاد المسيح كما عُرف تاريخه عند مسيحيي المشرق، كانت قبل الثورة الينايرية الشابة تعاني من ازدحام طُرقاتها وفنادقها ومعابدها من السواح القادمين من شتى أنحاء العالم، أما مؤخراً فقد يُرى عدد قليل من أتوبيسات الشركات السياحية يحملون عدداً قليلاً من السواح في تلك الزيارات المُجَدولة للأماكن الأثرية بها، أما هذه الأيام فالمدينة هادئة على غير العادة.

التواجد الأمني المُـكثف حول الكنائس والأديرة هذه الفترة؛ تحسباً لأي أعمال تخريبية كما حدث في الماضي، يصبح كالطوق القاسي حولها.

في هذا المبنى الواقع على ضفاف النيل الشرقية، وخلفه بَهو "معبد الكرنك" الشامخ بأعمدته التي لم يستطع الزمن أن يحنيَ قامتها أمام مروره المِهيب، جلست "ماري" في إحدى الشرفِ المطلة على الشارع الأمامي، ومن ورائها النيل يسري ماؤه كالفضة السائلة؛ كان المنظر كفيلاً بأن يمحو كُل هموم العالم في نفس مَن يراه؛ ولكن تلك الصخور الكامنة على قلبها لا يمكن زحزحتها بأي جمال كان، لقد قبعت هناك منذ ثمانين عاماً، هي عمرها الذي مر كثوانٍ أحياناً، ودهورٍ أحياناً أخرى، هي صغرى بنات توفيق باشا" صاحب هذا القصر المِهيب، ومحافظ الأقصر في فترة من فترات مصر العصيبة، والنائب في البرلمان حتى يوم وفاته وهو في ريعان شبابه، فقد توفي وهي ما زالت طفلة تتعثر خطواتها في طرقات القصر

وحجراته، كل ما تذكره عنه عند دخولها مكتبه واحتضانه والجلوس على ركبتيه واستقباله لها بكل العطف والحُنُو الذي لا يحصل عليه أي فرد من العائلة، حتى أخوها الولد الوحيد على ثلاث فتيات، ذكرى بعيدة لا تزال تؤرق خاطرها كانت في البداية مشاهد باهتة غير مترابطة، ولكن الغريب أنه كلما تقدم بها العمر، كانت تلك المشاهد تغدو أوضح، وأكثر ترابطاً كفيلم سينمائي يُعرض على شاشة ذاكرتها التي أصبحت بيضاء من أحداث عِدة لتستقبل تلك الذكرى فقط في عمرها هذا.

كانت البداية عندما كانت تلهو مع أختها التي تكبُرها بعامين "صوفي" ومعهما ابنتا عمهما في أثناء إقامة الحفل الليلي للاحتفال بمولد المسيح، أو "الكريسماس" كما يسميه الغرب داخل القصر كما هي العادة، حيث يتجمع جميع أفراد العائلة، والأصدقاء المقربون للسهر والاحتفال، في هذا اليوم مسموح لأطفال العائلة بالسهر لوقت أطول وفرصة للمربيات اختلاس النظر إلى الضيوف والتعليق بانبهار على ثياب النساء وتسريحات الشعر التي خرجت من أحدث دور الأزياء وقتها والمزاح على وسامة شباب العائلة.

تتذكر كيف بدؤوا لعبة الغميضة"، وانتشروا ليعثر كل منهم على مكان يختبئ فيه من ابنة عمهم ذات الثمانية أعوام، كانت بالخامسة ولكنها كانت معتادة على دخول غرفة مكتب أبيها، الأمر الذي كان محظوراً على إخوتها وكثير من خدم القصر الدخول إليها.

اختبأت داخل الخزانة الصغيرة تحت المكتبة الخشبية العتيقة، وانتظرت تراقب من خلال ثقوب الخزانة ذات النقوش الإسلامية، طال انتظارها، وكانت على وشك التحرك، ولكن سمعت أباها يدخل، وفي أعقابه ثلاثة من الرجال طوال القامة تحمل ملامحهم شرور العالم أجمع هكذا تراءى لها وقتها، سمعت حوارهم الهادئ مع أبيها، أو بالأحرى أحدهم هو مَن تكلم، ووقف الاثنان الآخران صامتين. للآن تتذكر تلك النبرة في صوت الرجل، تلك التي

تشبه فحيح الأفعى، ظلت صامتة في مخبئها حتى خرج الرجال وهمت بالنهوض، لكن صُدِمَت بتعابير وجه أبيها عندما جلس إلى مكتبه، لا يمكن أن تنسى تلك النظرة المليئة بالحزن والحيرة، ثم التصميم وبعدها وقف وتوجه إلى الشرفة، انتهزت هذه الفرصة وانسلت هاربةً من غرفة المكتب إلى الخارج، وهي تشعر بحزنٍ غير مبرر في قلبها لم تستطع طفولتها تفسيره، هرعت إلى مربيتها لتحضنها وتبكي.

بعدها بدقائق سمع كل مَن في القصر ذلك الصوت المدوي كقرع الطبل لمرة واحدة قوية، وتَبِعَهُ صوتُ صراخ والدتها الهيستيري، كان هذا اليوم هو آخر يوم ترى فيه وجه والدها، ومن يومها أصبحت حياة عائلتها كـ قطع البازل" الناقصة، لا تستطيع أن تجمعها، أو أن تكونَ بها صورة كاملة مع الألوان المُبهِرة التي تراها بها، تتذكر بعدها يوم ألبستهم المربيات الفساتين السوداء، والذهاب إلى الكنيسة لحضور جنازة والدها، والهمهمات المتخافتة بين الحضور.

بعدما كبرت قليلاً عرفت أن والدها انتحر لكثير من الضغوط التي كانت تواجهه ومروره بحالة نفسية سيئة، ولكن عندما كانت في سن المراهقة سمعت حواراً بين والدتها وعمها يدل على أن والدها قُتل ولم ينتحر كما أصرت الجهات الرسمية، وأن شخصاً كأبيها لم يكن ليقدم على تلك الخطوة، وأن إسراع الجهات الرسمية في غلق التحقيق كان مثيراً للشك.

تسمع سُعال أختها الكبرى من داخل المنزل، لقد أصبحت حالتها أسوأ من ذي قبل، ومع ذلك ترفض أن تترك عادة التدخين، حتى لو أودت بحياتها، فـ "صوفي" تكبرها بسنتين، ولكنها تعتبر عمود البيت بعد وفاة رب الأسرة، وهي الشخصية الأقوى، فكم من مواقف مرت عليهم وكانت صوفي نِدا لها.

إنها لا تنسى ذلك اليوم التي حملت فيه سلاح أبيهم، ووقفت في وجه مأمور القسم،

وعساكره لأنهم يريدون أخذ قطعة من أمام القصر لصنع رصيف مشاة.

أو تلك الليلة التي اقتحم فيها اللص القصر عبر النافذة الخلفية، متسللاً عبر المبنى المهدم غير المنتهي لقصر عمهم، ذلك الذي أُهمِلَ عبر السنين، وأصبح خرابةً تسكنها الحيوانات الضالة والخفافيش ونالهم من أذى هذا المبنى المهدم الكثير نهاية باللصوص.

يومها قامت بإيقاظها ، وشدها من سريرها عنوة، وهي تحمل ذلك السلاح الصغير الذي لا يفارق درج الطاولة التي بجانب فراشها، تحمله فقط للحماية، وليس لأنها سوف تستخدمه بأي شكل من الأشكال، كان ذلك منذ ست سنوات عندها دخلتا إحدى الغرف، وأقفلتا الباب عليهما ليحصل اللصوص على ما يريدون من القصر، فليس هناك أي مبالغ مالية تغري أي لص للقيام بهذه المغامرة الصعبة من تسلق الحوائط والاقتحام، ما عدا "ستمائة جنيه" تحتفظ بها أختها دائماً بجوار الفراش المصاريف الطعام، والمتطلبات اليومية البسيطة، أما التحف والأموال، فكلها مودعة في البنوك، ولا يحتفظون بها في المنزل، أما الأثاث القيم الأثري، فثقيل الوزن حتى أن أقوى اللصوص لا يستطيع وحده حمل كرسي منفرد منه، ولن يجد مَن يشتريه منه بقيمته التاريخية إلا خبير تحف، وهذا بعيد عن محيط لصوص المنازل العاديين.

لم تفعل الشرطة وقتها أي مجهود للوصول إليهم، حتى بعد ما أعلنوا عن القبض على اثنين من المشتبه بهم، وإثبات التهمة عليهم واسترجاع المسروقات التي لم تكن ذات قيمة مادية كبيرة، فقد كان هناك مبلغ "ألفَي جنيه " داخل أحد أدراج المكتب وقتها، واثنان من الشمعدانات الفضية، وعلبة سيجار خشبية مطعمة بالفضة كانت لأبيها، ومن بعده لأخيها، تلك العلبة هي ما حزننا على فقدانه أكثر من أي شيء لأنها ذات قيمة عاطفية كبيرة لديهما، فقد كان والدهما متعلقاً بهذه العلبة أيما تعلق وكان يردد أنها هدية من صديق غالٍ على

@ART_OF_BOOK

نفسه، ولكنها لم تُسترد إلى الآن.

وقتها كان هناك كثير من المشاكل والقضايا بينهم وبين أحد رجال الأعمال المتنفذين في البلد في هذا الوقت على أراضي كان يريد شراءها منهم، ولكنه قوبل بالرفض، وقام بالاستيلاء عليها بوضع اليد، لذلك اتهموه أمام الشرطة بأنه هو مَن أرسل المقتحمين لإرهابهم، وجعلهم يتركون القصر والبلاد والهرب إلى الخارج، ومن ثم الاستئثار بالأراضي، ولكن أتت خطته بعكس ما كان يريد، ولكن مرة أخرى لم تستطع الشرطة إثبات ذلك.

الآن أصبحت أختها بمرحلة من الضعف الصحي والنفسي، فهي لا تقوى على النهوض من فراشها أو حتى الذهاب إلى الحمام بمفردها، تعيش معهم خادمتهم "سعدية" وهي سيدة قروية ظلت في خدمتهم أكثر من عشرين عاماً بعدة سنوات إلى الآن، فقد أتت إلى القصر وهي في سِن الثامنة عشرة، فتاة لا تعرف من الدنيا إلا محيط قريتها الضيق، وأسرتها الصغيرة التي كانت كبرى بناتها، وكانت تعمل كي تعيلهم، هناك إحدى الشابات من معارفها تأتي يومين بالأسبوع لمساعدتها في تنظيف القصر،وغسل الثياب، كانت سعدية في البداية تقيم معهم بصفة دائمة، ولكن بعد أن تزوجت وأنجبت ثلاثة من الأبناء أصبحت تتركهم مساءً وتعود مع الصباح، لتحضر لهم الفطور وترعى شؤون المنزل البسيطة، فقد كانت كل الغرف مغلقة ما عدا غرفتها، وغرفة أختها في الطابق العلوي وغرفة المكتب وصالة الاستقبال في الطابق الأرضي، وكان طعامهم بسيطاً في الإفطار والغداء، أما العشاء فكان من اللبن الزبادي، وبعض الخبز؛ فلذلك كان الاكتفاء بسعدية كشخص واحد كافٍ لخدمتهم، وإحضار ما يحتاجونه من الخارج، أما الشخص الثاني الذي كان في نطاق دائرتهم الصغيرة، فكان الأستاذ "عزيز منير" المحامي، فهو من يدير شوؤنهم المالية، والأراضي الزراعية، وكل ما يتعلق بالأوراق الرسمية وغيرها، وفي الوقت نفسه يعتبر فرداً من العائلة، حيث إن أباه كان محامي

العائلة لوقت طويل إلى أن توفاه الله، ومن بعده أكمل "عزيز " كل المهام، هو الآن في الخامسة والخمسين من العمر، نحيف أصلع الرأس، يرتدي "نظارة" سميكة، ودائماً عدستاها داكنتا اللون كشخص يريد أن يحتفظ بنسبة ما من العزلة، حتى لو كان بين الناس، كحاجز يقف بينهم وبينه، أو لسبب بسيط آخر، وهو حساسيته للضوء الشديد.

كان على تواصل دائم معهما عبر الهاتف، أو يقوم بزيارتهما كل أسبوع للاطمئنان عليهما، أو لتوقيع أوراق البنوك، واستشارتهما فيما يتعلق بمستأجري الأراضي الزراعية، الشخص الأخير في تلك الدائرة الضيقة هو الدكتور "عماد السخاوي"، وهو دكتور العائلة منذ فترة لا تتذكرها، ولكنه ما زال محتفظاً بمظهره الشاب وأناقته وروحه المرحة حتى بعدما تجاوز الستين من العمر بعدة سنوات، وهو أرمل لديه ولد وبنت، وكلاهما هاجر إلى أمريكا منذ فترة، وتركه وحيداً إلا من عمله لساعات قليلة في عيادته الخاصة أو إدارة مستشفاه الخاص، وهو مَن كان يتابع حالة أختها الصحية، وكانِ قد أخبرها منذ شهر تقريباً عن ضرورة نقل أختها إلى المستشفى؛ لتقديم رعاية طبية أفضل لها هناك، وتوافر أجهزة التنفس المساعدة على الدوام، ولكن أختها أصرت على الرفض بكل عناد، وهكذا تمر الحياة بملل، والوقت يعبر ببطءٍ كرجل عجوز يعبر الشارع الخالي بكل هدوء وراحة، وبلا منغصات.

أتت سعدية لتخبرها بأن الأستاذ "منير المحامى" قد اتصل وأخبرها بأن واحداً من المؤجرين لإحدى مزارع الموز سوف يحضر صباحاً؛ لتجديد عقود الإيجار، وسوف يحضر معه ليوقعا على الأوراق قبل تسجيلها، وقالت لها : إنها ستذهب الآن إلى بيتها وقد تركت لها العشاء على الطاولة في الطابق العلوي، وأيضاً قد أخذت صينية العشاء لأختها صوفي، وأطعمتها قبل إعطائها الدواء.

@ART_OF_BOOK

قبل شهر من الآن.

ترددت كثيراً فيما هي مقبلة عليه، فهي لا تملك أي شيءٍ مؤكد في يدها، لا أوراق أو وثائق كل ما تملكه : كلمات وحكايات موروثة في العائلة عن ذلك السر الرهيب الذي كان يحفظه والدها الراحل عن عيون أعداء الوطن، وأنه كفيل بتغيير مجرى تاريخ أمة كاملة، ما هو ؟ وأين هو ؟ لا تدري ، وأن وفاة والدها كانت بسبب هذا السر قتلاً لا انتحاراً.

لماذا الآن أصبح هذا الشيء هو هاجسها مؤخراً، هي تشعر باقتراب النهاية، فالعمر مهما طال قصير، أما أختها فقد أعطاها الأطباء ما يقرب من الشهرين، ومع التدخين أياماً معدودة، فقد استحالت كالمومياء التي تتنفس من فرط تأثير مرضها اللعين.

لأول مرة اقتنعت بأن تدخل الصحافة في طيات حياتهم، وتاريخهم المغلق، قررت أن تفتح أبواب وغرف القصر لهم، وأن تحكي تاريخ العائلة، والقصص المخبأة في شقوق حوائط هذا القصر العتيق منذ زمن بعيد.

لقد بدأ الموضوع من عند طبيبها الخاص والصديق المقرب للعائلة في محاولة منه لجعل أيامهما الأخيرة أقل اكتئاباً، وأكثر انشغالاً لها ولأختها طبعاً، فلم يتبق من العائلة غيرهما، هو من اقترح يوماً أن تسمح للصحافة بأن تدخل قصرهم وتحكي قصته، وكم مر عليه من شخصيات مهمة على مر الأيام، في الواقع أعجبت بالفكرة، فهي وأختها آخر من تبقى من العائلة في مصر وآخر من يحمل تاريخ هذه العائلة، وعندما تفكر أن تاريخ أبيهما ونضاله سيُمحَى كأن لم يكن، ينتابها الحزن والضيق، صحيح أن هناك وصية بعدم هدم القصر وتحويله إلى متحف خاص بالدولة، لكن يجب أن يكون هناك توثيق لتاريخ القصر وما مر به ، وافقته على الفكرة أخيراً، فأخبرها بأن لديه صديقاً يعمل رئيس تحرير لإحدى المجلات

قد كلمه ليرسل من يجري معها تحقيقاً صحفياً حول القصر، ويصوره من الداخل، لا مانع لديها، ففي كل الأحوال لم يتبق كثيرٌ على إخلاء القصر، ودخول كل مَن هَب ودب له غير أشهر قليلة، أو أيام، من يدري؟

بعد أسبوع تلقت اتصالاً من "الدكتور عماد" يبلغها بوصول إحدى الصحفيات الشابات إلى الأقصر لمقابلتها هي وأختها إذا سمحت لها صحتها، وتصوير القصر من الداخل، وهي تريد أن تعرف الموعد المناسب للقدوم لمقابلتها.

اتفقت معه على ميعاد قدوم الفتاة، بحيث تكون أختها في قيلولتها، وسعدية بالخارج تتسوق طلبات الغداء لهم، فهي تريد أن تقابل تلك الصحفية قبل إجراء أي حوار، فهي لا تريد أن تضع قصة حياتهم في أيدٍ حمقاء، وفي اليوم الموعود أخبرت أختها بأن هناك صحفية سوف تأتي إلى القصر لعمل موضوع عن المقتنيات الأثرية لديهم وتاريخ أسرتهم، لم تهتم أختها بالموضوع،فقد مر عليها عشرات من الصحفيين الذين اهتموا فترة ما بتاريخ والدهم وقصره قديماً، ولكنهم رفضوا العديد من المقابلات والمغريات مفضلين أن يغلقوا الأبواب على أنفسهم، والعيش في عزلة هادئة، فلقد عاصروا الكثير والكثير من الأحداث التي مرت بها البلاد في "فترة الملكية" وبعدها الثورة وكل الحروب، وأخيراً الثورة الأخيرة التي ما زال ظلها يخيم على البلاد، أما الآن، فهي تفضل أن تستريح على أن تقابل أحداً منهم.

عند الموعد المحدد رن جرس الباب وفتحت "ماري" الباب، وجدت أمامها فتاة في منتصف العقد الثاني، ذات بشرة حنطية وشعر أسود متوسط الطول، وعينين خضراوين زيتونيتين، تغطيهما نظارة للنظر، ذات جمال طفولي مريح للنظر، رأت فيها شبهاً كبيراً بأختها الكبرى "جميلة" - رحمها الله - في شبابها، عرّفت الفتاة عن نفسها بأنها "ريم السيد" الصحفية بمجلة المجلة، وقد أرسلها الأستاذ "سعيد المنزلاوي" رئيس تحرير المجلة، وأنها

@ART_OF_BOOK

بمفردها سوف تقوم بالحوار والتصوير ؛ نزولاً على رغبتها بعدم تواجد العديد من الأفراد، نظرت "ماري" إلى الفتاة التي تجلس مرتبكة أمامها وسألتها بابتسامة:

ـ هل صار لك زمن في هذا العمل؟

ـ لا ، لقد بدأت العمل في آخر سنة من سنوات الدراسة في إحدى المجلات الصغيرة غير المعروفة، والآن أنا في "قسم التحقيقات" بالمجلة، وكان لي تحقيق عن قصور تاريخية مثل: "قصر البارون" و"قصر السكاكيني"، وقد نشرا بالمجلة، وحازا على إعجاب القراء.

ـ أرى أن لك اهتماماً بالأماكن التاريخية.

ـ لقد كان والدي أستاذاً جامعياً بكلية الآثار، وهو وراء عشقي لكل ما هو تاريخي.

ابتسمت ماري في هدوء.

ـ من الواضح أنك الشخص المناسب لهذه المهمة، هل تعلمين أنك نسخة ثانية من أختي الكبرى "جميلة" التي تُوُفيَت منذ سنتين، لقد كان جمالها مبهِراً بكل معنى الكلمة وقد كانت محط أنظار الكثير من الرجال في شبابها، ولكنها رفضت الزواج كما رفضته أنا وأختي الأخرى.

أطرقت الفتاة بخجل قائلة:

ـ إنه لسعادة لي أن أذكرك بأختك الراحلة، ولكن بالنسبة لي هذه ليست مهمة عمل بالضبط، فمقابلة شخصية من عائلة توفيق باشا، والتعرف على تاريخ القصر، وتصويره لا أصنفها كمهمة عمل بل هو من دواعي سروري، فمنذ فترة وأنا أسمع عن هذا القصر وعراقته وكم مر عليه من شخصيات أثرت في التاريخ، يقال : إنه عند عودة "سعد زغلول" من المنفى

@ART_OF_BOOK

قد رَسَت سفينته عند مَرسى هذا القصر، واستقبله والدكم بالاحتفالات

نظرت لها بهدوء، وأشارت بيدها إلى الأثاث.

_ أتدرين أن الكرسي الذي تجلسين عليه الآن جلس عليه الزعيم "سعد زغلول "؟

نظرت لها "ريم" في انبهار، وقالت بسعادة:

_ أرجو أن تحدثيني عن تاريخ القصر، وما يحتويه من تحف، وهل صحيح أن هناك ذاك السرداب تحت القصر؟ وأنه مليء بالآثار الفرعونية القديمة ومتصل بمعبد الكرنك.

كانت السيدة تجلس أمامها مبتسمة في هدوء، سعيدة بكل هذا الحماس الشاب.

وامتد الحديث عن القصر وحفلاته والأنتيكات الموجودة به، وبعد أن أخذت "ريم " كل الصور اللازمة، بعد ما يقرب من الساعة استأذنت "ماري" لتتفقد أختها المريضة، وعند عودتها جلست أمام "ريم" تحدق بها مفكرة للحظة ، وسألتها فجأة:

_ هل تحبين القراءة في التاريخ يا "ريم"؟

نظرت "ريم" مبتسمة، سارحة إلى البعيد كمن يتذكر أياماً سعيدة.

_ لقد كان والدي مهتماً بأن يجعلني شغوفة بالتاريخ وعلم الآثار، حتى عندما اخترت الصحافة كمهنة، كانت تحقيقاتي المفضلة عن التاريخ والآثار القديمة.

نظرت لها "ماري" بهدوء مَن يفكر أن يُقدِمَ على شيءٍ ذي أهمية، ولمست العقد الرقيق الذي يزين جيدها، ذلك الذي في نهايته صليب ذهبي رقيق كمَن يتبارك بلمسه، وقالت:

_ لا أدري كيف لي أن أطلب من فتاة شابة مثلك أقابلها لأول مرة ما سأطلبه الآن؟ ولكني

@ART_OF_BOOK

كالعادة أعتمد على حدسي وانطباعي الأول عن البشر الذي قلما يخطئ، لم يعد أمامي الكثير من الوقت، ولم يعد هناك من أقارب لنا، لقد أوصي أبي بعدم بيع القصر طوال فترة حياتنا نحن وأبنائنا، وبما أنني أنا وأختي لم نتزوج ولم يكن لنا أولاد، فسيؤول القصر، وكل ما نملك إلى الكنيسة هذه هي وصيتنا، والقصر يبقى كما هو ويحول إلى متحف باسم أبي، ولكن لا أستطيع أن أترك الإرث التاريخي لأبي يختفي، كما سنختفي نحن من الوجود، أريد أن أترك أثراً له، وأن تتذكره الأجيال القادمة، ويعرفون عن شخصيته، وجهاده في فترة حياته القصيرة من أجل وطنه، أريد أن أترك مذكرات أبي للعالم، ولذلك عندما رأيتك عرفت أنك أفضل من يتولى تلك المهمة.

وأردفت قائلة:

ـ "ريم"، أريدك أن تنشري مذكرات أبي في كتاب، وستكون تلك المهمة التي أكلفك بها، وطبعاً العائد المادي سيكون مجزياً.

جلست الفتاة تنظر لها في حيرة لا تعرف ماذا تقول، فما الذي تتحدث عنه تلك السيدة الوقور ؟ عن أي مذكرات تتحدث وما دخلها بتلك القصة؟ أمن الممكن أن يكون كِبَرُ السن والشيخوخة وراء تلك الأوهام والأشياء التي تتفوه بها تلك المرأة؟ لا يبدو عليها ذلك، فهي في قمة التركيز، ويبدو عليها الذكاء وليس الخَرَف، فلتجلس وتستمع إليها، فلديها من الوقت الكثير، فهي تتكلم عن مذكرات لأبيها، وهذا يعني كثيراً من التاريخ المِخفِي، وهي تعشق هذه الأشياء.

قامت ماري من كرسيها على مهلٍ واتجهت إلى لوحة تمثل سفينة تصارع العاصفة وسط أمواج البحر العاتية فأزاحتها، فظهرت من ورائها خزينة حديدية قديمة، أدارت ماري القرص الرقمي وحركت المقبض الحديدي، وسرعان ما انفتح باب الخزينة كاشفاً عن أوراق عدة

@ART_OF_BOOK

وملفات مهترئة بفعل الزمن، أخذت ماري عدة دفاتر سميكة غلافها قديم بُني اللون من الجلد الفاخر، ومنقوش عليها الأحرف الأولى من اسم أبيها باللون الذهبي، بها مذكرات والدها الراحل من الخزينة المخفية ببراعة خلف اللوحة، وجلست أمام الفتاة.

قالت وهي تمسك المذكرات بحُنُو بين يديها كمَن يمسك طفلاً وليداً :

_ اسمعيني جيداً يا "ريم" هذا الكلام ليس للنشر، بل سيبقى سِراً بيني وبينك، حتى أقرر متى يظهر للعلن، هذه مذكرات والدي كتب فيها عن مواقفَ جرت له في حياته وأحداثٍ، وشخصياتٍ مرت عليه إلى اليوم الذي فقدناه به، كل الدفاتر زاخرة بالأحداث القيمة التي تملأ كتباً؛ لأنها تغطي الحياة السياسية والاجتماعية لمصر منذ بداية شباب أبي ودخوله معترك السياسة حتى وفاته، لكن ستلاحظين أن الدفتر الأخير هو المحير بينهم عندما أقرأه أشعر بأن هناك اختلافاً بين السطور، هو بالفعل أسلوب أبي وخط يده، ولكن هناك به شيء مختلف وغامض، فكل مَن عرف أبي كان يصفه بأنه جَسور لا يهاب شيئاً، لكن عند كتابة تلك السطور - وهي تعتبر من آخر ما كتبه - كان هناك مزيج من المشاعر المبهمة الخوف، والهَم لا أدري.

_ أبي كان يحمل بين طيات صدره سِرّاً كبيراً لا يعرفه أحد، وإن كنت أعلم جيداً أنه السبب الرئيسي في إنهاء حياته، ستجدين أنه يذكر فيها أنه يحفظ سر سوف يغير مجرى أحداثٍ جسام ستقع، أو وقعت لا أدري في ذلك الوقت، وأنه يخشى على حياته وحياة عائلته، كل ما أعرفه كان من كلام أمي مع عمي بعد فترة كبيرة من وفاة أبي، إن مَن ورط أبي في هذا الأمر شخصية سياسية معروفة وإن هذه الشخصية استأمنته على وثائق مهمة، جهات كثيرة كان يهمها أن تحصل عليها.

ابتلعت ريقها، وقالت:

_ والدي قام بإخفائها في مكان سرّي داخل القصر أو خارجه لا ندري أين لأنه أخفى عنا الموضوع تماماً، حفاظاً على سلامتنا، فقط مَن كان على اطلاع بذلك هما أمي وأخي الراحل، هما فقط من كان يعلم عن الموضوع، ولكن ليس المكان، أبي لم يخبر أحداً حفاظاً على السر من ناحية، ومن ناحية أخرى ليجنبهم أي خطرٍ يهددهم.

ترقرقت عيناها بالدموع، وهي تتذكر أخاها لكن تماسكت لتكمل مؤكدة:

_ والدي حافظ على سرية المخبأ، وطبيعة الوثائق حتى عن والدتي، وحسب كلامه في المذكرات كان لحمايتنا من أي خطر من الممكن أن يمسنا، وكل ما تركه يخص هذا الموضوع هو تلك المذكرات فقط، والتي ذكر فيها موضوع الوثائق، وكيف وصلت إليه، وتلميحات غامضة! بصراحة، لا أفقه منها شيئاً، فأنا لم أكن أعلم عن الموضوع شيئاً إلا منذ سنواتٍ قريبة، ولكِ أن تعلمي أننا لم نكن نتحدث في هذا الموضوع فيما بيننا، كان هذا هو العبء المِخفِي لتلك العائلة.

مصدر الفخر ومصدر الخوف، على ماذا؟ أو من ماذا؟ لا ندري، أما الآن والعمر قد قارب على نهايته، لا أريد أن يُدفنَ هذا السر معي في القبر، ولكني حتى الآن لا أدري ما هو ؟

نظرت لها بابتسامة حزينة قائلة:

_ هل قابلتِ موضوعاً بتلك الغرابة من قبل ؟!

نظرت لها "ريم" باستغراب، وهي لا تدري ما تقول، هل تتحمل مسؤولية الاحتفاظ بتلك المذكرات، والإشراف على تنقيحها، ونشرها؟ وهل تعطى هذا الوعد لتلك السيدة؟ أم ترفض، وتترك هذا المكان بالتحقيق المكرر وبعض الصور ؟ ولكن تلك النظرة المستعطفة التي رأتها في وجه السيدة جعلتها تومئ برأسها موافقة، مع وعد بالحفاظ على السرية حتى الانتهاء من

كل شيء.

انصرفت "ريم" من القصر، وهي تحمل في حقيبتها خمسة من الدفاتر القديمة المغلفة بالجلد الفاخر، وفي رأسها العديد من التساؤلات: لماذا قبلت؟! هل لنظرة الرجاء، والثقة بها التي كانت في عيني تلك المرأة، ما جعلها تأخذ هذا القرار ؟ أم هو الجشع الإنساني الطبيعي والتطلع إلى الشهرة بمجرد أن يوضعَ اسمُها على المذكرات المنشورة ؟

لا تدري ولكن ما تعرفه جيداً أن كلام السيدة قد زرع بداخلها خوفاً يطغى على كل تلك الأحاسيس ! ولكنها نحت كل هذا جانباً، وقررت الموافقة.

تفحصت هاتفها، فوجدت اتصالين من أمها وعدة رسائل منها ورسالة من رئيس التحرير، هي تعي جيداً مقدار قلق أمها عليها، فمنذ وفاة والدهم "دكتور عبد الحميد السيد" الأستاذ بكلية الآثار، وأمها ينتابها القلق عليها هي وأختها الصغرى، كما لو كانتا عادتا طفلتين، ولكن في المقابل، فإن "ريم" تعتبر نفسها الآن هي رجل البيت، والمسؤولة عن أمها وأختها الصغرى "رنا"، حتى تنتهي من دراستها، فهي ما زالت في الثانوية العامة، والمشوار أمامهن طويل، ولكن لا بُدّ لها من أن تتحمل هذه المسؤولية، كما لو أن والدها ما زال على قيد الحياة، أما الآن، فيجب أن تسرع حتى تلحق بالقطار العائد إلى القاهرة على وجه السرعة.

وصلت "ريم" في صباح اليوم التالي إلى القاهرة، واتجهت من محطة القطار إلى المجلة على الفور، حتى تسلمَهم ما كتبت، وتطمئن على الوضع هناك وتقابل رئيس التحرير، فقد ترك لها رسالة صارمة أنها لا بُدّ أن تقابله فور وصولها، هرعت إلى مكتبها فوجدت زميلتها على المكتب المجاور "حنان" تبتسم لها بمرح،

وهي تقول:

@ART_OF_BOOK

لِمَ الاستعجال؟ على مهلك يا عزيزتي، فالدنيا لن تطير لو تأخرتِ خمس دقائق على رئيس التحرير !

ردت عليها، وهي تزفر بضيق:

ـ هل تعلمين كم من المرات قام بالإتصال عليّ وأنا بالرحلة، مؤكداً علي أن أتوجه إلى مكتبه فور وصولي ؟!

قطبت حنان بين حاجبيها، وقالت باستغراب:

ـ غريبة، هل هذا أول تحقيق تعملين عليه؟ وما تلك الأهمية لقصر أحد الساسة القدامي وأبنائه ؟

مطت ريم شفتيها لتعلن عن استغرابها من الوضع :

ـ لا أدري، لا تعطليني الآن، لأذهب وأرى.

طرقت "ريم" باب حجرة رئيس التحرير "سعيد المنزلاوي" وهو أستاذ الإعلام بكلية الآداب سابقاً ولكنه تفرغ لرئاسة تحرير المجلة بعد تلقيه دعماً كبيراً لها، لا يعرف مصدره أحد ولكن منذ بداية الثورة، وهو يواجه صعوبات في إدارة المجلة.

هو كهل في العقد السادس، لديه بنية قوية بالنسبة لِمن هم في سِنه، يخالط شعره المسَرَّح بعناية الشيب، ولكن ما يميزه هو حرصه على أناقته الشديدة مهما كانت الظروف، والسيجار الفاخر المرافق له في كل الأوقات، يعتبر من الشخصيات الزئبقية القادرة على التلون في جميع الأوقات، ومسايرة الأحداث التي تمر عليه، كما يتميز بالدهاء الشديد، استقبلها بحفاوة شديدة غريبة عليه، فهو دائماً شخص عملي بارد مع من يعمل تحت إمرته مما أثار

استغرابها، بادرها بلهفة تظهر في عينيه من خلف نظارته الطبية، عجز عن إخفائها:

_ ها، علامَ حصلتِ يا "ريم"؟

ردت بهدوء :

_ ذهبت إلى القصر، وقابلت الآنسة "ماري "كما أمرت، وكانت في غاية الحفاوة والترحيب، فقد روت لي عن تاريخ القصر، ومَن زاره من الزعماء والسياسيين، كما رَوَت لي بعضاً من تاريخ والدها السياسي والاجتماعي، والتقطتُ بعض الصور للقصر من الخارج والداخل، وسأكتب الموضوع وسأسلمه إلى قسم التحقيقات للمراجعة خلال ساعات، ولكن قبلاً لابُد من أن أذهب إلى المنزل لأبدَل ثيابي، وأرتاح بضع ساعات، وأعود إلى الجريدة.

رد، وهو يتفرس فيها كمَن ينتظر أن تفضي بشيءٍ آخر :

هل هذا فقط كل ما حصلتِ عليه؟

"سأل بخيبة".

ردت باستغراب، وهي تنظر إليه:

_ أليس هذا ما أرسلتني للقيام به؟ كالعادة في تحقيقاتنا.

بعض الصور، وسرد الذكريات مع إضافة المعلومات العامة عن الأماكن، أم أن هناك شيء آخر كنت تتوقعه؟!

رد بارتباك، وهو يبتسم ابتسامة مقتضبة

_ لا ، أبداً، ولكن أردت أن أتأكد أنك غطيتِ الموضوع من جميع جوانبه، والآن يمكنك

@ART_OF_BOOK

الانصراف.

انصرفت "ريم"، وعادت إلى مكتبها لتحمل حقيبتها المتخمة بالمذكرات الخمس، ولكنها وجدت "حنان" تلحق بها، وتستفسر عن تلك الكتب القديمة "كما أسمتها":

ـ ما هذا يا "ريم"؟! هل كان لديك وقت لشراء الكتب القديمة؟

أم أخذتها من القصر ؟ إن تغليفها قيم للغاية، ويبدو عليها القِدَم !

حاولت "ريم" أن تتهرب من الإجابة عن ماهية تلك المجلدات فقالت:

ـ أجل وجدت بعض الوقت للحصول على بعض الكتب القيمة من أحد المحال هناك.

وأسرعت تركض إلى الخارج تتبعها نظرات الاستغراب، وعدم التصديق من زميلتها التي تُصِر على أن تدس أنفها في كل ما يخص مَن حولها، فقد كانت تسمى بإذاعة المجلة نظراً لنقلها كل حدث يحدث بين المكاتب، وأروقة المجلة.

ما إن دخلت "ريم" إلى المنزل حتى قابلتها أمها بالأحضان والقبلات كمَن غاب عنها سنة، فقالت أختها "رنا" ضاحكة:

ـ إنها فقط ثلاثة أيام يا أمي ما بالك تحتضنينها كمن غابت عنك دهراً؟!

ردت "ريم" ضاحكة:

ـ إنكِ تغارين، أليس كذلك؟

أجابت "رنا" :

ـ بالطبع لا، ولكن أريني ماذا أحضرتِ لنا من الأقصر ؟ أنا لا أرى غير حقيبة ثيابك التي

ذهبت بها! و ..... ما هذا؟ هل اشتريتِ أيضاً كتباً من هناك؟!

قالت بامتعاض :

_ طبعاً لا يا ذكية، ولكن تلك مذكرات أحد أهم الساسة في مصر أيام "ثورة 19" أتعرفينها ؟!

ضحكت رنا، وردت بمرح:

_ فقط من كتب التاريخ الدراسية، ولكن ما قصة تلك المذكرات؟ وكيف حصلتِ عليها؟

اجلسي صامتة لدقيقة، وسوف أقص عليكما كل القصة لتنصحاني ماذا أفعل فيما طلبته مني صاحبة القصر.

قصت "ريم " كل ما حدث على أمها وأختها، وكيف طلبت منها السيدة الاحتفاظ بالمذكرات سِراً، حتى تخبرها هي بموعد ظهورها للعلن، وهذا السر المخفي الذي تحتويه تلك المذكرات ولم يعثر عليه أحد حتى الآن، وهو شيء خطير على المستوى الدولي: واعتقاد السيدة بأن والدها قُتل لهذا السبب، ولم ينتحر كما أُشيع.

انتهت "ريم" من كلامها، ونظرت إلى أمها وأختها، وجدتهما ينظران إليها، وقد اتسعت أعينهما من الدهشة، وكانتا صامتتين،فقالت:

_ ما الرأي الآن؟

قالت أمها بتنهيدة:

_ تسألين ما الرأي بعد أن قبلتِ وانتهى الأمر ؟! لماذا لم تفكري مَلياً قبل أن تقبلى.

@ART_OF_BOOK

ولكن رنا أختها كان لها رأي آخر.

ـ لماذا يا أمي ؟ فهي فرصة جيدة لـ"ريم" للشهرة والمال، ومَن يدري ألا تكون تلك المذكرات تقود إلى كنز ما؟

وقالت بحماس :

ـ أين تلك المجلدات يا "ريم"؟ دعيني أراها .

ـ إنها بحقيبتي، وهي خمسة دفاتر مجلدة بالجِلد البُني، إنها التي كنت تعتقدين أنها كتب قديمة.

وأردفت بضيقٍ:

ـ للآن لم أخبر رئيس التحرير عنهم، ولا أدري هل هذا صواب أم خطأ.

قالت الأم بهدوء :

ـ لا بُدّ من أن تلتزمي الوعد الذي قطعتِهِ على نفسك مع السيدة، ولا تخبري أحداً.

ـ والآن، لقد حان وقت الغداء، فلنأكل ولترتاحي من عناء السفر، وسوف نرى ما سيؤول إليه الأمر.

عندما حل المساء كانت "ريم" قد أتمت كتابة المقال، وانتقت أفضل الصور لوضعها معه، واستعدت للنوم، وذلك للذهاب صباحاً إلى المجلة؛ لتسليمه.

في الصباح عندما دخلت مبنى المجلة استقبلها عم صالح الساعي وعلى وجهه أمارات القلق كمن سيخبرها عن اندلاع الحرب العالمية الثالثة.

أين أنتِ يا آنسة "ريم ؟!.. الأستاذ سعيد يسأل عنك منذ الصباح الباكر، ووجهه لا ينبئ بالخير !

قالت "ريم" وهي تنظر إليه :

_ خير يا عم صالح ! طريقتك توحي كأن مصيبة وقعت بالمجلة،حسناً، سأذهب إليه على الفور.

طرقت "ريم" باب غرفة رئيس التحرير ودخلت بعد أن أجابها بحزم بأن تدخل، دخلت إلى الغرفة فوجدت رئيس التحرير جالساً يدخن السيجار، وعلى وجهه علامات الغضب.

بادرته قائلة:

_ صباح الخير يا ريس، أخبروني بأنك تريد أن تراني، عساه خيراً.

رد بغضبٍ:

_ لقد سألتك أمس عما إذا كنتِ حصلت على أي شيءٍ خاص من السيدة صاحبة القصر، ولكنك أنكرتِ، هل لي أن أعرف لماذا أنكرتِ أنها أعطتكِ بعض الدفاتر القديمة؟

ترددت "ريم"، وهي تنظر له بغير تصديق، وردت متسائلة:

_ ولكن كيف عرفت بأمر الدفاتر يا سيدي ؟!

رد غاضباً:

_ ليس من شأنك كيف عرفت! ولكن أجيبي عن سؤالي، لماذا أخفيتِ عني أمرهم عندما سألتك ؟!

@ART_OF_BOOK

سيدي، لقد سألتني عن التحقيق، ولم أخفِ عنكَ شيئاً بخصوصه، أما الدفاتر فقد كانت رغبة صاحبة الشأن، أن أحتفظ بها سِراً إلى أن تخبرني ماذا أفعل بها.

أطرق رئيس التحرير مفكّراً، ويبدو أن غضبه قد هدأ، وقال بابتسامة مقتضبة وهو ينظر في عينيها، ويقول بطريقة ثعبانية ناعمة :

ـ اعذريني على ثورتي عليكِ، ولكنك تعلمين مدى حرصي على العمل، وأنا كرئيس تحرير يجب أن أكون على علم بما يجري في مجلتي، أنا أحترم فيكِ كلمتك التي أعطيتها للسيدة، ويجب أن أحترمها أنا الآخر، ولكن لي طلب عندك، أريد أن أطلع على تلك المذكرات، وأعدك أنها ستظل سِرًّا حتى تقررَ السيدة "ماري" أن تعرضها على الملأ، ولكن الفضول الصحفي فقط هو ما يدفعني لإلقاء نظرة عليها لا أكثر.

نظرت إليه "ريم" في حيرة وقلبها يدق بخوفٍ لا تدري مصدره ، قالت:

ـ سوف أحضرها في الغد معي عند قدومي إلى المجلة.

رد سعيد بحِدة:

ـ بل الآن يا "ريم" أمامك ساعة لتذهبي إلى بيتكِ، وتحضريها !

ـ ولكن!

ـ ليس هناك لكن، فلتذهبي الآن وأمامك ساعة كما قلت من قبل، من الأفضل أن أراها مبكّراً؛ لتسترجعيها مبكّراً.

وابتسم ابتسامة باردة لم تصل لعينيه .. جعلت تلك الابتسامة القشعريرة تنتاب "ريم":

ـ على الفور يا أستاذ سعيد.

خرجت "ريم" مسرعة، ومتعجبة من كل هذه العاصفة، أمن الممكن أنه غاضب لأنه كان يريد أن يستأثر بفضل كتابة ونشر تلك المذكرات ؟! ووضع اسمه عليها.

قابلتها حنان، وهي في أشد حالات التوتر :

ـ " ريم"، كنت أريد أن أحذرك واتصلت عليكِ أكثر من مرة، ولكن تليفونك مغلق.

ـ نعم كنت أريد أن أنام بعد الرحلة الطويلة أمس فأغلقته، لماذا ؟!

ـ بعد أن ذهبتِ أمس دخلت لرئيس التحرير لتسليم المقالات وسألني عنك وما إذا كنتِ أخبرتِنِي عن رحلتك، أو أن هناك ما ضايقك من الرحلة؛ لأنه حسب رأيه رأى أنك لستِ على طبيعتك.

فأخبرته بأنك كنتِ سعيدة للغاية بالرحلة؛ حتى أنك قمتِ بالتسوق، واشتريتِ بعض الكتب القديمة من هناك، وإنك لا تتركين فرصة أينما كنت للبحث عن الكتب، وشرائها.

عندها انقلب وجهه، وسألني عن شكلهم، وعددهم، وكان غاضباً للغاية، ولا أدري لِمَ.

نظرت لها "ريم" في هدوء، وهي تفكر، ثم قالت:

ـ لا عليكِ يا حنان، هو غضب فقط؛ لأني لم أذكرهم له، مع أنه شيء تافه.

ولم ترد وقتها أن تخوض بالموضوع أكثر لأنها تعلم جيداً أن حنان هي إذاعة المجلة وأنها مصدر انتشار الأخبار بين المكاتب والأقسام، يليها "عم صالح" في هذا المجال!

وفكرت داخلها: هل هو فعلاً شيء تافه، أم أن الموضوع أكبر من سلطة رئيس تحرير، وغرور شخصي من عدم معرفة كل التفاصيل؟ لقد أرسلها وفي ذهنه شيء ما، هنالك شيء

غامض لا تستطيع أن تحذره.

عندها عرفت أنه لا بد لها من أن تُجري مكالمة على وجه السرعة.

بعد نصف ساعة كانت "ريم" في الطريق إلى منزلها؛ لتحضر المذكرات، وهي تدعو أن تكون "رنا" فهمت ما تريده، وفعلت ما قالته لها .

بعد عشرين دقيقة أخرى كانت داخل المنزل، نادت على "رنا"، لكنها لم تجدها عندها قررت أن تتصل بها، ولكنها وجدت الباب يُفتح بالمفتاح، ودخلت "رنا" لاهثة ضاحكة واندفعت قائلة :

_ ماذا كنتِ لتفعلي لو لم يكن لديكِ أخت مثلي ؟

قالت لها ريم بنفاد صبر :

_ دعينا من هذا الآن قولي لي إنك أتممتِ ما طلبته منكِ...

_ ومنذ متى لا أستطيع إنهاء أية مهمة تُطلب مني؟

أعطتها "رنا" الدفاتر الخمسة، وقالت لها :

_ لقد قمت بتصويرها جميعاً .

_ جيد، الآن سوف أذهب على وجه السرعة لأن الأستاذ سعيد ينتظرني وأنا لا أريد أن يشك أني قد قمت بتصويرها، لِنَرى ما قد يحدث.

وأخذت المذكرات في عجلة واتجهت إلى الباب، استوقفتها "رنا"، وقالت لها :

_ لكن "ريم"، هناك ما أريد أن أقوله لك، انتظري.

@ART_OF_BOOK

ردت ريم، وهي تخرج من الباب باستعجال:

ـ عندما أعود يا رنا عندما أعود سنتكلم.

ـ ولكن.

ولكن كانت "ريم" قد اختفت من أمامها، وأغلقت الباب، ماذا ستفعل الآن؟ كانت تريد أن تخبرها عما وجدت، ولكن ستعود في المساء عندها يكون هناك مزيد من الوقت، لا بُد من أن تخبئَ ما وجدته جّيداً، فربما كان مهماً لدرجة أن صاحب المذكرات أخفاها بتلك الطريقة.

ذهبت "ريم" على الفور إلى رئيس التحرير، ووضعت الدفاتر الخمسة أمامه على المكتب بحِدة قائلة، وصوتها يفضح عصبيتها :

ـ جميع الدفاتر يا أستاذ سعيد كما أمرت.

نظر لها "سعيد المنزلاوي بابتسامة ظفر، ونظر إلى المذكرات وقال لها :

ـ شكراً يا "ريم"، وكما وعدتك لن يُنشر أي شيء إلى أن تسمح لنا السيدة.

فكرت "ريم" في نفسها قائلة : لنا ... لنا ؟ لماذا يجمع ؟ هل اعتبر نفسه طرفاً بالموضوع الآن؟

وانصرفت، وهي تتمتم له بصوتٍ خفيض:

ـ أرجو هذا.

تابعها "سعيد المنزلاوي" وهي تنصرف غاضبة بابتسامة غامضة قبل أن يمسك بتليفونه.

ويجري مكالمة لا يدري أنها ستكون بداية النهاية، نهايته هو على وجه التحديد!

4 نوفمبر 1922 وادي الملوك

استيقظ "هوارد كارتر" صباح هذا اليوم، وهو مثقل بالهموم فحفرياته في وادي الملوك على وشك أن تنتهي بعد ثلاث سنوات قضاها بين الشمس، والرمال لم تسفر فيها "صحراء وادي الملوك" عن أي بادرة أمل في إيجاد أية مقبرة، أو كشف أثري مهما كان ضئيلاً إلا من بعض الجِرَار الفخارية، أو بعض الأواني التي ليست ذات أهمية.

في بداية العام قابل "كارتر" ممول الحفريات "اللورد كارنافون" بانجلترا، وقد أعرب عن خيبة أمله من النتائج التي لم تسفر عن أي اكتشاف ذي قيمة، ولقد أعرب عن رغبته في إيقاف تمويله لكارتر لولا محاولات الأخير في إقناعه بإعطائه فرصة أخيرة لمدة ستة أشهر أخرى في التنقيب، ومن بعدها له الحق في إيقاف التمويل، وبالطبع المؤثر الأكبر كان تدخل ابنته إيفلين في إقناعه.

"إيفلين" العزيزة التي سلبت لُبَّهُ لحظة أن رآها، وما لمسه من اهتمامها به وبعمله فهي ليست كالفتيات في مثل عمرها.

لم يكن من أصحاب الشخصيات الجذابة، كما لم يكن وسيماً أو لَبِقاً، الأمر الذي يجذب إليه الجنس الآخر، حتى أنه كان يلقب منذ صِغَره بـ "العابث"، بالإضافة لتعلقه بالعمل مع المومياوات وآثار القدماء في الصحراء، فمَن هي تلك التي قد تهتم بشخص مثله؛ إلا إيفيلين صاحبة العينين الزرقاوين، فقد كانت تشاركه هوسه بالآثار المصرية، ولقد تعلقت بمصر وشمسها منذ أن زارتها للمرة الأولى مع أبيها، أما الآن فلا بُد له من أن يذهب إلى موقع الحفر، كان هناك بعض الأمتار القليلة باقية، تلك التي لم يُزَل عنها الرمال بعد.

تلك الأمتار القريبة من مقبرة "رمسيس السادس"، وقد وصل بالحفر إلى هذا المكان مرتين

@ART_OF_BOOK

قبل الآن، ولكنه أوقف الحفر نظراً لعدم توقعه أن تكون هناك أية مقبرة بذلك القرب إلى مقبرة أخرى، كان يتملكه اليأس وهو يصعد الطريق من بيته "المِبنى الأبيض" المسمى بالقلعة إلى وادي الملوك، حيث يجتمع العمال منذ الصباح تحت إمرة الحاج إسماعيل، رئيس العمال لديه منذ بداية العمل في وادي الملوك - رجل في العقد الخامس - ذو بشرة لفحتها شمس الصعيد القاسية صيفاً وشتاءاً، وحفرت الصحراء على وجهه خطوطاً تشى بخبرته معها وفيها، فقد كان أيضاً من أمهر مَن يقتفي الأثر في تلك الصحراء الشاسعة، ورغم ما عُرِفَ عنه من الشدة والحزم مع الأفراد لديه، فإنه معروف بالعدل، فلم يُظلم لديه عامل منذ أن بدأ هذا العمل، وأيضاً هناك "بيتر" ذلك الصبي الذكي الذي يبدو لمن يراه أصغر من أعوامه الخمسة عشر؛ بسبب نحافته البالغة وقصر قامته والذي يعتبره كارتر مساعده الشخصي، ويعمل على تعليمه اللغة الإنجليزية فكان يناديه "بيتر" وكان العمال من أهالي الأقصر ينادونه بطرس، ومنذ أن بدأ كارتر في العمل منذ ثلاث سنوات التصق به "بيتر" كظله كمساعد في حمل الأغراض أو الماء، أما الآن فهو دائم التواجد في موقع الحفر لا يتركه، و أيضاً أصبح يثق به ثقة عمياء، ويعتبره ابناً له.

أما الشخص الثالث في فريقه، فهو "كامل المصري" شاب في بداية العشرينات من العمر حاصل على البكالوريا، من إحدى العائلات المتوسطة الحال، ولكنها معروفة بالأقصر بالأصول الطيبة، وهو المسؤول عن الحسابات والنفقات، وأجور العمال بما يعني مجمل الأمور المالية.

اقترب هذا الصباح من الموقع يعلو وجهه الهم والحزن واليأس فعلى ما يبدو لقد انتهى الأمر الآن، ولا يفصله سوى أيام قليلة عن توقف كل شيء، وانتهاء أيام كثيرة مليئة بالجهد والعرق، فوجد منظراً أوقع قلبه في صدره من الدهشة والعجب، موقع الحفر يخيم عليه الهدوء

التام ولا أثر لأحدٍ من العمال، ولا يرى أي أثر للغبار الناتج عن الحفر ، كما العادة، وجد "الحاج إسماعيل" يركض مهرولاً، وجلبابه يتطاير من حوله من فرط سرعته، وجبهته تنضح عرقاً، والغبار يرسم خطوطاً سوداءَ أفقية، وعَرضية على جبينه، يتبعه "بيتر"، وتبدو على ملامحه الإثارة هو الآخر، وبادره بالتحية السريعة المقتضبة، كمن يريد الانتهاء منها حتى يفرغ ما لديه من أخبار مهمَة.

بادره إسماعيل بلهفة:

_ أسعد الله صباحك يا خواجة لقد عثرنا عليه يا خواجة عثرنا عليه !

ابتلع "كارتر" ريقه، ورد عليه بذُعر :

_ عثرتم على ماذا يا إسماعيل؟ تكلم!

_ عثرنا على شق في الصخر، وعندما أزحنا عنه الرمال، وجدنا درجاتٍ حجرية يا خواجة لابد من أنها تؤدي إلى مدخل لقبر ما، حسب خبرتي.

_ ماذا تقول؟!

رد كارتر ، وهو يشعر بأن العالم أصبح يدور من حوله.

تدخل "بيتر" بحماس في الحديث قائلاً:

_ لقد كنت أحمل الماء إلى العمال في الجرة الفخارية، ولكنني تعثرت بحافة صخرية في الأرض، وانسكب الماء، وعندها ظهر شق صخري في الرمال عندما أخبرت الحاج إسماعيل، أحضر نفراً من العمال، وعندما أزاحوا الرمال، وجدوا درجات حجرية منحوتة في الصخر !

نظر إليه الحاج إسماعيل بضيق، فهو مَن عليه إخبار الخواجة بهذه المعلومة، وليس هذا

الفتى.

وقال بِزَهوٍ :

ـ من الواضح أنه مدخل لقبر يا خواجة، لكن بعد ظهور عدد من الدرجات الحجرية، أوقفت الحفر حتى حضورك لترى ماذاسنفعل.

وقف "كارتر" محركاً نظرَه ما بين الحاج إسماعيل وبيتر والعمال المتجمعين في الظل، وموقع الحفر غير مصدق ما سمعته أذناه، هل تحقق الحلم أخيراً؟! هل وجد ذلك الاكتشاف الذي ظل طوال حياته ينبش في الرمال ليجده ؟! أم أنه يحصل على مقبرة فارغة منهوبة من قِبل لصوص المقابر على مَر الزمن، ولم يتبق فيها غير المومياء اليابسة وبعض النقوش على الجدران الحجرية ؟

ركض سريعاً إلى موقع الحَفر، وخلفهِ الحاج إسماعيل يلهث من فرط السرعة والإثارة، وصل إلى حفرةٍ بعمق عدة أمتار تنتهي بسلالم حجرية، وأمرهم بإكمال الحفر حتى ظهرت آخر الدرجات، تلك التي كانت تؤدي إلى ممر مليء بكومة من الرمال، ويبدو جزء من حائط صخري خلفها، و به باب عليه قفل من الحبال القاسية ويبدو عليه أنه لم يُمَس من قبل!

انتابته المشاعر المختلطة ما بين الفرح والخوف والقلق، وفكر أولاً أنه لابُد من إخبار "اللورد" قبل أن يكشف عن الباب المؤدي إلى المقبرة، وقبل أن تدري بالخبر الحكومة المصرية ومفتشوا آثارها الفرنسيون الذين كانوا يمقتونه بدون سبب معلوم!

وقف صامتاً لبرهة يدير كل ما سيحدث في عقله المشوش، وأخيراً التفت إلى الحاج إسماعيل الواقف ووجهه يملؤه الفرح لأول مرة منذ بدء الحفر قبل عدة سنوات

ـ حاج إسماعيل، أخبر العمال بأن يردموا المدخل مرة ثانية، واجعل عليه حراسة من أفراد

@ART_OF_BOOK

تثق فيهم.

ـ أمرك يا خواجة.

قالها الحاج إسماعيل بفرحة عجز عن إخفائها" وركض لينفذ ما قاله كارتر .

6 نوفمبر 1922م

ماي كلير إنجلترا، قصر "اللورد كارنافون".

لمعت عينا "اللورد كارنافون"، وهو يقرأ نص البرقية التي وصلت إليه من "هوارد كارتر"

كان نص البرقية:

(أخيراً توصلنا إلى اكتشافٍ رائعٍ بالوادي، عثرنا على مقبرة رائعة ما زال على بابها أختامها القديمة، غطينا المدخل كما كان في انتظار وصولك).

لم يستطع تمالك نفسه من شدة الإثارة التي شعر بها، أتكون تلك هي المنشودة أخيراً؟! هل وصل إلى مبتغاه بعد كل هذا الوقت؟ أجل مبتغاه، فهو لا يهتم بالآثار القديمة، ولا التنقيب عنها، إن جُل ما يهمه من مصر هو شمسها الدافئة والعيش الرغيد بين فنادقها، أما الرمال والصحراء والغبار فليس ممن يشغفون بها، فمبتغاه في الحياة هو النقود أولاً وأخيراً، والحفاظ على مظاهر العيش الرغيد بما يتناسب مع لقبه، حيث إنه في خلال فترة الحرب فقد أمواله، وأملاكه، وكان على وشك أن يبيع قصر العائلة، وغرق في الديون حتى أتاه طوق النجاة من حيث لا يدري، هم يريدون واجهة لأغراضهم وهو يريد مالهم الوفير، تلك صفقة عادلة من وجهة نظره، لو كانت تلك المقبرة تحتوي على ما يريدون فلسوف يصبح من أغنياء أوروبا، بل سيكون أغنى شخص في إنجلترا.

قرع الجرس إلى الخادم؛ ليرسله برسالة يستدعي فيها صديقة البروفيسور "ألان جاردنر" عالم اللغات القديمة ليبلغه الخبر، ويتباحث معه في شأن تلك المقبرة، هو يعلم أنه لا بُد من أن ينتشر خبر العثور عليها قريباً؛ لكن هنالك شيئاً يريد أن يتأكد منه أولاً، دخل الخادم، ولكن ليخبره بأن هناك سيداً نبيلاً بالباب - ولكن يتحفظ على ذكر اسمه - يريد مقابلته على وجه

السرعة! كان اللورد على وشك الرفض إلا أنه وافق في النهاية على إدخاله.

دخل إلى الغرفة رجل حاد الملامح، ذو عينين زرقاوين عميقتين، وطول فارع مع بنية قوية. تقدم مصافحاً اللورد بيد قوية، واستهل حديثه مباشرة:

ـ تحياتي سيدي اللورد.

ـ مرحباً أيها السيد هل لي أن أعرف مَن أحظى بشرف زيارته؟

رد الزائر بصلفِ مَن اعتاد على القيام بتلك المهام

ـ فلتعتبرني مجرد رسول لإبلاغ رسالة

ابتلع اللورد ريقه في توتر، فلقد أيقن الآن من أنه مبعوث من عندهم، ولكن كيف عرفوا بهذه السرعة؟ لقد تسلم البرقية منذ دقائق !

قطع الرجل حبل أفكاره قائلاً:

ـ يتضح لي أنك أدركت مَن بعثني، وفي هذه الحالة، لن أطيل عليك ولسوف أبلغك بالرسالة، لقد علموا بشأن الاكتشاف، ويريدونك أن تسافر إلى مصر على وجه السرعة لتتحرى عما يبحثون عنه، إنهم يريدونك أن تفعل كل شيءٍ للحصول على ما يهمهم إن وُجد في هذه المقبرة، وطبعاً في سرية تامة.

فكر اللورد وقد شحب وجهه:

ـ هل هذا طلب، أم تهديد مبطن ؟!

رد متسائلاً، وهو ينظر إلى الزائر الذي كانت ملامحه لا تعبر عن شيءٍ كتمثال قُد من

صخر :

- ولكن كيف علمتم بشأن الاكتشاف؟ لقد تسلمت البرقية منذ دقائق!

- سيدي اللورد، إن عيوننا في كل مكان هنا وهناك، ونحن أيضاً نحمي مصالحنا بكل قوة، لا تنسَ هذا.

قالها، وانصرف تاركاً "اللورد كارنافون" واقفاً لا يلوي على شيء.

في اليوم نفسه، كان "كارتر" واقفاً وسط الركام والرمال المتطايرة من الحفر منتظراً الكشف عن الدرجات الحجرية والممر المؤدي إلى الباب، عند انتصاف النهار انكشفت الستة عشرة درجة والممر حتى باب المقبرة الصخري الذي نحت على جانبي بابه التمثالان الحارسان من الجرانيت على شكل "ابن آوى"، والباب مغلق بالأختام التي تحمل صورة الإله أنوبيس حامي المقابر، عندها أيقن "هوارد" أنه عثر على المقبرة الكاملة التي لم تمتد إليها يد، أو انتهكها لصوص المقابر منذ أن وُضِعَ بها الجسد المحنط، لكن ما أثار قلقه وجود تلك الفتحة القريبة من الأرض التي غُطِّيت بطبقة من الملاط القديم، أصبح الآن متشككاً هل تعرضت المقبرة للنهب منذ زمن بعيد ؟ ولكن لم يغلق اللصوص الفتحة بعد نهب المقبرة ! كان هذا أحد الألغاز التي واجهها "كارتر" بعدها قام بعمل فتحة علوية على جانب الباب، وصَوبَ الضوء داخلها؛ ليتمكن من تحديد ما وراء هذا الباب، ولكن كل ما استطاع رؤيته كان المتاع الكثير المكوم، والرسوم الملونة التي تظهر من خلف الباب، كان هذا ثاني أغرب الأشياء التي واجهها إلى الآن، فقد كان ما رآه مبهراً بحق.

بعد أسبوعين كانت السفينة التي تُقل اللورد، وابنته "ليدي إيفيلين" ترسو على سواحل الإسكندرية، وكان في استقبالهما "هوارد كارتر" على محطة القطار بالأقصر بنفسه، وأقلهما

@ART_OF_BOOK

بالدواب في اليوم نفسه إلى بيته، حيث وُضِعَتِ الأمتعة، واتجهوا مباشرة إلى مكان الحفر، بناء على طلب اللورد.

وقفت ليدي إيفيلين" تنظر إلى العمال، وهم يكملون إزاحة الركام من فوق الست عشرة درجة حجرية المؤدية إلى باب المقبرة بعينين يشع منهما بريق غريب، وترقب الأمل، كان هواء نوفمبر البارد يلفح الوجوه التي بللها عرق الجهد؛ لكن لم ينتبه له أحد من الواقفين، أو العاملين الكل منهمك فيما يجري، اقترب "كارتر" من إيفيلين أو إيفي - كما يحب أن يناديها - ابتسم لها بحب، وهو يقول :

_ لقد اقتربنا من حلمنا.

ردت عليه شاردة الذهن وناظرة إلى بعيد:

_ أرجو ذلك.

استغرب "كارتر" من حالتها تلك، لم تكن تلك محبوبته "إيفي" التي يعرفها، حتى نظراتها له لم تعد تشع بالحب كما كانت، ولكن باللهفة، وشيء آخر لم يستطع أن يسبُرَ كنهه، أخيراً مالت الشمس نحو المغيب مخلفةً وراءها سحب الغبار وأجساداً منهكة وباباً موصداً بختم "أنوبيس" للقبر، ظاهر للعيان، وستة أزواج من الأعين: اثنتان منها يشعان ببريق الجشع المُميت، والأخرى ببريق الترقب، والانتصار.

انفض الجمع، ورحل العمال عن موقع الحفر، وأمر "كارتر" رئيس عماله بوضع اثنين من الموثوق بهما كحراس على موقع الحفر مع أسلحتهم، وغادر هو، و "الليدي إيفيلين" و "اللورد" إلى حيث بيته القابع على حافة وادي الملوك، حيث آن أوان الاحتفال بالكشف الكبير، أو هذا ما يبدو !

@ART_OF_BOOK

انضم إليهما صديق كارتر "مستر كالندر"، وقاموا بفتح زجاجات النبيذ على شرف مقبرة الملك الذي للآن لا يعرفون من هو، لكن الباب الموصد بالقفل السليم يشي بوعود، واكتشافات كبيرة.

باشر "كارتر"، وصديقه "كالندر" بالشرب والاحتفال حتى الثمالة، ولم يلاحظ الاثنان النظرات القلقة بين اللورد وابنته، وجلوس اللورد صامتاً على غير المتوقع، حتى قالت إيفيلين بغتة:

ـ أرى أن ندخل المقبرة اليوم؛ حتى نرى إن كانت على حالها أم تعرضت للنهب من قبل، ونعرف من هو الملك الذي على وشك أن يكشف النقاب عن مقبرته بعد كل هذه السنين.

نظر لها كل من كارتر، والمستر كالندر في ذهول، ورد كالندر :

ـ وكيف لنا أن ندخلها بدون كسر الأقفال التي على الباب؟!

ردت بهدوء :

ـ من الممكن أن نصنع فجوة بجوار الباب ونسدها لاحقاً بعجينة من الملاط، لقد لاحظت وجود تلك الفجوة المصنوعة من قبل، يمكننا كسرها، وإعادتها مرة أخرى.

ضحك "كالندر" قائلاً بدهشة:

ـ يا إلهي ! لقد فكرتِ بكل شيءٍ، ولكن ألا تخشى "الليدي" لعنة الفراعنة عندما تكون هي أول مَن يطأ مقبرة الملك، ويزعجه في نومه الأبدي ؟!

ردت بسخرية

ـ بداية أنا لا أؤمن بتلك الخرافات التي يسردها الجهلة عن اللعنات، والمصائب التي

@ART_OF_BOOK

تحل فوق رأس من يطأ مقابر الملوك، إنها مجرد أجساد محفوظة بعناية تحوطها نفائس من ممتلكاتها الحياتية، أو مما صُنِعَ لها لتحيا حياتها الأبدية في العالم الآخر، فمن أين تأتي اللعنات؟

نظر لها كارتر، وهو يتساءل: ما بالها إيفيلين؟ ويفكر أن هناك ما يجري، ولكنه لا يعرف كنهه.

رد كالندر عليها، وهو يبتسم بمرح:

ـ ولكن، ألا تخشى الليدي من هوام المقابر، والثعابين المنتشرة بين الرمال ؟!

ردت بحزم

ـ أنت تعرفني جيداً، وتعرف أنه لا تخيفني تلك الأشياء؟

رد كارتر بحيرة مما سمعه من تصميم في نبرة صوتها :

ـ ولكن عزيزتي هناك قوانين وخطوات، لا بُد من أن تتبع عند اكتشاف المقابر في وادي الملوك؛ إذ لابُد من أن يحضر وفد من مفتشي الآثار، والمصورين لحظة الدخول، وإلا اعتُبِرنا مخالفين القانون الدولة، ووقعنا في المشاكل معهم، ومن الممكن أن يسحبوا منا الاكتشاف بالكامل!

نظرت له إيفيلين باستعطاف:

ـ ومن سيدري أننا قد دخلنا المقبرة، هل تثق فيمن يعملون معك من الحراس؟ وهل تضمن سكوتهم؟

ـ أجل، ولكن لِمَ المخاطرة من الأساس؟

@ART_OF_BOOK

لمعت عيناها قائلة بحماس:

ـ التفرد يا عزيزي، أن تكون أول شخص تطأ قدماه تلك الغرفة منذ آلاف السنين، أول من تقع عيناه على المومياء بعد مشيعيها، ألست معي أنه شعور لا يمكن أن تجربه إلا مرة واحدة في الحياة، فكم من مرة يمكن أن تكتشف مقبرة ما زال على بابها أختامها الأصلية؟!

ـ ولكننا للآن لا ندري هل اقتحمها اللصوص من قبل، أم لا؟

لا تنسَ تلك الكُوة القريبة من الأرض التي اكتشفناها بجانب الباب، فهي توحي بأنها تمت بعد إغلاق المقبرة، وأنها أغلقت على عجل بطريقة تشي بأن مَن دخل وخرج ليس هو من قام بالدفن ؟!

ـ ولِمَ التشاؤم يا عزيزي؟ من الممكن أن تكون قد فُتِحَت لأي سببٍ من الأسباب، دعنا نذهب ونتأكد بأنفسنا الآن قبل الغد، فالفضول يقتلني!

كان اللورد يجلس صامتاً يتابع تلك المعركة الدائرة بين ابنته، وكارتر وهو على يقين لمن تكون الغلبة بالنهاية.

رد كارتر باستسلام غريب كمن كان في قرارة نفسه يتمنى أخذ تلك الخطوة:

ـ حسناً إيفي، ولكن لا بُدّ لنا من بعض التحضيرات : كالمصابيح وبعض من عجينة الملاط الجاهزة، وأدوات النحت.

هتفت إيفي في حرارة، وهي تنهض من مكانها، فلنستعد الآن، هيا.

نظر كالندر إلى كارتر باستغراب، وقام الاثنان إلى المخزن؛ لتجهيز ما هو مطلوب في رحلتهم الليلية.

@ART_OF_BOOK

في ضوء القمر ، كان هناك أربعة ظلال تنساب بخفة على الرمال بخطوات غير مسموعة، أوقفهم كارتر عندما أشرفوا على موقع الحفر، وخيمة الحراسة.

قال لهم كارتر هامساً:

ـ لا بُد من إيقاظ الحارس، وإعلامه بأن مَن يتواجد هنا هو نحن.... نحن بغنى عن جلبة لا داعي لها ، أو أن يطلق علينا الأعيرة النارية.

وافقه ثلاثتهم، وخَطَوا بعيداً عند مدخل المقبرة في انتظاره.

بعد عدة دقائق مرت عليهم كأنها دهر، عاد إليهم ركضاً؛ ليطمئنهم أن كل شيءٍ على ما يرام.

ابتدأ كارتر، وكالندر بحفر مكان الكُوة بجانب الباب من أسفل الحائط بحذر؛ حتى لا تتأثر الأختام الملكية واستمروا ساعة من الزمن حتى أُنهكوا، وعندما صنعوا فتحة تسمح بمرور شخص ضعيف البنية نسبياً، قامت "الليدي إيفيلين"، وحملت أحد المصابيح، وعزمت على الدخول، كانت الفتحة تسمح بدخول إيفيلين، وكارتر، واللورد نظراً لحجمهم المتوسط، أما كالندر، فقد آثر انتظارهم بالخارج للحراسة أو للبعد عن دخول مقبرة لا يعلم إلا الله ما بها، فهؤلاء مجانين بما يكفي لكي يواجهوا ما بالداخل من أخطار.

دخلت في المقدمة ليدي إيفيلين يتبعها كارتر ثم اللورد، وهو يكاد أن يلفظ أنفاسه من شدة السعال الحاد الذي تملكهُ، ويحاول في الوقت نفسه أن يكتمه؛ خشية أن يسمعهم أحَد في هذا الهدوء المطبق.

رفعت إيفيلين المصباح الذي تحمله عالياً، كانت تنظر في انبهار إلى أشياءَ لم تقع عليها

@ART_OF_BOOK

عين بشر لآلاف السنين، وتطأ بقدميها غباراً لم يطأه بشر منذ دُفِنَ الجثمان، إنها تحس في فمها بطعم، ورائحة غبار السنين مختلط برائحة مواد عطرية مستخدمة في الحفظ والتحنيط. شعور لا تستطيع وصفه بين الانتقال من الحاضر إلى الماضي بكل ما فيه.

إنهم الآن في المدخل المربع الذي تتفرع منه الغرف، كان على اليمين غرفة الدفن التي تحوي تابوت الدفن، وعلى اليسار كانت هناك غرفة مقتنيات الملك، وأمامهم مدخل الغرفة المتاع الخشبي ، تملكت الدهشة كارتر عندما رأى إيفيلين تجثو زاحفة، لتدخل غرفة المقتنيات عَبر الفجوة الصغيرة التي صنعت كمدخل ومخرج لحاملي مقتنيات الملك، وفكر، أليس منطقياً أن يكون اهتمامها بغرفة الدفن قبل المقتنيات لترى تابوت الدفن؟

صرخ بها :

_ إيفي، لا تلمسي شيئاً.

لم يسمع أي رد منها، ولكن عوضاً عن ذلك وصلت إليه أصوات فتح وغلق الصناديق، وإزاحة النفائس كمن يبحث عن شيءٍ معين قد فقده، نظر إلى اللورد، فوجده صامتاً يلهث من الهواء المكتوم داخل المقبرة أم من إثارة الانتظار، ونظره معلق بمدخل الحجرة كأنه في انتظار شيءٍ لا يدري كارتر ما هو .

في الأخير، زحف كارتر داخلاً الحجرة خلفها متوقعاً أن يراها تبحث في صناديق الحُلِي الذهبية، ولكن عوضاً عن ذلك وجدها تبحث في صناديق البرديات واللفائف بطريقة هيستيرية :

_ ماذا تفعلين؟

سألها كارتر بحدة.

@ART_OF_BOOK

تعلمين أنه لا يحق لنا لمس هذه المقتنيات إلا بعد فتح المقبرة، عم تبحثين ؟ لقد بعثرتِ ما في الصناديق !

استمرت في البحث كأنها لم تسمعه، حتى انبعثت منها صرخة مدوية خَشِيَ كارتر أن يسمعها مَن في خارج المقبرة.

ـ أبي، لقد وجدتها، أخيراً يا أبي!

انتابت اللورد رجفة، واتسعت عيناه بطريقة مخيفة وردد بصوتٍ خافت:

ـ هل أنتِ متأكدة إيفي؟!

ردت من الداخل بتوتر :

أعتقد هذا.

وصمتت

ـ لابُد من أن يكون هو، إنه مختلف.

كل هذا الحوار يحدث بينهما، وكارتر واقف مذهول بشكل تام، لا يفهم ما يدور بين الاثنين!

هل كانت تلك الحفريات لغرض غير الكشف عن الآثار القديمة لملوك مصر الفراعين؟ هل كان أداة في يد اللورد، وابنته للحصول على شيءٍ ما لا يعرف ماهيته للآن؟ حتى إنهم لم يهتموا لمعرفة مَن صاحب هذه المقبرة، حتى إيفيلين لم تهتم بالحلي الذهبية والنفائس التي تساوي ثروة كما توقع أن يكون اهتمامها.

لم يستطع "كارتر" الدخول إلى غرفة الدفن المشاهدة التابوت لقد قضوا وقتاً طويلاً بالداخل ، فآثر أن يخرجوا من المقبرة قبل خيوط الصباح حتى لا يراهم أحد من العاملين بالحفر، فهو قد تكفل بالغفيرين الجالسين بالخارج، أما البقية فلا يستطيع السيطرة على ألسنتهم.

انسلت إيفيلين من الكُوة تحتضن صندوقاً أبنوسِيا مطعماً بالذهب، ومن ورائها اللورد ومن خلفه كارتر، قابلهم كالندر عند الكُوة مادًّا يد المساعدة إلى إيفيلين التي رفضتها، وظلت تحتضن الصندوق بحرص كمن يحرص على الحياة نفسها.

قام كالندر، وكارتر بسد الفتحة بعجينة المصيص، ووضع نقوشاً فرعونية عليها؛ حتى لا يلاحظها أي من مفتشي الآثار، وطمسها بالرمال لإعطائها مظهر القدم.

عاد الأربعة مع أولى خيوط الفجر إلى بيت كارتر، وطوال الطريق لم ينبس أحدهم بكلمة، ما عدا "كالندر" الذي كان يشعر بالفضول لما يوجد داخل المقبرة وأخذ يثرثر ويطرح الأسئلة، ولكن لم يجد من يجاوبه، فكل منهم مشغول بما يدور في ذهنه من أفكار، فكان كل من إيفيلين، واللورد يحلقان من السعادة، أما كارتر فقد بدا عليه الوجوم والغضب.

وصلوا إلى المنزل، وعندها بدأ كارتر بالكلام بغضبٍ عارم.

ـ الآن لابُد لأحدكما من أن يشرح لي ما حدث داخل المقبرة، وما قصة هذا الصندوق و ما فيه؟

بدأت إيفي بالكلام لتهدئته:

ـ هوارد يجب أن تهدأ؛ حتى تستطيع أن تفهمَ ما سنقوله لك.

ونظرت إلى أبيها؛ لكي يشرح له، سكت اللورد لبرهة كأنه يفكر، هل يفصح عن كل المعلومات ؟ أم أنه سيختار ما يقوله له، وأخيراً تكلّم بهدوء :

ـ تعرفون أن الحرب قد دمرت كثيراً من أصحاب الأموال في أوروبا، ومنهم أنا بالطبع، ولولا بعض من مساعدات أسرة "ميلينا" زوجتي ما كنت استطعت الحفاظ على إرث العائلة من قصورٍ وأراضٍ، حتى اكتشافات الحفريات الماضية قد تبخر ما جنيته منها بسرعة البرق، ولكن لم يكن هذا يكفي للحفاظ على الواجهة العامة والمستوى المعيشي الذي اعتدنا عليه واعتاد عليه الأولاد، فما بالك بالحصول على أموال كافية لتمويل حفرياتٍ استكشافيةٍ في بلد آخر لمدة سنين، ولا تعلم هل ستكشف عن شيء ذي قيمة، أم لا؟

ثم نظر إلى كارتر مكملاً:

ـ حتى عندما قابلتك ورأيت حماسك وتصميمك وإصرارك على أن ذلك الوادي لم يكشف عن جميع آثاره، وكنوزه تحمست معك؛ ولكن بعد فترة لم يبقَ معي ما يكفي لي شخصياً، فما بالك بالنفقات الباهظة للحفر ؟ عندها ظهروا فجأة وعرضوا علي المال لاستكمال الحفر، بالإضافة لكثير من المال للاستمرار في ترف حياتي، وحياة أسرتي.

رد "كالندر" الذي ظل صامتاً إلى الآن وهو فاغر فاه مما يقال أمامه :

ـ مَن هؤلاء؟ وما هذا المقابل الذي تحكي عنه؟!

رد اللورد :

ـ من هم؟ فلنقل إنهم مجموعة مهتمة بتراثٍ ديني قديم، أو مجموعة سرية للحفاظ على شعائر وأسرار دينية قديمة، هذا كل ما أعرفه عنهم، فهم يتسمون بالغموض الشديد، وكل ما عرفته عنهم أنهم منظمة سرية لديهم الكثير والكثير من الأموال والنفوذ، وفي البداية كان كل

ما يهمني المال، فلم يكن يعنيني البحث عن أصلهم، أو مَن هم.

نظر إليه "كارتر" مستفهماً بغضب:

_ والمقابل شيء يتعلق باكتشافي ؟!

رد "اللورد " بشيء من الاستسلام:

_ ليس باكتشافك بوجهٍ خاص، فمنذ بداية الحفريات، والتنقيب في وادي الملوك، وهم وراء هذا الشيء، وكانت لهم اليد الخفِية في تمويل تلك الحملات التنقيبية على اختلاف جنسياتها، واختلاف وقتها.

سأل كالندر، وهو لا يستطيع أن يكتم فضوله:

_ وما هذا الشيء الذي يريدونه ؟ وما أهميته الكبيرة تلك؟ وكيف لك أن تتعرف عليه ؟

رد اللورد :

_ ما يريدونه هو : مخطوطات بردِية أو ألواح حجرية المهم هو ما تحويه من نصوص وكتابات، أما أهميتها لهم، أو لماذا، فذلك ما طلبوا أو أمروا ألا أسأل عنه، وأن أجعل نبأ العثور عليها سرياً فيما لو عثرنا عليها، وتسليمها لهم، أما كيفية التعرف عليها: فهي رموز وكتابات في تلك البرديات أو الألواح قد شرحوا لي كيفية التعرف عليها، وعلمتها إيفيلين كذلك، وقد علمت إيفيلين بما يبحثون عنه بمجرد العثور عليه، فتلك البردِيات لها أهميتها بالنسبة لجماعتهم، وتحوي أشياء لا يحبذون أن يعرفها العالم.

نظر كارتر إلى إيفيلين بغضب:

_ ألهذا كنتِ تتقربين مني؟ وكنت تسألينني عن كل صغيرة وكبيرة في عملي؟ وعندما تأتين

@ART_OF_BOOK

إلى مصر، وتصرين على مرافقتي إلى كل مكان، وأنا كالأبله ظننت أنك تحبينني؟!

ردت إيفيلين بجفاء :

_ هل ترى أنه الوقت المناسب لمناقشة تلك المسألة؟

وقف كارتر قائلاً بحدة:

_ هذه البردِيات ستظل بحوزتي حتى أستطيع أن أقوم بترجمتها، والشيء الوحيد الذي أستطيع أن أعدكم به أن يظل هذا الموضوع طَي الكتمان بيننا حتى أحصل على إجابات.

رد اللورد بحدة:

_ أنت لا تدري مدى خطورة الأمر الموضوع ليس النقود، ولكن حياتي وحياة أسرتي أصبحت على المِحَك، حتى أنت و"كالندر" أيضاً، أصبحت حياتنا جميعاً في خطر، إن لديهم أعيُناً في كل مكان.

تلك البردِيات ستظل معي، ولن تفترق عني يا كارتر أنت لا تعي حجم الخطر هنا.

نظر الجميع إلى إيفيلين التي لا تزال تحتضن الصندوق غير مبالية بالغبار الذي غطى ملابسها.

وقال كارتر بعد أن استعاد بعضاً من هدوئه:

_ على الأقل دعونا نفتح الصندوق، ونرى ما فيه، من الممكن أن تكون إيفيلين مخطئة، وهذه البردِيات ليست المطلوبة.

قامت إيفيلين ووضعت الصندوق على الأرض بينهم فيما تمسح بيدها الغبار عن الغطاء،

@ART_OF_BOOK

كمن يلمس جوهرة ثمينة يخشى أن يجرحها.

فتح كارتر الصندوق بحذرٍ لا داعي له، فقد تفقدته إيفيلين في المقبرة، ولكنها عادة المشتغلين بالآثار في تعاملهم مع أي أثر حتى لو كان مصنوعاً من الحجر الصوان، كان الصندوق من "الخشب الأبانوس الأسود المطعم بالذهب والأحجار الملونة" ولا يوجد عليه نقش أو خرطوش يدل على اسم الملك المدفون، أو علامة عليه، وكان ذلك غريباً فعلاً، فكل ما يوضع من متاعٍ مع المتوفى لا بُدّ من أن يُنقشَ عليه اسم صاحب المقبرة.

فتح الصندوق بهدوء خوفاً من إفساده، ووجد خمس لفائف من البردِيات لا يزيد عرض اللفافة عن 40 سم، أما طولها ففيما يبدو أنه يعد بالأمتار حسب سماكة البردِية، وكل بردِية ملفوفة بعناية في لفائف من الكِتان الذي اصفر لونه، ورائحته تدل على أنه تم نقعه بسائل نفاذ الرائحة، لا يعرفون ما هو، فيما يبدو أنه السبب في الحفاظ على البردِيات بحالة جيدة جدًّا.

كما وجد خاتماً ذهبيا نُقش عليه اسم إخناتون، وكان مرصعاً بالفيروز ، وأيضاً وجد تمثالاً خشبيا لرأس صبي صغير، وخلفه زهرة لوتس كان التمثال تحفة فنية؛ نظراً لدقة صُنعِه.

كانت الليدي إيفيلين، واللورد واقفين خلف كارتر، وعيون الجميع معلقة بالصندوق، كمن وضع روحه بداخله، أما كالندر، فقد كان راكعاً بجوار كارتر، فاغراً فاه من فرط الدهشة، لم يستطع أحدهم الكلام لوقت طويل حتى كسر كارتر الصمت قائلاً بهدوء :

ـ هل عثرنا على قبر إخناتون؟ أتكون مقبرة "الملك الموحد؟" إن اسمه موجود على الخاتم، ولكن ليس على الصندوق، لا بُد من قراءة البرديات لمعرفة المزيد، لا أستطيع التوقف الآن إن الفضول يقتلني.

@ART_OF_BOOK

هَم اللورد بالكلام؛ ولكن نظرة كارتر المجنونة أوقفته.

سحب كارتر إحدى اللفائف، وفض الكتان عنها بحذرٍ شديدٍ، فتح طرف اللفافة، ولكن لشدة مفاجأته وجد أمامه لغةً يبدو أنها "هيروغليفية" ولكنها مختلفة تماماً عنها فإذا كان هذا قبر إخناتون، فتلك اللغة لا تنتمي لتلك الحِقبة الزمنية على الأرجح تنتمي إلى الأُسرة الخامسة عشرة، أو الرابعة عشرة أو ما قبلها، وجد أنه بمفرده لن يستطيع فك شفرة هذه اللغة، فلا بُدّ من الاستعانة بخبير في اللغات القديمة.

أعاد لف البردية وتغطيتها باللفائف الكتانية الغريبة التي كان لها كبير الأثر في حفظ البرديات من الفطريات والحشرات الآكلة، وضعها داخل الصندوق كما كانت والتفت إلى اللورد قائلاً:

ـ سيبقى هذا الصندوق معي حتى يحضر مَن يساعدني في فك لغة البرديات.

رد اللورد بنفاد صبر :

ـ أنت لا تعي جيداً ما يحدث هنا يا كارتر، هذا الصندوق هو قارب النجاة لي وحماية لعائلتي، فسأحافظ عليه بحياتي، وسأمحو من يحاول أن يمنعني عنه.

هذا الصندوق سيظل معي حتى أعود به إلى إنجلترا، ولكن فقط لحق الصداقة التي بيننا سوف أسمح لك بالإطلاع عليها، وفك شفرة لغاتها ولكن مع تأكيد أن يكون ذلك سرًّا بيننا، وألا تنشر تلك الوثائق للعلن وألا سيحدث ما لا يحمد عُقباه.

كان اللورد من الذكاء الخارق، بحيث جعل كارتر وثيقة تأمين له، ولحياته من غير أن يعلم هذا الأخير المغزى من تساهل اللورد معه على الرغم من نظرة الاحتجاج البادية في وجه إيفيلين.

@ART_OF_BOOK

ساد صمت عميق بعد تلك الكلمات، حتى كسره اللورد قائلاً:

ـ نحن الآن متعبون سنذهب للنوم وفي الصباح سنغادر إلى القاهرة.

ذهب "اللورد" إلى غرفته تتبعه إيفيلين حاملةً الصندوق، تضمه إلى صدرها كالأم التي تحمي وليدها، وتخاف عليه من أخطار العالم الخارجي.

دخلت خلف أبيها إلى غرفته، وقالت بصوتٍ خافتٍ:

ـ ماذا فعلت يا أبي ؟ كيف توافق على أن يطلعوا على تلك البرديات ؟ بل أن يترجموها أيضاً، وأنت تعلم أن مَن يريد تلك الأوراق لن يسمح بذلك؟!

رد عليها اللورد، وهو ينظر لها بتعب:

ـ وما يدريكِ يا عزيزتي أنهم لن يتخلصوا منا بعد حصولهم على تلك البرديات ؟! من نتعامل معهم لا يمكن أن تأمني جانبهم أو تثقي بأنهم سوف يحافظون على وعودهم معنا، إلا إذا كان لديك ضمان ما يمكن به أن تأمني شرهم.

ـ ألهذا أخبرت كارتر بالقصة؟

ـ ليس جميعها، ولكن ما يسمح لي بأن أجعلهم بعيداً عنا.

فكرت قائلة:

ـ ولكن أليس من الممكن أن يتخلصوا من كارتر ؟ أو أي شخص يطلع على تلك البرديات؟

ـ يا عزيزتي بعد إعلان الاكتشاف ستسلط الأضواء على كارتر، ويصبح شخصية عامة،

وبالتالي لن يكون التخلص منه بالأمر الهين، كما أنه حسب معرفتي به، فإنه سوف يستعين بكل مَن يستطيع أن يترجم تلك البرديات حتى لو كان يدخل في نطاق السرية البحتة، ففضوله كباحث في الرمال، وكاشف أسرار القدماء لن يفوت تلك الفرصة النادرة.

نظرت إليه إيفيلين متعجبةً، فهي لم تكن تتوقع أن يكون اللورد كارنافون - الرجل الثري الذي لا يشغل باله غير ركوب السيارات السريعة، وتربية الخيول - بهذا العمق، والدهاء.

فليخلدوا إلى النوم الآن، وغداً يوم آخر، وأحداث أخرى ،فلتنتظر، وَتَرَ عندها ما يجلبه لهم القدر.

على الجانب الآخر ، ودع كارتر صديقه كالندر على وعد باللقاء في اليوم التالي، ولكن بعدها لم يستطع النوم، وأخذ يزرع الغرفة جيئة وذهاباً، حتى استقر على ما يجب أن يفعله، ومن يستعين به

جلس إلى الطاولة، وبدأ يكتب برقية إلى السير "ماركوس" عالم اللغات القديمة، وأحد الأشخاص الذين لا يُشَق لهم غبار في ترجمة اللغات المندثرة، أو المصرية القديمة نادرة الاستعمال؛ حتى بين مَن يعرفون اللغة الهيروغليفية جيداً.

***

عزيزي ماركوس...

أرجو القدوم إلى مصر على وجه السرعة؛ لوجود أمر قد يثير اهتمامك يتعلق بترجمة بعض من الوثائق القديمة.

***

لم يستطع أن يفسر أكثر من هذا حسب وعده للورد، أو أن يذكر البرديات، ولكن حسب معرفته بماركوس فهو يعلم أنه سوف يستشف من خلال البرقية أهمية الأمر، وسريته، فهو يعرفه منذ وقت طويل، ويثق به جيداً.

في صباح اليوم التالي غادر اللورد، وإيفيلين إلى القاهرة؛ لقضاء بعض الوقت في "فندق إنتركونتنتال"، ومقابلة الأخ غير الشقيق للورد "ميرفن هير برت" الذي صادف أنه يمضى شهر عسله هناك.

جلس اللورد في الحديقة تحت شمس الشتاء الدافئة نسبياً يرتشف الشاي، ويحدق في الفراغ، مفكّراً فيما عليه أن يفعل في المرحلة القادمة، فهو قد حصل بالفعل على ما يريدونه، وبعد الزيارة الأخيرة أصبح على يقين من أهميته لهم، وأهمية إخفائه عن العَلَن، أصبح موقناً الآن بأنه لا بُدّ من أن يستفيد من هذا الموضوع لأقصى حد، فما أعطَوه له من أموال لا يوازي ما قد يفعلونه في سبيل الحصول على تلك الأوراق، لا بُد له من المطالبة بالمزيد والمزيد.

شاهد أخاه غير الشقيق "ميرفن" متجهاً إليه بابتسامة واسعة:

_ صباح الخير أيها اللورد.

_ صباح الخير يا عزيزي.

_ لقد سمعت الأخبار، تهانئي لك بالاكتشاف الجديد، من الواضح أنه سيكون اكتشافَ الموسم.

رد اللورد بشرود

@ART_OF_BOOK

أتوقع هذا يا عزيزي، وأرجو ألا يضعوا أمامنا العراقيل كالعادة، فأنت تدري بالتوتر السائد بين الحكومة المصرية، والإنجليزية في هذه الأوقات.

استمروا بالحديث عن مصر، والأماكن المتاحة للزيارة في هذا الوقت من العام، وكما هي عادة الإنجليز الحديث عن الطقس بالطبع، فهو الحديث المفضل لديهم على الدوام.

عندها حضر خادم الفندق لينهي تلك الثرثرة، و ليخبر اللورد بأن هناك زائراً يرغب بمقابلته، وأعطاه بطاقة تعريف للزائر، وجد اللورد أنه مراسل لصحيفة "التايمز الإنجليزية" استأذن أخوه "ميرفن" ليتركه مع الزائر، وليذهب إلى عروسه ليمضي الاثنان فترة الصباح في نزهة نيلية تحت شمس القاهرة الدافئة، تَقَدم إلى اللورد شاب في الثلاثينيات، طويل نحيف القامة، كان إنجليزيا كما يجب أن يكون عليه الإنجليزي من البرود، وجمود الملامح، حيا اللورد بابتسامة واثقة، وعرفَ عن نفسه بأنه مراسل لصحيفة التايمز، ولديه عرض للورد

ـ سيدي اللورد كما تعلم أن صحيفتنا تعتبر من أكبر الصحف الإنجليزية، ولذلك نرجو أن تحصل على حق احتكار تغطية أخبار الاكتشاف بكل خطواته، وحصرية جميع الصور من داخل المقبرة، بدأ من لحظة كسر الأقفال عنها.

رد اللورد بتفكير :

ـ كما تعلمون "هوارد كارتر" هو صاحب الاكتشاف، وأنا فقط المُمَول لهذه الحفريات فلا بُدّ من أن أستشيره فيمن سيرافقه عند فتح المقبرة، وتغطية تحركاته داخلها.

ـ سيدي اللورد، يبدو أنني لم أوضح لك طبيعة الموقف، اعتبرني مبعوثَ أصدقائك الأعزاء هنا في مصر، والمشرف على كل ما يحدث في هذا الاكتشاف حتى حصولهم على ما يبغون، أو التأكد من عدم وجوده؛ لذلك سيكون لي الصلاحيات لدخول المقبرة دون غيري

@ART_OF_BOOK

من الصحفيين، وسيكون لي حق التصوير من داخل المقبرة.

فقد حينها "اللورد" أعصابه، قائلاً بحدة، مقترباً بوجهه إلى الأمام من محدثه :

ـ عزيزي ماذا قلت اسمك ؟! جون أجل، عزيزي مستر "جون" للآن قد انصعت لكل طلباتهم فيما يتعلق بالحفريات، والسرية، وللآن أنفذ كل ما طلبوه، ولكن أرى أن مطالبهم تزداد تعنتاً ! فكيف أسمح لصحفي واحدٍ بدخول المقبرة دون البقية؟ وكيف أفسر هذا لكارتر والبقية، بل لصحف بريطانيا أجمع ؟

ـ لدينا حل لكل هذا سيدي اللورد، سوف تقوم بتوقيع عقد مع الصحيفة بحق نقل أخبار المقبرة حصريّاً فقط لها، وإن الصحيفة هي الجهة الوحيده التي يحق لها بيع أو نشر الأخبار للصحف الأخرى، وطبعاً كل هذا سيكون لسيدي اللورد نسبة منه.

صمت اللورد برهة مفكّراً، ثم تنهد قائلاً:

ـ موافق، ولكن لا بُدَّ من أن يعرف أصدقاؤنا أن هناك مقابلاً لكل هذا بالإضافة للاتفاق السابق.

تغيرت ملامح الزائر من الابتسام إلى الحدة، ونظر إلى اللورد بغضب :

ـ سيدي اللورد، إنك تعلم جيّداً أن الاتفاق معنا هو اتفاق ثابت، وأصدقاؤنا لا يقبلون هذا النوع من التهديد أو التسويف، بالإضافة إلى أنك سوف تحصل على الأموال من الصحيفة.

ـ لقد قلت ما لَدَي، وتستطيع أن تنقل لهم ما قلته، والآن لقد انتهت المقابلة.

انصرف الصحفي، وعلى وجهه علامات الغضب، بينما جلس اللورد، وهو يتساءل قلقاً: هل ما قام به هو الصواب؟ لا يدري ولكن الفرصة تأتي في العمر مرة واحدة، وعلى الإنسان

@ART_OF_BOOK

أن يستغلها .

أتى الجواب بعد يومين مرضت "ليدي إيفيلين" مرضاً شديداً، وعانت من آلام لم يستطع الأطباء تشخيصها، ونصحها البعض منهم بالسفر إلى إنجلترا لإجراء عملية جراحية للزائدة الدودية، مع عدم التأكيد أنها سبب تلك الآلام، ولكن الليدي سافرت على وجه السرعة، وأرسلت الصحيفة موافقتها على دفع مبلغٍ مالي مقابل حصرية تصوير المقبرة من الداخل.

هل كان ذلك نوعاً من الإنذار، والترغيب للورد؟ رسالة بما نستطيع فعله بك، وبعائلتك؟ لو فكرت بنقض الاتفاق، وفي الوقت نفسه إغداق الأموال الطائلة، ولكن فقط في سبيل ما نريد، نعم، لقد فطن اللورد لذلك، وعندها أيقن أنه لا بُدّ له من زيارة كارتر للحصول على صندوق البرديات، وليكن ما يكون فالواضح أن حياة أبنائه الآن تقع تحت نصل السكين.

وصل اللورد إلى الأقصر عصر اليوم الذي يليه، واتجه مباشرة إلى بيت كارتر.

كل مَن سمع الحوار، كان يجزم بأن اللورد يستعطف كارتر، وكارتر يرد عليه بعصبية شديدة لا تليق بمكانة اللورد ولكن بعدها انصرف اللورد حاملاً صندوقاً خشبياً من صناديق النبيذ بعناية شديدة، ووعد من كارتر بإعطاء تصريح حصري لمراسل جريدة إنجليزية، وحيدة بالنزول معه إلى المقبرة، وتصويرها، واتجه مباشرة إلى القاهرة.

بعد سفر "إيفيلين" بيومين جلس اللورد مع أخيه غير الشقيق، وأخبره بسفره إلى إنجلترا للاطمئنان على ابنته، وكذلك لحل بعض الأمور التي تستدعي تواجده هناك، وطلب منه الاحتفاظ له بصندوق على سبيل الأمانة مع وعدٍ بالحفاظ عليه بحياته، وإخفاء أمره حتى عن زوجته، فقد كان اكتشاف أن كارتر واللورد قد فتحا المقبرة قبل إخطار الحكومة المصرية، ومصلحة الآثار يشكل خطراً عليهم بإيقاف تصريحات التنقيب، وتعرضهم للمحاكمة بتهمة

السرقة من الدولة، ومن ثم الإبعاد إلى الأبد.

***

@ART_OF_BOOK

منتصف فبراير سنة 1923م

نزل اللورد مع كارتر، وعدد من كبار مفتشي الآثار المصرية الست عشرة درجة وسط ذلك الجمع الغفير من المصورين، وكبار الشخصضيات التي حضرت الافتتاح، كانت حرارة شمس الصحراء، والرطوبة اللزِجة في الجو لم تثنِ أغلبهم عن حضور هذا الحدث الذي قد لا يتكرر مرة ثانية في تاريخ مصر، أو العالم أجمع، فتح المقبرة الملكية الكاملة ومشاهدة خباياها الكامنة منذ آلاف السنين.

كان كارتر فوق السحاب من السعادة، وكيف لا ؟ وهو صاحب الاكتشاف العظيم الذي سوف يكتب التاريخ اسمه في سجلاته، كان اللورد شاحبَ الوجه معتل المزاج حتى أن بعض الحاضرين قد فطن إلى اعتلال صحة اللورد، وضعف حركته، والإنهاك البادي على وجهه على الرغم من أهمية المناسبة بالنسبة له.

عندما صعد اللورد من المقبرة كانت تعلو وجهه نظرة زائغة، ويعلو مُحَياه شحوب يقاربُ شحوبَ الموتى.

مال أحد الحاضرين على صديقه قائلاً:

_ لا أعتقد أن اللورد سوف يصمد إلى نهاية الإسبوع، صدقني كلها أيام قليلة ويرحل عن عالمنا.

نظر إليه صديقه مستغرباً:

_ لِمَ تقول هذا؟ من الواضح أن إجهاد الأيام الماضية قد أثر على صحته المعتلة أصلاً من بعد حادثه سيارته في الماضي، ولكن لا يصل الأمر إلى الوفاة يا صديقي، لا أعتقد.

نظر إليه الآخر مبتسماً باستهزاء:

ـ ألم تسمع بما يسمى" لعنة الفراعنة"، وأنها تُصَب على كل مَن يقلق راحة أمواتهم من الملوك خاصة؟!

رد الآخر:

ـ أليس من الأولى أن تصيب كارتر في المقام الأول، فهو من أقلق راحة الموتى، وليس اللورد في النهاية ؟!

رد الآخر سارحاً بنظره في الجمع متنهداً:

ـ سنرى يا صديقي، سنرى.

ونظر كلاهما إلى السماء حيث كان صقر يحلق فوق الجمع، فارداً أجنحته على الجمع.

فندق إنتركونتننتال 5 من أبريل 1923م

كانت عقارب الساعة تشير إلى 1:40 صباحاً

اللورد يغط في نوم قلق، فلقد بدأت صحته بالتدهور بعد افتتاح المقبرة، وأصيب بحالة من الوهن، والحُمى المستمرة التي لا يعرف لها سبباً، ومن يومها وحالته تتأرجح بين السيئ والأسوأ حتى وصل به الأمر إلى أن أصبح طريح الفراش، لا يستطيع النهوض منه، وحضرت ابنته وزوجته إلى القاهرة للاعتناء به حتى تتحسن حالته، ويستطيع الانتقال إلى إنجلترا للعلاج هناك؛ لكن استمرت حالته في السوء حتى أن زوجته أرسلت لابنهما "روبرت" أن يحضر من الهند ليكون بجانب والده في مرضه.

في هدوء الليل انسل شخص يرتدي ثياب خدم الفندق إلى غرفة اللورد بهدوء؛ حتى لا يوقظ الممرضة النائمة بالغرفة الملحقة، من يرى حركته يعلم أن لديه هدفاً محدداً، وأنه يحسب خطواته في الظلام جيّداً، كمن تدرب على هذا لمدة كافية، انحنى بهدوءٍ وخفة؛ ليجلبَ صندوقاً خشبِيا مغلقاً بعدة أقفال من تحت فراش اللورد، وعليه علامة شركة نبيذ بريطانية.

قام بحرفية بفتح الأقفال بآلةٍ بدائية - تم هذا الأمر بسرعة، ومهارة - وعندما فتحه وجد لفائف قطنية تحيط بصندوق أخر من خشب الأبنوس مطَعم بالذهب عليه نقوش لاوزات فرعونية، فتح الصندوق وأخرج ما يريده منه، وهو ثلاث برديات ملفوفة بعناية في لفائف من الكتان المهترئ عندها وضعها بحرصٍ داخل حقيبة قماشية كان يحملها مع لفائف الكتان، تاركاً ما كان من تماثيل، داخل الصندوق كما هي وأعاد إقفال الصندوق الخشبي بالأقفال كما كان، وأعاده أسفل الفراش بهدوء كل هذا وعينه على اللورد الراقد في الفراش لا

@ART_OF_BOOK

يتحرك، علق الحقيبة القماشية على كتفه، واستعد للخروج، عندها فتح اللورد عينيه، ورأى هذا الشخص بزِ يه الطويل الأبيض في الضوء الضعيف القادم من النافذه كأنما شاهد أحد "تماثيل أنوبيس" الواقفة في سكون لحراسة المقبرة، وأحس بأنه هنا ليقبضَ روحه جزاء إقلاق راحة الملك، والتعدي على مقبرته، عندها أحس كمن تنسل روحه من بين أنفاسه، فأطلق صرخة عالية عندها أسرع المتسلل هارباً بسرعة من باب الغرفة، عندما استيقظت الممرضة على تلك الصرخة المذعورة للورد حاولت إضاءة الضوء في حجرتها ! لكنها وجدت أن الكهرباء لا تعمل.

هُرِعَتِ الممرضة إلى حجرة اللورد بعد أن أضاءت إحدى الشموع التي يحتفظ بها الفندق في أحد الأدراج بجانب الفراش مع علبة الثقاب؛ تحسباً لانقطاع الكهرباء في أوقات الليل فزعة مما سمعته، فقد كانت صرخة اللورد كمَن تُنزَعُ منه الروح انتزاعاً.

وصلت إليه، وهالها ما رأته على محياه من معالم الفزع، كان يتمتم بكلام مُبهَم لم تفهم منه شيئاً، وكان الزبَدُ الأبيض يخرج من شِدقيه، وهو يحاول أن يشير بيده إلى باب الغرفة كانت الممرضة مذعورة من صراخه الحاد، وحالته الغريبة عندها أيقنت بأن اللورد على وشك أن يفارق الحياة، فهُرِعَت إلى الجناح المجاور، حيث تسكن زوجة اللورد وابنته، وأخبرتهما عن حالته، وبعدها انسلت إلى غرفة الابن لتخبره هو الآخر بما يحدث.

قرعت الباب؛ لتوقظ الابن الذي قام من نومه مذعوراً، فهو يعلم جيداً ما يمكن أن يكون وراء دقات الباب في هذا الوقت، قام وأشعل الشموع وفتح الباب ليجد الممرضة في حالة هيستيرية تسأله أن يسرع إلى غرفة والده، وانطلقت تعدو أمامه، وفي أثناء توجهه إلى غرفة أبيه عبر الممر لاحظ خادم الغرف بزِ يهِ المميز، وهو يهرول في الاتجاه المعاكس، ويحمل حقيبة قماشية بيضاء خلف ظهره، لم يعره انتباهاً في ذلك الوقت، وكيف له أن يعرف أن حياة أسرته

كلها تتوقف على ما تحتويه الحقيبة القماشية التي يحملها هذا الشخص ؟!

***

@ART_OF_BOOK

8 فبراير 1923م

لم يستطع "محمد المصري" النوم في تلك الليلة، فكيف يستطيع أن يمحو ما رآه وسمعه في تلك الليلة، فهل سرق "الخواجة" أشياء من المقبرة بعد دخولها في الخفاء ؟! ولكن لم يفعل ذلك، وهو مكتشفها، والمسؤول عنها ؟، ولكن ما كانوا يتكلمون عنه أبعد كثيراً عن قطع ذهبية، أو تماثيل يسرقونها لغرض مادي، وما هذا الخنوع والخوف الذي يتكلم بهما اللورد مع الخواجة؟! في تلك الليلة عندما كان ذاهباً لرؤية الخواجة ليلاً للاتفاق على زيادة العمالة في اليوم التالي، ومناقشة خطة العمل رآهم، وهم يتسللون من المنزل في اتجاه المقبرة، ظن أنهم سكارى، وسيصلون للمقبرة ويعودون مرة أخرى، فراقبهم عن بُعد؛ حتى لا يزعجهم، وفي الوقت نفسه حتى لا يحدث مكروه لأي منهم، فهو هنا متى احتاجوه، ولكن ما رآه جعله يختبئ فقد حفروا كُوةً، ودخلوا المقبرة خلسة، وانتظر في الظلام حتى عادوا وتبعهم للمنزل وسمع كل الحوار الدائر بين اللورد والخواجة وابنته ورأى الصندوق الخشبي: هناك شيء خاطئ بالتأكيد، شيء خطير! عندها استقر رأيه على إرسال رسالة في أسرع وقت.

بعد عدة أيام من وفاة "اللورد كارنافون"، وإرسال جثمانه ليُدفن في إنجلترا، وبعد الموجة المسعورة من الصحافة عن "لعنة الفراعنة"، وما سببته من خسائر بين صفوف العمال، وانتهاءً باللورد الذي موّل الحفر.

وابتدأت عبارة الموت لمن يقلق راحة الملك تحتل العناوين الأولى في الصحف العالمية والمحلية في تلك الأثناء، لم يكن هذا ما يقلق كارتر، فقد أرسلت له الحكومة المصرية بوقف أعماله داخل المقبرة؛ نظراً لانتهاء تصريح التنقيب الذي كان باسم اللورد لوفاته.

تقدم كارتر للحصول على تصريح باسم أرملة اللورد، ورُفِضَ الطلب من الحكومة المصرية،

@ART_OF_BOOK

وأرسلت عدداً من أفراد الشرطة الحراسة المقبرة، بدلاً من الحراس الاعتياديين لكارتر جُن جنون كارتر، وأصر على أن يفعل المستحيل للدخول إلى المقبرة، وإتمام عمله فيها، فلا يحق لهم أن ينتزعوا حلمه من بين يديه، كل جهد هذه السنوات غداً كأن لم يكن هل يصبح هباءً منثوراً لأجل تعنت بعض من العقول المتحجرة - التي تحاربه هو شخصيا - وتريد أن تنزع اكتشافه من بين يديه ؟!

ذهب إلى بيته، وفتح خزانة الثياب، التي جعل أسفلها مخبأ مفرّغاً وضع به الصندوق المحتوي على البرديتين اللتين تركهما له "اللورد"؛ ليترجمهما ويستعيدهما بعد ذلك، فلقد أصر على أن يحتفظ بتلكما البرديتين، وأعطى "اللورد" ثلاثة منها على أن يترجم الاثنين، ويعيدهما إليه، وكان هذا هو ثمن الموافقة على اتفاق الصحيفة للدخول معه إلى المقبرة.

اطمأن على كنزه الثمين، وتذكرة خلاصه من تعسف مفتشي الآثار ضده، وأصر على أن يمضيَ قُدُماً في مسعاه، فهذا الملك الصغير مُلكُهُ لا أحد يستطيع أن ينتزعه من بين يديه: فلا بُدّ لهم من أن ينتزعوا روحه قبلاً، كان يشك أن هناك من فعل ذلك باللورد عمداً، فهو لا يؤمن بخرافات اللعنات لمن يحفر قبور القدماء، لا بد له من مقابلة المندوب السامي البريطاني. لا بُدّ لهم من مساعدته، وإلا سوف يكشف ما تركه له اللورد من معلومات، وعما تحويه تلك البرديات التي يهم البعض إخفاؤها، وعلى رأسهم بريطانيا العظمى.

من قال إن الحاضر لا يتأثر بالماضي ؟ في بعض الأحيان ظهور حقائق من الماضي تستطيع أن تدمر الحاضر المبني على أوهام واهية .

قبل وفاة اللورد بأسبوع الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل.

طرقات قوية ثابتة على الباب الخشبي المرتفع، طرقات من يعي جيّداً أن هناك من يسكن وراء هذا الباب، وعاجلاً، أم آجلاً سوف يُفتح برغم تأخر الوقت، فليس هناك من العجلة البتة.

قام محمد مفزوعاً من نومه، وخرج من غرفته مسرعاً، ليجد والدته واقفة أمامه، والاستغراب يعلو وجهها، وقالت بخوف:

ـ مَن سيطرق علينا الباب في هذه الساعة ؟!

فقال لها مطمئناً :

ـ ادخلي أنتِ يا أمي، ولا تخافي، سأرى مَنِ الطارق.

كان في داخله يأمل أن يكون ما يدور بخلده صحيحاً، وأن يكون مَن وراء الباب هو الزائر الذي ينتظره بفارغ الصبر منذ إرساله الرسالة.

فتح الباب الذي كشف خلفه عن وجه افتقده كثيراً، وفرح قلبه للُقياه أيما فرح.

قال بابتسامة فاتحاً ذراعيه لمعانقة القادم:

ـ لم أتوقع حضورك ردا على خطابي يا كمال أفندي، أقصى ما توقعته خطاب منك لا أكثر .

رد عليه كمال أفندي المصري ابن عمه، وهو يلتفت حوله بحذر:

ـ أعلم أن زيارتي مُفاجِئَة، ولكن لا أريد أن يعلم أحد بقدومي الآن أريدك أن تخبرني بما

رأيت مع ذكر التفاصيل بكل دقة، وبعدها سأخبرك بما لَدَي من معلومات عن هذا الموضوع.

بعد ما أخبره محمد بكل ما رآه، وسمعه بدءاً من دخول كارتر، وأصدقائه المقبرة والصندوق وما يحويه سكت كمال مطرقاً إلى الأرض مفكراً لدقيقة، ثم تنهد وقال :

_ أنت تعلم يا محمد أن عملي مع دولة الباشا "سعد زغلول" يجعل ما قلته لي الآن في غاية الخطورة، فأنت تعلم مدى التوتر الآن بين الحكومة المصرية، والإنجليزية، ومدى رغبة الحكومة، والشعب في التخلص منهم، ومن وجودهم في بلدنا بأي ثمن.

ومما ذكرته، فإن هناك شيئاً ما يهددهم به اللورد وكارتر، وتسعى بعض الجهات للحصول عليه، أليس كذلك؟

_ أجل، إنها الحقيقة يا كمال، ولكن لا أعرف ماهية هذا الشيء على وجه التحديد، ولكن عثروا عليه في برديات موجودة في المقبرة المكتشفة، وهو ما كان يدعو اللورد للإنفاق بكل هذا البذخ على الحفريات، وليس الاكتشاف العلمي أو التاريخي، ولكن مما أنا متأكد منه أن نصف البرديات مع اللورد، والنصف الآخر يخبئها كارتر في بيته في مخبأ سري؛ في انتظار عالم اللغات القديمة ليترجمها له بعد إرسال البرقية لقد اطلعت عليها بنفسي فأنا من أرسل كل برقيات وخطابات كارتر كما تعلم.

_ أتعلم يا محمد أن صحة اللورد في تدهور مستمر حسب علمنا، ولم يكتشف الأطباء مكمن علته، وهو طريح الفراش في فندقه بالقاهرة، وإن كنت أرجح أن اللورد يتم تسميمه بالبطيء.

رد محمد بذعر :

@ART_OF_BOOK

والبرديات يا كمال ؟! لا بُدّ لنا من منعها من الخروج من مصر، من الممكن أن يعملوا على تهريبها في سرية.

_ أتوقع أنها ما زالت بحوزته لأنه ما من أخبار عن خروج أي أثريات من مصر، أو صناديق في الوقت الحاضر، أو منذ اكتشاف المقبرة والفضل يرجع لخطابك الذي نبهني إلى ما يحدث، وبالتالي عرضت الموضوع على "دولة الباشا" بكل سِريّة، وشددنا المراقبة على اللورد، وابنته، وكل مَن له علاقة بهم، حتى كارتر نفسه، الآن لا بُدّ لنا من الحصول على تلك البرديات.

_ كيف ذلك يا كمال ؟! فعدد منها بحوزة اللورد، والأخرى مع كارتر، ومن المؤكد أنهم حريصون على إخفائها بشكل جيد.

_ اسمع يا محمد ما يخص اللورد فأنا وزملائي سنعمل ما بوسعنا للحصول على تلك البرديات، أما كارتر فأنت خير مَن يعرفه ويعرف أين من الممكن أن يخبئ تلك الأوراق.

رد محمد بحزن:

أتظن أنني أعرفه حقا ؟ لقد تغير كل ما كنت أعرفه عنه، فآخر ما كنت أتوقعه هو أن يكون سارقاً كغيره من المنقبين.

ربت كمال على كتفه مهوناً، وقال بهدوء:

_ إنك ساذج للغاية يا محمد! إن تاريخ كارتر مليء بالمتاجرة بالآثار المسروقة من عمليات التنقيب السابقة له عندما كان صغيراً، فمنذ أن بدأ هذا العمل وهو يمتهن هذه المهنة، فمن أين أتيت بأنه ذلك الشخص الشريف الذي لا يطمع إلا في الكشف عن تاريخ مصر القديم ؟!

زفر محمد بغضب، وقال بحزم:

ـ إذاً دعه لي، وأنا إن شاء الله لن أدعه يفلت بفعلته، وسأجد تلك البرديات حتى لو كلفتني حياتي.

نظر له كمال بابتسامة قائلاً:

ـ لا تتسرع يا محمد، فأية غلطة قد تكلفنا أن نخسر البرديات للأبد.

وأطرق مفكراً:

ـ سوف يكون معك أحد رجالنا المخلصين لمساعدتك، سيصل عندك خلال يومين، أما الآن فلا تحاول أن تثير ريبة الخواجة بأي تصرف كان، وعليك مراقبته بحذر حتى لا يشك بك.

هز محمد رأسه موافقاً، وعم الصمت المكان.

***

@ART_OF_BOOK

القاهرة مكتب المندوب السامي البريطاني.. بعد أسبوعين من وفاة "اللورد كارنافون"

جلس كارتر على مقعده أمام مكتب سكرتير المندوب السامي البريطاني، وهو يتميز من الغيظ فقد طال انتظاره إلى ما يقرب من الساعتين المقابلة اللورد، ناهيك عن المعاملة الباردة التي تلقاها من سكرتيره، ذلك الذي يجلس الآن على مكتبه ويدعي انشغاله بالأوراق التي أمامه عن النظر إليه.

هب واقفاً، ودنا من مكتب السكرتير، وهو يتميز غيظاً:

ـ لقد انتظرت جناب اللورد لأكثر من ساعتين، هل لا يجد وقتاً المقابلتي وسط مشاغله الجمة؟!

"قالها بسخرية".

نظر إليه السكرتير ببرود، وقال:

ـ من الممكن أن تغادر الآن مستر كارتر، وتعود عندما يكون جنابه غير مشغول، وعندها من الممكن أن تقابله.

طفح الكيل بكارتر، فقام بعصبية متجاوزاً السكرتير إلى مكتب اللورد، قام السكرتير خلفه محاولاً منعه ولكن كارتر دفعه مقتحماً باب مكتب اللورد، وصارخاً بحِدة.

ـ من المفترض أن أقابله ليستمع إلى مشاكلي كمواطن بريطاني ويعمل على حلها.

وقف أمام مكتب اللورد بحِدة، وهو يلهث من فرط عصبيته، والأخير ينظر إليه بدهشة من اقتحام مكتبه بتلك الطريقة الفجة.

وضع كارتر يديه على مكتب المندوب السامي، وانحنى إلى الأمام مقترباً منه، وقال من

بين أسنانه، وهو يجز عليها:

_ لماذا ترفض أن تقابلني؟!

نظر إليه المندوب السامي من خلف مكتبه بهدوء، وقد استعاد بروده الإنجليزي، وقال مخاطباً سكرتير مكتبه:

_ دع مستر كارتر، واذهب، واغلق الباب خلفك.

وقال مخاطباً كارتر باستهزاء :

_ اجلس مستر كارتر، ما الذي أستطيع فعله لك؟

بدأ كارتر يتحدث بسرعة، واندفاع:

_ جناب اللورد تعرف جيّداً ما حدث بعد وفاة "اللورد كارنافون"، وتعنت الحكومة المصريه في حصولنا على التصاريح، بخلاف تدخلهم في كل كبيرة وصغيرة خاصة بالمقبرة؛ حتى أنهم رفضوا دخول زوجات العاملين لمشاهدة المقبرة، ومكان عمل أزواجهم وهذا أثار استياء العاملين معي.

نفث اللورد دخان سيجاره بتُؤَدَةٍ في وجه كارتر "كمن لا يعنيه ما يتحدث عنه هذا الأفاق".

رد عليه اللورد باستخفاف، وهو يستند إلى الوراء على المقعد :

_ مستر كارتر، أحب أن أوضح لك أن العلاقات بين الحكومة المصرية، والبريطانية تمر بأسوأ أوقاتها، ومن الصعب حالياً التدخل بأمور تعتبر تافهة بالنسبة لأمور أخرى تهدد التواجد البريطاني على أرض مصر .

@ART_OF_BOOK

ما أفهمه سيدي أن اكتشاف القرن الذي تتحدث عنه الصحف العالمية أجمع تعتبره تافهاً، وترفض أن تساعد في حل العقبات الذي يضعها المصريون أمامنا !

ـ مستر كارتر، حاول أن تحل أمورك مع المصريين بشيءٍ من الهدوء والدبلوماسية، فنحن لا نريد مشاكل من هذا النوع الآن، أنت تعلم ما نواجهه من الشعب، وكرهه للوجود البريطاني، والآن تزامنَ مع عودة "سعد زغلول" وتعيينه رئيساً للحكومة ولذلك أنت ترى الآن صعوبة التصادم مع الحكومة فيما يختص بالمقبرة، فقد يأتي بنتائج عكسية.

ـ لم أكن أعرف أن نفوذكم قد تقلص إلى هذه الدرجة سيدي، إنكم بذلك تضعون سمعة بريطانيا العظمى" على المِحَك هنا.

ـ اسمعني سيد كارتر، ليس لسمعة بريطانيا، أو التاج أي تأثر باكتشافٍ أثريٍ تافهٍ، مهما تكلمت عنه الصحف.

ـ أنت ترى أنه تافه؛ ولكني أعدك بأن ما وُجِدَ بهذا الكشف الأثري، سوف يغير من التاريخ الذي نعرفه، وسوف يهدد كل الدول العظمى، ومصالحها بما فيها بريطانيا العظمى، وحلفائها سيدي.

نظر له اللورد بحدة غاضباً من هذا التهديد الأجوف.

ـ مستر كارتر، لقد انتهت المقابلة.

هب كارتر واقفاً، وهو يكاد أن ينفجر من الغضب:

ـ لن أسمح لإنسان مثلك بأن ينهيَ حلمي، واكتشافي على هذه الأرض؛ لمجرد مشاكل سياسية لا تخصني، سوف أقوم بفضح أطماعكم، وخططكم في كل صحيفة، وأظهر الدليل

@ART_OF_BOOK

على كذب كل ما تدعونه.

احمرت عينا اللورد من الغضب، وقام واقفاً، وقال بصوتٍ جهوري:

_ اخرج حالاً من مكتبي، ولا أريد أن أراك هنا مرة أخرى.

وانحنى، والتقط إحدى التحف من على مكتبه، وقذف بها كارتر .

عندها دخل سكرتير اللورد، وقبض على ذراع كارتر جارا إياه إلى الخارج، وهو يصيح:

سوف ترى أيها اللورد سوف ترى، فسأفشي كل ما عندي من أسرار، وسأقضي على كل مصالحكم التي تزعمونها في الشرق الأوسط، ولسوف أغير مخططاتكم بأكاملها؛ بفضل اكتشافي التافه.

في الوقت نفسه في الأقصر وفي خارج منزل كارتر وقف محمد، ومعه شاب أسمر، نحيف طويل القامة، ذو ملامح مصرية صريحة، وشعر أسود.

_ هل أنت واثق من أن الخواجة لن يعود حتى الغد يا محمد؟

_ لا تخف يا صبري أفندي، فالخواجة الآن في القاهرة يركض خلف التصاريح لدخول المقبرة، وأستطيع القول إنه من الممكن ألا يعود غداً أيضاً.

_ علينا أن نسرع إذاً، فلا أعتقد أنه من السهل العثور عليهم، فالأكيد أنه خبأهم بعناية، ولكن ألا يمكن أنه خبأهم خارج منزله ؟

_ أنت لا تعرف الخواجة، لا أعتقد أنه سيجعل هذا الكنز بعيداً عن عينيه .

_ إذن لنسرع قبل عودته.

فكر محمد قليلاً، وقال:

لن ندخل من الجهة الأمامية، ولكن سندور حول المنزل وندخل من الحديقة الخلفية، أعرف المكان جيداً من هناك؛ حتى نتفادى الأعين لو دخلنا من واجهة البيت، وسأقف بالخارج لأراقب حتى لا نُفاجأ بأحد من أصدقائه يمر بالمنزل كما هي العادة.

دخل صبري، وهو يتحسس طريقه بحرص، فتش أرجاء المنزل بدون أن يترك أثراً حتى وصل إلى بابٍ مغلقٍ بالمفتاح، كان من الواضح أنه غرفة كارتر الخاصة.

بأيدٍ محترفة استطاع فتح الباب، ومن خلفه وجد غرفة نوم؛ ولكنها مليئة بالأوراق والقطع الفخارية والصناديق لم يعلم من أين يبدأ؛ ولكنه هنا في مهمة، ولا بُد له من إنجازها.

***

بعد عدة أيام في مقر "رئيس الوزراء "

دخل كمال محيّياً رئيس الوزراء بانحناءةٍ خفيفةٍ، وبابتسامة مظفرة:

_ صباح الخير يا "دولة الباشا".

_ صباح الخير يا كمال أفندي، أرجو أن تكون المهمة قد انتهت بنجاح.

_ نعم يا "دولة الباشا" بفضل توجيهاتك الكريمة.

وفتح كمال الحقيبة القماشية التي يحملها أمام رئيس الوزارة "سعد باشا"، عارضاً عليه خمساً من البرديات التي مر عليها آلاف السنين، وتحمل في داخلها أسراراً قد حرصت أمة بذاتها على إخفائها من الوجود، ملفوفة في لفائف صفراء من الكتان ومحفوظة بعناية

نظر الباشا إلى الأوراق بذهول، ثم جَول بصره إلى كمال بفخر :

_ لقد جعلتني فخوراً بك يا كمال، وسيبقى هذا الموضوع بيني وبينك فقط، فلا أحد، وأعني لا أحد على الإطلاق سيعلم بأمر هذه الأوراق، ومن أين أتت، وأرجو منك إخفاء هذه الحقيبة لديك؛ حتى نجد لها مخبأ أميناً، ولكن أولاً علينا أن نجد أحد الموثوق بهم؛ لترجمة الأوراق ومعرفة ما بها يجعلهم حريصين على الحصول عليها بأي ثمن كما قلت.

_ أمرك يا "دولة الباشا".

فندق إنتركونتننتال

قابل كارتر "إيفيلين" في حديقة الفندق قبل عودته إلى الأقصر، حيث قُدمَ لهما الشاي.

كان يبدو على محياها الحزن العميق، وهي تقول:

ـ لم أستطع أن أخبرك عن اختفاء البرديات حتى أتأكد من أن أبي لم يخفِها في مكان أخر، ولكن الصندوق الخشبي وُجِدَ فارغاً، و الصندوق الخارجي مغلقاً بالأقفال.

رد كارتر بتوتر :

ـ هل تعتقدين أنها سُرِقَت؟ ولكن كيف؟! أليس هناك احتمال أن يكون والدك سلمها لمن يسعون خلفها من البداية؟!

ـ لا ؛ لأن والدي أخبرني بأنه سيساومهم على مزيد من المال؛ ولكن بعد مرضه لم يتصل بأحد، أنا على يقين من ذلك.

ـ ولكن كيف حدث هذا؟ من يعلم بوجود تلك البرديات من الأساس ناهيك عما تحتويه ؟

ردت بحيرة، وعينين تلمعان من الدموع:

ـ لا أعلم يا كارتر ، كل ما أعلمه الآن أنها اختفت بطريقة ما، من الممكن أن يكونوا هم من سرقوها أو أحد آخر، ومن ناحية أخرى أمي التي لم تنتظر حتى يمر وقت كافٍ على وفاة والدي وذهبت مع عشيقها إلى إنجلترا، وطبعاً ليس لها أي اهتمامٍ بموضوع التنقيب والآثار وتلك الأشياء، هي تكرهها كما تعلم.

@ART_OF_BOOK

صمت كارتر مفكّراً، وقال بعد دقيقة:

لا بُدّ لي من أن أسافر اليوم إلى الأقصر، لا بُدّ لي من أن أجد حلّا لما يحدث، أشعر بأني كالغريق الذي رأى الشاطئ أمامه؛ ولكنه فوجئ بأن هناك دوامة تشده إلى أعماقٍ مظلمةٍ يا إيفيلين، يجب أن تعطيني الصندوق الأبنوسي؛ لأتخلص منه، لقد أوقعنا أنفسنا في مشكلة عويصة، ولا أدري ما العمل الآن؟ جهد سنوات طوال يضيع في لحظة، لقد أقدمت على فعل متهور اليوم، ولا أدري هل سيؤتي ثماره أم لا؟

"مسح وجهه بكفيه، وتنهد ناظراً إلى لا شيء".

دخل كارتر إلى بيته مسرعاً، ثم إلى غرفته فتح خزانة الثياب، وأزاح كومة الثياب من الرف الأخير، وأزاح اللوح الخشبي؛ ليجد صندوق النبيذ الخشبي الذي وضع به البرديّات في مكانه. تنهد براحة، ورفعه من داخل الفجوة، وجد القفل مكانه، ففتحه بيدٍ مرتعشة، فتح الصندوق برفق ليجد عدداً من لفائف الكتان التي كانت تغلف البرديتين، ولكن لا أثر لوجود البرديات، فكيف حدث هذا ؟! كيف اكتشفوا مكانهما ؟ واضح أنهم يسعَون خلف البرديات بجدية، لكن كيف علموا أنها معه؟ لا بُد له من التخلص من الصندوق الذي أخذه من أيفي لآن، وإلا اكتشف دخوله المقبرة، وسوف يتم اتهامه بالسرقة أو ما هو أفظع.

***

الأقصر قصر "توفيق باشا" على ضفاف النيل

يوم من أيام الربيع الذي تمتزج به حرارة الجو مع نسمة منعشة، تحمل معها روائح الزهور، ومياه النيل ذات الرائحة الندِية، كانت أصوات الموسيقى التي تنبعث من المبنى تتزامن مع أصوات الغناء مختلطة بأصوات الحضور كان "توفيق باشا" واقفاً مع أخيه وزوجته وزوجة أخيه في استقبال ضيوفهم لحفل الربيع كان الحفل في أوجه، عندما أتى أحد الخدم إلى "توفيق باشا" مائلاً على أذنه؛ ليخبره بأن هناك من يريد أن يقابله شخصيا.

تعكر صَفو "توفيق باشا" مخاطباً الخادم:

_ من يريد أن يراني على انفراد، ونحن في حفل ؟!

_ لا أدري يا سعادة الباشا"، ولكنهم يقولون إنهم مستأجرون للأرض.

نظر "توفيق باشا" له بحدة، وأردف بحزم:

_ فلتخبرهم بأنني مشغول، وليعودوا في وقتٍ آخر، أي مستأجرين في ليلة العيد ؟!

رد الخادم، وقد علت وجهه مسحة من الارتباك :

_ لقد قلت لهم ذلك بالفعل سعادتك، ولكنهم قالوا إن الأمر عاجل وخطير ورفضوا المغادرة

مال عليه أخوه "خليل"، وكان يستمع إلى الحوار الدائر قائلاً:

_ فلتذهب يا توفيق، ولتنهِ الأمر بسرعة، إن المزيد من الضيوف قادمون الآن، والاحتفال على وشك البدء، فلترَ ما يحدث وعُد سريعاً.

زفر "توفيق باشا" في ضيق، وسار يتبع الخادم إلى حيث هؤلاء الضيوف اللحوحين، ليرى ما يريدون ويصرفهم ويعود ثانية إلى الحفل.

من بعيد رأى شخصين يرتديان جلبابين، وطاقيتين كثياب أهالي الصعيد، ولكن كل منهما يغطي نصف وجهه بكوفية قطنية، أثار ذلك استغرابه فَلِمَ يخفيان وجهيهما بتلك الطريقة؟! فليس ذلك من عادة من يدخل القصر .

عندما اقترب منهما حياه أكبرهما، وطلب منه الذهاب إلى مكان خاص؛ لأنهما يريدانه في أمرٍ مهم.

دُهِشَ "توفيق باشا" : يا إلهي ! ذلك الصوت، وتلك الطريقة لا تَخفى عليه، إنه يعرف صاحبها جيداً، ولكن من غير المعقول وجوده هنا في هذا الوقت بتلك الطريقة.

ما هذا؟ هل هذا تخيل أم ماذا؟

قادهما "توفيق باشا" إلى حجرة مكتبه بعد أن صرف الخادم، وأغلق الباب خلفهما.

عندما دخلا إلى غرفة المكتب، كشف الاثنان عن وجهيهما، وقف توفيق باشا" واجماً للحظة لا يعرف ماذا يفعل، وعندما استفاق انحنى محيّياً ضيفه بحرارة؛ وهتف قائلاً بصوت يختلط فيه الفرح مع الاندهاش مع الارتباك والتساؤل:

ـ "دولة الباشا سعد زغلول " ! اسمح لى بأن أعرب عن اندهاشي الشديد لقدوم دولتكم بتلك الطريقة ما الخطب ؟!

ـ اهدأ يا توفيق، نحن هنا لأمرٍ جَلَلٍ، ولم أستطع أن أجد من هو أخلص منك لائتمانه عليه.

رد توفيق بسرعة

ـ في خدمتك يا "دولة الباشا" في أي أمر تطلبه.

سكت "سعد باشا" لحظة، ثم طلب من الشاب الذي معه أن يراقب باب المكتب بحرص والباب المؤدي إلى الحديقة! ثم استأنف الكلام:

ـ كمال من خيرة رجالي، وأعتبره مثل أولادي، وهو من اكتشف هذا الأمر؛ لذلك لا يعرف ما أقوله هنا سوى نحن الثلاثه فقط وما أأتمنك عليه لا يعرف به سواك، حتى أخوك، أو زوجتك.... أنت فقط يا توفيق، ولا بُد أن تعرف أنك بقبولك هذا الأمر تكون قد أدخلت نفسك في أمر خطير لا رجوع فيه؛ ولكنني أعرف مقدار وطنيتك، وإخلاصك لبلدك؛ ولذلك لا أجد من هو أفضل منك لأضع تلك الأمانة بين يديه، وأنا أعلم أنه سوف يحافظ عليها بحياته حتى أطلبها منه؛ ويكفي أن تعرف أن حرية وطننا من الاستعمار من الممكن أن تتوقف على ما تحتويه هذه الأوراق.

رد "توفيق باشا"، وقد انتصب في وقفته بحزم :

ـ "دولة الباشا"، أنت تعرف أنني أفديك، وأفدي وطني بروحي، فأنا موافق من قبل أن أعلم القصة.

ـ لا ، لا بُد من أن تعرف القصة يا توفيق؛ حتى تعلم من أين تأتيك المخاطر، وممن تحذر.

وانطلق "سعد باشا" يحكي لتوفيق ما حدث منذ البداية حتى حصولهم على البرديات الخمس الثمينة وانتهائها هنا بالحقيبة القماشية التي يحملها كمال.

@ART_OF_BOOK

ساد الصمت برهة بعد انتهاء "سعد باشا" من رواية الأحداث، بعدها سأل "توفيق باشا":

ـ ولكن للآن يا باشا لم أعرف على وجه التحديد أهمية الأوراق لهؤلاء الناس.

رد "سعد باشا":

ـ لأنه يهدد مخططاتهم في المنطقة هم، وحلفاؤهم وظهور هذه الحقائق بأي شكل من الأشكال حتى ولو كان تاريخيا سيثير اللغط، أنت تعلم أن بريطانيا وفرنسا يخططون الآن لأقامة وطن لليهود للتخلص من وجودهم، وانتشارهم في بلادهم، ومن ثم إيجاد مكان لهم، والتذرع بأنها أرض الميعاد التي وعدهم إياها الرب، ومن ثم الاستيلاء عليها، لكن تلك الأوراق حسب ما علمته تنفي ذلك، ومن ثم تهدد مخططهم هذا، وهم لا يريدون ذلك الآن.

صمت برهة ثم أردف يقول:

ـ أنت تعلم أن البلاد تمر بمرحلة عصيبة بعد سنوات الحرب، لسنا البلد الوحيد الذي عانى، وما زال يعاني من جراء تلك الحرب الطويلة، وأيضاً سياسياً نحن في حالة تخبط من اعتلاء ملك جديد صغير السن العرش، وتغير الوزارات السريع حتى أننا أصبحنا نستيقظ كل صباح على تشكيل جديد للوزارة، وأيضاً الوجود الإنجليزي، وتحكمه في البلاد، وضعف وتفكك دولة الخلافة العثمانية، كل هذا يجعلني أرجيء الكشف عن تلك الأوراق، حتى يصبح المناخ متاحاً، والوقت مناسباً حتى لا تأتي الرياح بخلاف ما نريد ونطلب، لذا أرجو منك حفظ تلك الأوراق لديك في مكان آمن حتى أطلبها منك، وأؤكد مرة ثانيه على السرية التامة في هذا الأمر.

نظر إليه توفيق باشا، ورد في حزم جندي كلف بمهمة عسكرية:

أمرك يا باشا سأكون عند ظن دولتكم، وسأحرسها بحياتي.

لم يكن يعلم وقتها أن هذا ما سوف يحدث حرفياً.

انصرف الاثنان من باب الحديقة بعيداً عن أجواء الحفل، احتار "توفيق باشا" أين يضع هذه الأمانة ؟ لا يستطيع بالطبع إخفائها بالخزينة من الممكن أن يكون أحد قد تتبع الباشا، ومرافقه إلى هنا، وكان يدري بالأمر، وعندها بالتأكيد سيسطو على الخزينة؛ لأنه من المنطقي أن يضعها بها، إن حجم البرديات كبير، وتلك اللفائف الكتانيه حولها ذات رائحة نفاذه، كما أنه لا يستطيع أن يخبئها خارج القصر أيضاً، فلا بُدّ من أن تكون قريبة منه، وتحت عينه عندها تذكر المخبأ الذي لن يخطر على بال أحد، والمكان الذي لا يعلمه أحد غيره.

***

السلام عليك أيها الإله العظيم رب الصدق، لقد أتيت إليك يا إلهي وجيء بي إلى هنا حتى أرى جمال وجهك؛ إني جئت لحسابي.

لقد أتيت إليك دون أن أفعل ما يمقته الإله.

وإني لم أعرف أية خطيئة.

ولم أتسبب في حزن إنسان.

إني لم أرتكب القتل، ولم أنقص طعام جائع.

إني لم أرتكب الزنا.

إني لم أخسر مكيال الحبوب.

إني لم أنقص مقياس الأرض.

إني لم أطرد ماشية، ولا طيراً من مَرعَايَ.

إني لم أضع سدّاً على المياه الجارية، أو أعيق طريق ماشية.

إني لم أتدخل مع الإله في شئونه.

لذا أطالبك بميزان عدل الحق أن تسعد موتي.

فأنت الإله الأحد لا إله غيرك.

(أنشودة من جدارية في مقبرة حامل أختام الملك إخناتون، تل العمارنة).

@ART_OF_BOOK

وادي الملوك، بعد دفن الملك الشاب "توت عنخ آمون" بعدة أيام.

تسلل ظلان في الظلام. يمشيان بهدوء على رمال الصحراء، أحدهما منحني الظهر، والآخر لجسدٍ يافع، يحمل ثقلاً على كتفه، وحقيبة من قماش الكتان بيده تصدر صوتاً يدل أن بها أدوات معدنية، يتحركان بحذر، ويتفاديان أماكن الحراسة في اتجاه مقبرة الملك الجديدة.

قبل المقبرة جلس الظلان يستريحان خلف تبةٍ من الرمال، فهمس الفتى لمن معه بصوتٍ خفيضٍ:

ـ لم يبقَ غير القليل يا معلم ونصل إلى حيث مقبرة الملك الراحل.

رد عليه المعلم "آني" بتعبٍ، وهو يضحك ضحكة خفيضة حزينة:

ـ لقد أصبحت من الكِبَرِ بحيث إنْ بضع خطوات ترهقني يا "سنفرو " يا بُنَي.

رد سنفرو ، وهو ينظر إلى وجه معلمه بحنو :

ـ ولكن بحكمتك تنير طريقنا يا معلمي، أدامك الرب لنا في هذه الحياة، وجعل رحلتك الأبدية مع الإله الواحد في السماء.

سكت "سنفرو " برهةً، ولكن لم يستطع أن يكبح جواد تساؤلاته، كما هي الحال مع مَن هم في مثل عمره، فقال:

ـ ولكن كيف أن الملك كان موحداً على خطى والده "الملك إخناتون"، وحكم باسم "آمون"، وغير عقيدته، واسمه، والآن يوصي بأن يدفن معه كل تلك التعليمات، والوصايا لـ"آتون" ومخطوطات الحكيم "يويا" معه؟ إن عقلي مشوش يا معلمي، فلم لم يستمر على

@ART_OF_BOOK

عبادة آتون من البداية، وأكمل مسيرة أبيه؟

نظر الحكيم "آني" إلى الأفق البعيد، والنجوم التي تبرق في ظلامه.

_ كان هذا سر الملك يا صغيري، عندما اغتيل أبوه "إخناتون" بالسم، وقاموا بدفنه في مقبرة لا تليق بملك بدون أية جنازة ملكية، وبعدها ظهر "كهنة آمون"، وشوهوا تابوت والده بمعاونة الخونة بالقصر، وعلى رأسهم زوجته "نفرتيتي"! ووضعوا عمه غير الشقيق على العرش، عندها أحس بضعفه أمام سطوة "كهنة آمون"، وتسلطهم على الشعب، وخيانة الجيش وقادته، فهم الملك الصغير أنهم لن يسلموه الحكم إلا إذا اتبع "آمون"، وكهنة معبده، بعد أن سلموا الحكم لـ"سمنكارع"، ولكن في داخل عقله وقلبه احتفظ بكل تعاليم أبيه الدينية، ورسالة التوحيد للإله الواحد، وكتمها سِرّا حتى عن أقرب الناس إليه بل حتى عن "آي" (كبير كهنة آمون)، الذي خدع إخناتون من قبل، وجعله يصدق بتحوله عن عبادة آمون بل وجعله كبير كهنة "آتون"، والمشرف العام على معابده، والذي كان هو المرشد الروحي، والمعلم الديني للملك الشاب حتى استرد عرشه منهم.

_ ولكن حتى عن الملكة نفرتيتي يا معلمي، وهي مَن ربته، وتزوج من ابنتها؟

نظر له المعلم، وتنهد بحرارة قبل أن يقول:

_ ألم يكن "حور محب" رئيس جيش إخناتون، و "آي " كبير كهنة آتون ووزير إخناتون، ألم تكن نفرتيتي زوجته وتوأم روحه ؟ وهم أول من خانه وطعنه في ظهره وهم أول مَن قلبوا الشعب عليه، وجعلوا أكثرهم يترك "أخيتاتون" لتصبح مهجورة خاوية ؟! الطعنات المميتة يا بُنَي لا تأتي من الأعداء ولكن من الأقرباء، من أكثر من وثقت بهم، إنك ما زلت صغيراً يا فتى لم تختبر بعد شرور نفوس البشر.

@ART_OF_BOOK

ولكن في النهاية، لا بُدّ من أن تذهب إلى الحياة الأخرى بدون كذب، بدون شرور بقلب نقي، ولتصل في نهاية الرحلة إلى " اليارو " يا ولدي، وكذلك لا بُدّ من أن يكون متاعك للحياة الأخرى يحمل في طياته ما آمنت به في داخل قلبك وعقلك، ما تثبت به أنك اتبعت الحق؛ حتى، وإن كنت تخفيه عن البشر، في هذا الصندوق برديات "الحكيم يويا" جد الملك "إخناتون"، تركها لِيَ " الملك إخناتون"؛ لأحفظها، وأدرسها لابنه وولي عهده، وأتلو على مسامعه ما بها من تعاليم الدين وقصص الأولين والمبعوثين من الإله الواحد إلى البشر ليعلموهم بوجوده، ووحدانيته، قصص من فروا من الطاغية، وعبروا البحر بمعجزة من الإله، وتعاليم الرب التي أنزلها على مبعوثه موشى.

سكت المعلم "آني" ؛ ليلتقط أنفاسه لبرهة، ثم نظر إلى الفتى قائلاً:

ـ أما الآن، فدعنا نكمل طريقنا إلى حيث المرقد الأخير للملك الشاب، ونضع له تلك البرديات في متاعه الأزلي؛ حتى عندما دُفِنَ لم تكن مقبرته جاهزةً لاستقبال جسده الغض! ولم يستطع أن يكتب أنشودته على تابوته؛ لكن الكاهن "آي" أعطاه مقبرته التي كان يجهزها من قبلُ لرحلته، والتي تمتلأ جدرانها بأناشيد عبادة آمون، والألهة الأخرى، وتلك من سخرية الأقدار يا ولدي.

وأطرق إلى الارض، وهو يمسح دمعة سالت على خده المجعد:

ـ مسكين أيها الملك الشاب، والآن لا بُدّ لنا من الحذر من الحراس؛ حتى لا ينتبهوا لنا.

اقترب الحكيم، والفتى من الدرجات الصخرية المؤدية إلى باب المقبرة المغلق بالقفل الملكي، وهما يريان نيران الحراس على بُعد أمتار قليلة منهما.

ـ الآن يا معلمي، كيف لنا أن نحفر في الحائط؟ وأن ندخل بدون أن يسمعونا ؟

@ART_OF_BOOK

سأذهب إلى الحراس وأحاول أن أشغلهم، وأسقيهم من شراب الشعير المخلوط بالأعشاب التي سترسلهم في سباتٍ عميقٍ، وإذا استغربوا وجودي، فسأقول : إنني هنا من أجل الدعاء للملك؛ لتكون محاكمته رحيمة عادلة، ويبحر بسلاسه إلى العالم الأبدي ولكن لا تبدأ بالحفر حتي أعطيك الإشارة.

وبعدها بساعة كان الفتى يغلق الكُوة التي تسلل منها إلى المقبرة في أسفل الحائط من الجانب الأيسر للباب بالمصيص الأبيض وغطاها بالرمال، وجمع كل معداته في حقيبته القماشية حتى لا يكون هناك أثر لأعين الحراس.

ذهب إلى حيث يجلس معلمه على الدرجات الحجرية يحرس المدخل له حتى ينتهي من مهمته بعد أن سقى الحارسين شراب الشعير، وتركهما في خيمتهما يغطان في نومهما، عندما رآه الحكيم انبسطت أساريره، كمن وصل مبتغاه بعد جهد جهيد، وهتف من أعماقه :

_ الآن سوف تكون محاكمتك عادلة أيها الملك الشاب، فلتكن حياتك الأبدية مليئةً بالخير، والسعادة.

كانت الشمس على وشك الشروق، والشعاع الأبيض يظهر على استحياء في الأفق، وكان الظلان في رحلة العودة، بعد أن ألقيا من على كاهلهما مسؤولية الحقيقة الثقيلة.

***

الأقصر قصر "توفيق باشا"

السابع من يناير 2012م

جلست سعدية على الدرجات المؤدية إلى الباب، بعد أن طرقته عدة مرات لا تدري ماذا تفعل ؟ هناك شيء خاطئ بالأمر، فالسيدتان لا تغادران المنزل تحت أي ظرفٍ، حتى من تستطيع التحرك منهما لا تستطيع الخروج من المنزل إلا عندما تكون هي داخل الفيلا، تمكث مع الأخت الكبرى المريضة.

لقد بدأ القلق ينتابها، ماذا تفعل الآن؟ لقد رفضت السيدة "ماري" منذ زمن إعطاءها مفتاح الباب! ولقد أتت أمس صباحاً باكراً بعد يوم إجازتها، ولكن لم يُجِب أحد على قرع الجرس، أو الطرق على الباب عادت بعدها إلى بيتها، واتصلت على ابنها "فايز" لتخبره، وترى ما الذي يمكن أن تفعله في هذا الظرف هل تذهب إلى الشرطة، أم تتصل بالدكتور عماد؟! تُرى هل مرضت "صوفي"، ونقلوها للمستشفى، أم ماذا ؟

"فايز" ابنها الأكبر شاب في الرابعة والعشرين من العمر، يعمل سائق تاكسي، وعندما تريد السيدتان الذهاب إلى الكنيسة أو إلى الطبيب، يقوم بتوصيلهما بسيارتهما إلى حيث تريدان؛ أي أنه أصبح سائقاً تحت الطلب للسيدتين، وهذا في نظير مبلغ من المال يساعد على أعباء المعيشة، وقد ساعدته أيضاً السيدة "صوفي" في دفع مقدم التاكسي الذي يعمل عليه الآن محاولاً إنهاء الأقساط المالية التي ما زال مطالباً بها للبنك لذلك فهو يكِنّ معزةً كبيرةً للسيدتين، فقد وقفتا بجانبه هو وأمه كثيراً بعد وفاة والده.

عندما سمع من أمه ما حدث، أشار عليها بأن تعود في اليوم التالي، وإذا لم يفتح أحد تتصل بالمحامي الخاص بهم، وهو يتصرف بالأمر، فالأستاذ "عزيز" ليس فقط محامي الأسرة

@ART_OF_BOOK

ولكن صديق مقرب للعائلة كما كان والده من قبل أيضاً.

قامت بالاتصال بالمحامي "عزيز منير"، وأخبرته بما حدث، وأنه ليومين متتاليين لم يفتح لها أحد الباب، وليس هناك من حركة في المنزل، فطلب منها أن تنتظره أمام الباب، وهو قادم لها على الفور.

كان يوماً بارداً من أيام يناير، ولكن كانت الشمس تظهر على استحياء من وراء الغيوم ماذا يفعل الآن؟ أليس من حقه يوم إجازة مع الأسرة؟ قال عزيز لنفسه بضيق، وهو متجه إلى الفيلا: حتى الدكتور عماد قد أغلق تليفونه هو الآخر، أليس من الممكن أن تكون "صوفي" قد أصابتها نوبة من نوباتها، ونقلها عماد إلى المستشفى؛ ولكن لا على الأرجح كانت "ماري" قد اتصلت به، وأخبرته !

مرت كل الأفكار الممكنة في مخيلته، وهو متجه إلى بوابة القصر ليجد سعدية تنتظره ومعها ولدها فايز، وهما في أشد حالات القلق، سألهما بلهفة:

ـ أليس هناك من جديد؟!

ردت سعدية:

ـ أبداً يا أستاذ عزيز منذ أمس، وأنا أطرق الباب، ولا أثر، أو صوت لهما!

رد عزيز بتوتر :

ـ لماذا لم تتصلي بي أمس؟ لماذا انتظرتِ إلى اليوم؟!

ـ توقعت أن تكونا قد ذهبنا إلى المستشفى، كما حدث من قبل مع "الدكتور عماد" ، ولكن اتصلت بالدكتور، وتليفونه مغلق، فقلت لنفسي : أكيد لديك خبر عنهما؛ ولكن الآن

بعد عدم معرفتك أنت أيضاً، فهذا يعني أن هناك شيئاً خاطئاً.

تركها "عزيز" وذهب إلى الباب يطرقه بعنفٍ لعل وعسى، وكما كان متأكداً . لم يجد جواباً، فحاول الطواف حول البيت، وهو يدري جيداً أن سعدية قد قامت بكل هذا قبلاً.

رجع إلى سعدية، وقال لها بقلق:

_ لا بُدّ من إبلاغ الشرطة، فهذا الوضع غير طبيعي بالمرة.

دخل عزيز مسرعاً إلى "قسم شرطة الأقصر" مفضلاً الذهاب بنفسه، بدلاً من الهاتف؛ ليشرح الوضع، وخصوصاً أنه يوم الإجازة بمناسبة عيد الميلاد المجيد، وجد أن قسم الشرطة فارغ، إلا من عدد قليل من الأفراد يعدون على الأصابع؛ لأن أغلبية القوة تؤمن الكنائس والأديرة في عيد الميلاد دخل على مكتب تقديم البلاغات، وقام بفتح بلاغ باختفاء السيدتين، لكن الشرطي أخبره بأنه ليس هناك أي إجراء حتى يمر ثمانية وأربعون ساعة على تقديم بلاغ الاختفاء، حاول أن يقوم باتصالاته مع إحدى الرتب لتسريع الأمر، وفتح القصر ولكن دون جدوى، والتفت إلى الشرطي الجالس على مكتبه منكبّا في كتابة أوراق بالية قائلاً بجِدة :

_ يا شاويش اسمعني لا بُدّ من سرعة فتح القصر الموضوع ليس اختفاءً لأشخاص عادية.

رد عليه الشاويش الجالس على مكتبه بدون أن ينظر إليه، وهو منهمك في الأوراق التي أمامه:

_ يا أستاذ "عزيز" الموضوع ليس بيدي، وأنت تدري كل القوات موجودة بالخارج؛ لتأمين الكنائس حتى سيادة المقدم بنفسه موجود هناك للإشراف على القوات.

غادر "عزيز" وهو يكاد ينفجر من الغيظ مما يحدث، واستمر بالاتصال بالدكتور "عماد"؛ حتى يكتشف إذا كان على علم بهذا الاختفاء أم لا.

صباح اليوم التالي دخل المقدم "أحمد الخشاب" إلى مكتبه، وهو غير قادر على إبقاء عينيه مفتوحتين، فقد كان أمس مع قوات التأمين حتى ساعات الصباح الأولى، قرع الجرس للفرد أمام مكتبه ليحضر له كوب القهوة السادة ليبدأ يومه، وهو يمني نفسه بيوم هادئٍ من الأحداث كعادة الأيام الأولى التي تلي يوم العيد؛ ولكن لم تتحقق أمنيته الغالية، إذ اقتحم عليه النقيب "علاء المصري" مساعده في القسم، وهو شاب في الثلاثين من العمر يمتاز بوسامة شرقية، وجسد رياضي ممشوق حصل عليه من ممارسة رياضة الجوجتسو، وحصوله على مراكز على مستوى الجمهورية، منذ أن كان في كلية الشرطة.

بادره علاء بالتحية الرسمية، ثم أتبعها بسرعة:

ـ صباح الخير يافندم.

ـ صباح الخير يا علاء.. خير، ماذا حدث؟ أرى أن هناك شيئاً..

ما وراؤك ؟

ـ سيدي هناك بلاغ بالغ الأهمية، ورأيت أنه لا بُدّ من أن أحيطك علماً به قبل أن أتخذ أي تحركاتٍ بخصوصه.

نظر إليه مستفهماً :

ـ هاتِ ما عندك، أدري أنه لا يمكن أن تمر هذه الأيام بدون أي إزعاج، أو مشاكل.

ـ تقدم محامي أسرة "توفيق باشا" ببلاغٍ عن اختفاء السيدتين المقيمتين بالقصر لمدة

@ART_OF_BOOK

يومين.

امقتع وجه المقدم أحمد"، وجلس منتبهاً على مقعده، وسأل بسرعة :

كيف هذا؟ متى؟ ولماذا هو متأكد من أن هناك شيئاً وراء اختفائهما هكذا ؟! ألا تكونا قد غادرتا القصر لشيءٍ طبيعي، كزيارة أحد من أقاربهما مثلاً؟

رد "علاء"، وهو يمط شفتيه:

_ لأنهما لا تغادران القصر تحت أي ظرف، فحالتهما الصحية لا تسمح، فواحدة منهما طريحة الفراش بالكامل، وعاجزة عن الحركة، وليس لهما أقارب معروفون لتقوما بزيارتهم، وفي المجمل لا تنتقلان من المنزل بدون الخادمة، وابنها.

تنهد، وقال، وهو يضع يديه على رأسه:

_ حسناً، اطلب إذناً من النيابة لدخول القصر يا علاء، الوضع لا يبشر بخير أبداً.

***

التاسع والعشرون من ديسمبر 2011م

دخلت "ريم" الجريدة، فوجدت حالة غريبة من الهرج.

العاملون في الجريدة واقفون على شكل مجموعات، ولا يوجد أحد على مكتبه ويعلو وجوههم تعبير غريب، تلفتت تبحث عن عم صالح، فهو "صندوق المعلومات" في هذه الجريدة، ويعرف كل شيء عن أي شيءٍ، وإذا كان هناك خبر أو إشاعة فمن يخبرك عنها هو صالح بالطبع، حتى وجدته يقف مع إحدى المجموعات وهو يتكلم بتجهم، مما يدل على جَدية الموضوع، كان يحمل صينية المشروبات كعادته الأزلية نادت عليه، فنظر لها، وأشار بمعنى أنه : انتظري دقيقة، وسأحضر لكِ. جلست " ريم" على مكتبها تنظر إلى المكاتب الخاوية، دخلت "حنان" زميلتها بطريقة عاصفة تحمل حقيبتها الكبيرة المنتفخة على الدوام، وبادرتها، وهي تلهث :

ـ هل علمتِ بما حدث للأستاذ سعيد؟

ردت " ريم" باستفهام:

ـ ماذا حدث يا حنان؟ علمت عندما دخلت من باب الجريدة أن هناك شيئاً غير طبيعي، ماذا حدث هل قبضوا عليه؟

قالت حنان، وعيناها تلمعان لمعان من يعرف الأسرار كلها، وابتلعت ريقها :

ـ يقال: إن الأستاذ سعيد وُجِدَ ميتاً في شقته هذا الصباح، الأقاويل تردد أنه انتحر بشنق نفسه بحبل من السقف، والبعض الآخر يقول: إنها جريمة قتل؛ نظراً لأن الأستاذ سعيد غير محبوب وسط مجموعة معينة كان يهاجم أفكارها في مقالاته دائما، المهم أن هناك تعتيماً

عن الموضوع من المباحث حتى الآن، وكل الزملاء يحاولون الحصول على أية معلومات دون جدوى.

دخل صالح، وهو ما زال يحمل صينية المشروبات كأنها جزء من شخصيته لا يمكن الاستغناء عنه، وبادرهم وهو يلهث من فرط الانفعال أو الركض بين المكاتب لنقل الحدث:

ـ هل عرفتم ما حدث للأستاذ سعيد؟

ردت حنان ببرود مَن يعرف من قبل، أو لا يهتم مع أنها كانت تغلي للوقوف على تفاصيل الحادث؛ ولكنها لن تعطيه هذه السعادة من لهفتها على المعرفة، وحتى تستدرجه للبَوح بتفاصيل أكثر :

ـ عرفنا يا عم صالح، تقصد وفاة الأستاذ سعيد في منزله - رحمه الله .

فوجئ صالح بأسلوبها البارد، وقرر أن يجعلها تلتفت لما يقول:

ـ نعم يا أستاذة، ولكن ليس هذا فقط، فأنا لدي جميع التفاصيل عن الموضوع، فعبده خادم الأستاذ سعيد هو صديقي، وابن منطقتي، وقد أخبرني بكل شيء على الهاتف.

وقد كان له ما أراد، حيث ردت حنان بلهفة:

ـ أخبرنا يا عم صالح، ماذا حدث بالضبط؟!

ـ لقد ذهب عبده كعادته كل صباح لشقة الأستاذ سعيد في السابعة صباحاً؛ ليوقظه ويعد له الإفطار، وعبده لديه مفتاح باب الخدم الذي يستعمله كل يوم كالعادة، وعندما دخل، وجد الشقة مقلوبة رأساً على عقب، كل شِبر فيها مُبعثر، دخل مذعوراً إلى غرفة الأستاذ، فوجده مربوطاً على كرسِي في غرفة النوم، مخنوقاً بحبل غليظ، وليس هذا فقط، ولكن كان

هناك سيجار محشور بحَلقِهِ، أما الأغرب فهو علامات التعذيب على وجهه، وجسده، كمن تعرض للضرب قبل خنقه.

عندها صرخ عبده من الفزع، ولم يتوقف؛ حتى تجمع الجيران في الشقة ومنهم من اتصل بالشرطة.

قالت "ريم" بذهول:

_ معنى هذا أنها جريمة قتل، وليست انتحاراً!

رد صالح في حماس لا يتفق مع الحدث:

_ لا، أي انتحار يا أستاذة ؟ الشرطة فقط لا تريد أن يتسرب شيء عن الجريمة في الوقت الحاضر.

جلست "ريم"، وحنان صامتتين تنظران إليه، وإلى بعضهما بعضاً في ذهول.

عندها هُرِ عَ صالح خارجاً؛ ليبحث عن آخر جاهلٍ بالمعلومات القيمة التي يحملها ليلقيها على مسامعه ويعزز تلك السمعة في الجريدة بأنه هو فقط يعرف ما لا يعرفه الآخرون.

غادرت "ريم" الجريدة مبكراً؛ نظراً لحالة الهرج التي تعم الأنحاء، فقد أخبروا جميع المحررين بالانصراف باكراً، ما عدا أعضاء مجلس الإدارة؛ لترتيب الأوضاع، وطبعاً مَن يترأسه الآن سيكون نائب رئيس التحرير" الأستاذ حامد إسماعيل"، وهو على النقيض من رئيس التحرير الراحل، فهو شخصية محبوبة من العاملين، ويتميز بمواقفه المحترمة والواضحة والصريحة في عديدٍ من الأحداث، وكم من المرات شاهد العاملون عديداً من الصدامات، والمنازعات بينه وبين "سعيد المنزلاوي" رئيس التحرير الراحل، وفي العديد من المرات نزل

رئيس التحرير على رأي نائبه؛ لأنه يعرف جيداً أنه الأصح مع كل هذا كان هناك شيء واحد مؤكد، وهو أن "سعيد المنزلاوي" يكن احتراماً كبيراً لنائبه لا يعرفون سببه، ولكن السبب المجهول لهم هو لماذا يعمل الأستاذ حامد في جريدة لا تتفق مع مبادئه، وتوجهاته ؟!

وجدت "ريم" والدتها تعد الغداء، واستقبلتها بدهشة، فقصت عليها ما حدث، وقصة مقتل رئيس التحرير، وشكوك الشرطة في أن المسؤول هم مجموعة من الجماعات التي تتبنى فكراً معيناً يعارضه رئيس التحرير، ودائماً ما يعارضهم، ويستهزئ بهم في مقالاته، وما ينشره في جريدته، ولكن لم يعلن أحد مسؤوليته عن الجريمة، ولم تعلن الشرطة أي تفاصيل!

دخلت رنا عائدة من مدرستها، ووجدتهما جالستين في وجوم وباندفاعها المعتاد قالت لـ"ريم" :

_ سمعت بما حدث لرئيس تحريرك من "النت"، أخبريني بالتفاصيل، فكل شخص الآن لديه نظرية في مقتله؛ ولكن هناك مَن يشيع أنه انتحار.

ردت "ريم" على اندفاع شقيقتها بهدوء:

_ أنا نفسي ليس لَدَي إلا ما صرحت به الشرطة، فهناك تعتيم على الموضوع، وكل الأخبار المشاعة ليست إلا تخميناً من البعض.

فكرت رنا لبرهة، وقالت :

_ "ريم"، هل تعتقدين أن هناك علاقة بين المذكرات التي أخذها منك، ومقتله ؟!

_ ماذا؟!

ردت "ريم" باندهاش، وهزت رأسها بالنفي :

@ART_OF_BOOK

بالطبع لا، فما علاقة مذكرات قديمة بمقتله؟ إن هذه المذكرات ليست بذات أهمية على الإطلاق، لقد أثرت على عقلك الأفلام البوليسية التي تشاهدينها يا رنا، ولكن أتعرفين؟ لقد نبهتِني إلى شيء، وهو كيف لي أن أسترجع تلك المذكرات الآن بعد وفاته؟

في حال أرادت صاحبتها استردادها.

ردت رنا بابتسامة خبيثة:

_ حمداً الله أننا قمنا بتصويرها قبل أن نعطيه إياها.

نظرت لها "ريم" متسائلة بريبة، فهي تعرف أختها جيداً، وتعرف كيف يعمل عقلها :

_ ماذا تخفين يا رنا خلف ابتسامتك تلك؟

همت رنا بأن ترد عليها؛ ولكن حينها نادتهما والدتهما إلى طعام الغداء.

***

في صباح التاسع والعشرين من ديسمبر 2011م شقة "سعيد المنزلاوي"

امتلأت شقة "سعيد المنزلاوي" برجال المباحث، ورجال المعمل الجنائي؛ لرفع البصمات، وفحص كل شِبر من الشقة، وقف الملازم أول "مصطفى إبراهيم" مع الرائد "سمير صبحي" في منتصف غرفة الاستقبال لشقة المغدور، كان الجو غائماً في الخارج، ورياح الشتاء الباردة تهب مصدرةً أصواتاً كأنها أنشودة الحداد.

تلفت سمير حوله في ضيق، وقال:

ـ لم أرَ في حياتي مسرح جريمة بهذا القدر من الفوضى! فجميع سكان المبنى كانوا بالداخل عندما وصلنا.

وأشار برأسه إلى تجمع السكان الواقفين الآن خارج باب الشقة المفتوح، وهم يصدرون همهمات كطنين النحل، وأردف قائلاً، وهو يجول بنظره في الفوضى العارمة التي بها الشقة.

ـ أتعرف يا مصطفي إنها جريمة محيرة؟ لأول مرة أرى جريمة لا تتفق أركانها مع حقيقة ما حدث بالفعل.

رد مصطفى متابعاً ببصره أثر نظرات رئيسه:

ـ كيف يا سيدي؟ فمن حالة الشقة المبعثرة نعرف أنها محاولة للسرقة لا شك فيها.

ـ أعلم أن محتويات الشقة مبعثرة للإيحاء بهذا الامر، ولكن لا الموضوع غير ذلك، إذا كنت مكان السارق، فهل الوقت المناسب لسرقة شقة إحدى الشخصيات المهمة كالأستاذ سعيد وهو بها، معروف عن القتيل أنه كثير السفر، وفي غيابه لا يحضر الخادم، وتبقى الشقة مغلقة، فلِمَ لَم يستغل تلك الفترة؟

@ART_OF_BOOK

ثانياً: ألا ترى معي البَعثرة، والفوضى مقصودة للإيحاء بأنها عملية سرقة لا أكثر ؟ ألا ترى وسط تلك الأوراق المتناثرة بريق القلم الذهبي للقتيل ؟ أتعتقد أن أي سارق سوف يفوتُ تلك الغنيمة؟ وأيضاً ساعة القتيل الغالية الثمن على المنضده بجوار الفراش، من أراد أن يقنعنا بأن القتل بغرض السرقة، فقد فشل.

وشيء آخرُ هو حالة الجثة، ألا ترى أن الإصابات بها كمن تعرض إلى تعذيب بشكلٍ محترفٍ، وليس عشوائيا ! فمن يسرق، ويباغته أحد ما وقتها، فهو إما يهرب، أو يضربه بشيءٍ، أو يطعنه، ولا يربط الضحية، ويستمر بتعذيبها، وأيضاً قتلها إلا لو كان مجنوناً، ولا أعتقد أن مَن قام بتلك الجريمة مجنون!

رد مصطفى، وهو يمط شفتيه

_ إذاً، فهو أحد التنظيمات التي تجاهر بالعداء لشخص الأستاذ سعيد، إنهم الآن متواجدون، وبقوة على الساحة.

هز سمير رأسه نافياً :

_ لا، هذا ليس أسلوبهم، إذا كان الغرض هو الخلاص من شخص بالقتل، فما الحاجة إلى قلب نظام الشقة؟ وشيء آخر، هل لاحظت اختفاء تليفون القتيل؟ لا يا مصطفى، أشعر بأن هناك لغزا كبيراً في الموضوع من الموجود الآن ممن هم على صلة بالقتيل ؟

نظر مصطفى إلى الشرطي الواقف خارج باب الشقة، وهو يحكم قبضته على عبده خادم القتيل، والأخير لا يتوقف عن البكاء بصوت خفيض، ويمسح دموعه بطرف كُمه.

وقال بصوتٍ خفيضٍ، وهو يشير برأسه ناحيته:

الموجود حالياً هو عبده خادم القتيل، وهو الذي اكتشف الجثة صباحاً.

رد سمير، وهو يضع يديه في جيبه:

ـ فلنتحدث معه قبل أن نأخذه إلى القسم لأخذ أقواله، فدائماً الأقوال تختلف عند الأشخاص من موقع الحدث عن أقوالهم في قسم الشرطة، هنا الذاكرة ما تزال نشطة، والخوف في أوجِهِ.

دخل عبده الردهة، وهو يتصبب عرقاً ممسكاً بذراعه أحد أفراد الشرطة ذو وجه متجهم بادره الرائد "سمير" بهدوء ليهدئ من رَوعه:

ـ تعال يا عبده، أنت من اكتشفت الجثة، احكِ لنا ماذا حدث بالتفصيل.

ابتلع عبده ريقه، وتكلم بصوت مرتعش:

ـ أنا يا باشا اسمي "عبد الكريم حسين" عمري 49 عاماً، أعمل لَدَى الأستاذ منذ . سبع سنوات، وكل يوم أصل إلى الشقة في السابعة صباحاً كل يوم، ما عدا يوم الجمعة فهو إجازتي الإسبوعية قبل أن أصل، أمر على مطعم الفول بجانب العمارة؛ لأحضر الفول، والخبز الطازج ؛ لأن الأستاذ يحب الخبز ساخناً لإفطاره لَدَي مفتاح باب المطبخ الخلفي، اليوم دخلت الشقة فوجدت كل شيء مقلوباً كما ترى، حتى المطبخ كان مقلوباً رأساً على عَقِب ناديت على الأستاذ، فلم يرد، وجدت باب غرفة النوم مفتوحاً والنور مضاءً، وهذا ليس من عادة الأستاذ، فهو لا يستطيع النوم إلا وباب الغرفة مغلق، والأنوار مطفأة نظرت فوجدت الأستاذ سعيد مربوطاً عارياً بالكرسِي، وفمه مكمم، ومخنوق بكرافتته كما ترى يا باشا، فما دَرَيت بنفسي، إلا وأنا أصرخ، وأركض إلى الباب الخارجي مستمرا بالصراخ؛ حتى تجمع الجيران حولي، ولم أدرِ بنفسي بعدها حتى وصلتم.

@ART_OF_BOOK

أمسك الرائد سمير بذقنه مفكراً قبل أن يسأل عبده.

ـ هل كان باب المطبخ مغلقاً بالمفتاح عندما وصلت صباحاً؟

رد عبده مفكّراً:

ـ أجل يا باشا، إنني أتذكر جيداً أنني أغلقته مرتين بالمفتاح في الليلة السابقة كالعادة، وعندما قدمت صباحاً كان على الحالة نفسها .

ـ وعندما فتحت الباب الخارجي، هل تتذكر أنه كان مغلقاً بالمفتاح، أم لا؟

ـ الصراحة يا باشا، لست متأكداً؛ لأني وقتها لم أكن في وعيي ...

لحظة، لا يا باشا، لم يكن مغلقاً بالمفتاح؛ لأني على ما أتذكر فتحته مباشرة، وركضت على سلم العمارة، وهذا غريب؛ لأن الأستاذ دائماً يغلقه بالمزلاج من الداخل، وأنا الآن متأكد من أنني لم أفتح المزلاج عند خروجي.

نظر له الرائد سمير مفكّراً ثم قال:

ـ أخبرني يا عبده، هل كان هناك كثير من الناس يترددون على الأستاذ في الشقة؟

ـ لا يا باشا، نادراً أن يقابل الأستاذ أحداً هنا في المنزل، فقط بعض السيدات اللاتي يترددن عليه من وقت لآخر في نهاية الإسبوع، أحضَر كل ما يحتاجه للسهرة، وأنصرف بعدها، دائماً مقابلاته للعمل تكون بمكتبه، أو على كافيتريا في فندق مشهور " هو من زبائنِه " كان دائماً يقول لا بُد من ترك العمل عند باب المنزل.

لكن أذكر أنه منذ أسبوعين حدث اختلاف في نظامه هذا، حيث كانت هناك سيدة تتردد عليه في وقتٍ متأخر ؛ حتى أنه كان يصرفني باكراً من العمل، ولا يطلب التحضيرات

المعتادة، حضرت له مرتين في الأسبوعين الماضيين، ولكنها مختلفة عن الأخريات، وكان الأستاذ يقابلها في غرفة مكتبه، كما أن طباع الأستاذ سعيد كانت غريبة في ألايام الاخيرة.

_ تقول إنه كان يصرفك من العمل عند حضورها، فكيف عرفت بوجودها، وكيف كانت طباعه غريبة؟

_ في إحدى المرات نسيت أغراضي، ومن بينها مفتاح منزلي، فعدت لأخذها من باب المطبخ، وشاهدت تلك السيدة، والأستاذ يستقبلها، ويقودها إلى غرفة المكتب، ولكني انصرفت سريعاً، وبحرص حتى لا يراني، ويغضب مني.

نظر له "سمير" مفكّراً بشك، هل قام بالجريمة، والآن يحاول أن يوجهَ أنظارهم إلى شيءٍ آخر، ويضللهم بوجود سيدة في الموضوع ؟! ففي أغلب الأحيان المشتبه بهم هم أقرب الناس بالضحية.

_ هل تستطيع وصف تلك السيدة؟ وما وجه اختلافها عن الأخريات كما تقول؟

نظر له عبده، وهو يحاول أن يتذكر التفاصيل:

_ ملامحها يا باشا ليست مصرية كما أظن، هي سيدة شقراء نحيفة، وطويلة، وثيابها من النوع الغالي، ويبدو عليها الاحترام في تصرفاتها، والأستاذ قابلها بشديد الاحترام غير الأخريات؛ حتى أنه قبلَ يدها عند استقبالها.

_ وكيف عرفت أنها أتت مرتين، وأنت تقول إنك رأيتها مرة واحده ؟!

_ صاحب المطعم الذي أشتري منه الفول، والخبز صباحاً أخبرني أنه الأسبوع الماضي، وهو يغلق المحل شاهد السيدة، وهي تنزل من سيارة سوداء فخمة، وغادرت السيارة بسرعة

بعدها، وكان يتكلم أمامي عن شكل السيدة الجميل، والفخم كما يقول، ولكن لم يكن يعرف أنها قادمة لملاقاة الأستاذ، ولكن حكى لي عن السيارة الغريبة، والسيدة الشقراء الجميلة التي خطفت ناظريه.

نظر الرائد "سمير" إليه برهة، ثم قال:

ـ أخبرني عن حالة الأستاذ سعيد في ايامه الأخيرة.

ـ كان في غاية القلق والعصبية، كمن ينتظر شيئاً على أحر من الجمر، وكان يجلس على الكمبيوتر لأوقات طويلة على غير عادته في المنزل.

أومأ الرائد سمير برأسه كمن فهم ما يريد قوله ثم أمره بهدوء.

ـ أريد منك أن تتجول في المنزل، وترى أي شيءٍ مفقودٍ من غرفة المكتب وغرفة النوم، والاستقبال؛ ولكن بدون أن تلمس شيئاً، مفهوم؟

أومأ عبده برأسه في خوف، وهو لا يزال يرتجف من الصدمة وذهب إلى الغرف الأخرى، ومعه أحد المخبرين الموجودين وعندما عاد قال بتأكيد:

ـ تليفونات المرحوم ليست موجودة؛ فلديه ثلاثة تليفونات محمولة، وأيضاً كمبيوتر المكتب، والكومبيوتر المحمول، جميعها مفقودة.

ثم صمت برهة وتردد، فبادره "الرائد سمير" قائلاً:

ـ وماذا أيضاً تكلم.

ـ لا أدري، ولكن هناك درج في المكتب دائماً الأستاذ يغلقه بالمفتاح، ومنذ أسبوعين أحضر الأستاذ عدة كتب قديمة مغلفة بجلد تمساح بُني، وعليها أحرف ذهبية يبدو من

مظهرها أنها قيمة، وشكلها مميز ، ووضعها في ذاك الدرج، وأغلق عليها؛ ولكنها الآن مفقودة، والدرج مكسور .

نظر له "سمير" بتفكير، وقال:

ـ شيء غريب واضح أن الجاني يبحث عن شيءٍ معين، وليست سرقة عشوائية، كما قلت من قبل هل هناك شيء آخرُ يا عبده؟

رد عبده، وهو لا يزال يرتجف :

ـ لا أدري يا باشا، فالمنزل مقلوب رأساً على عقب، من الممكن أن يكون هناك أشياء أخرى، ولكني لا أستطيع أن أحددَ في تلك الفوضى.

ـ حسناً يا عبده، انتظر في الخارج مع الشاويش علي.

ثم نظر إلى مصطفى:

ـ لا أدري مدى صحة كلامه، أريد التحريات عن هذا الموضوع في أسرع وقت، وسؤال كل من له صلة بالقتيل والجيران وأصحاب المحلات، وخصوصاً صاحب المطعم الذي ذكره عبده، وأيضاً لا بُد لنا من القيام بالتحريات في المجلة التي كان يرأسها الضحية؛ لعل وعسى نجد خيطاً هناك، كما أريد استعجال تقرير الطبيب الشرعي، والبحث الجنائي، وأيضاً التحري في شركة الهواتف فالقتيل شخصية عامة، وستكون الضغوط علينا كثيرة للوصول إلى الجاني بسرعة.

بعد يومين نزلت "ريم" من الجريدة إلى ردهة الاستقبال وألقت التحية على أفراد الأمن الجالسين في ملل خلال هذا الوقت المُمِل، حيث تقل الحركة مساءً في المبنى.

@ART_OF_BOOK

كانت على وشك العبور إلى الجهة المقابلة من الشارع، حيث تقوم بالمشي إلى بيتها القريب من الجريدة، سمعت مَن ينادي باسمها بلهفة:

ـ آنسة "ريم"!

التفتت لتجد شابا في الثلاثينات، طويلَ القامة، نحيفاً يتجه ناحيتها بخطواتٍ ثابتة يبدو على مظهره الهدوء، ولكن هناك ما أخافها، فخلف هذا المظهر الهادئ هناك شيء غريب لم يطمئنها البتة، فعيناه ذواتا نظرة حادة غريبة تبعثان على الريبة، وعدم الارتياح التفتت نحو الجريدة لترى أفراد الأمن على مرمى البصر، فاطمأنت، حيث أنها لو شعرت بأي خطر فستصرخ، ويسمعون صراخها.

تتبع الشاب نظراتها إلى مدخل الجريدة، وابتسم، وقال بصوت هادي:

ـ أنسة " ريم"، معك ملازم أول "أحمد عبد السلام" من قسم شرطة مدينة نصر، من فريق تحقيق مقتل رئيس التحرير "سعيد المنزلاوي".

نظرت إليه "ريم" غير مرتاحة.

ـ هل من الممكن أن أرى تحقيق الشخصية؟!

ابتسم الشاب، وأخرج من جيبه حافظة نقود، وأخرج منها بطاقة تحقيق الشخصية التي توضح عمله كضابط شرطة، وأعطاها إياها .

تحققت "ريم" من الصورة، والإسم على البطاقة، وردته إليه، وابتسمت متنهدة قائلة :

ـ أرجو أن تعذرني، فأنت تعرف في ظل تلك الظروف، لا بُدّ من أن نكون حذرين.

رد بابتسامة لم تصل إلى عينيه.

@ART_OF_BOOK

أجل معك حق، ولكني كنت أريد أن أتحدث إليك عن جريمة مقتل رئيس التحرير إذا سمحتِ لي.

ردت بدهشة:

ـ لقد تحدثت مع مَن أتوا ليحققوا في الجريدة معنا جميعاً، وأخبرتهم بكل ما أعرفه، فلِمَ هذا الاستجواب الآن، وفي الشارع؟!ولماذا أنا فقط؟! أنا لا أدري شيئاً عن الموضوع، وكل علاقتي بالأستاذ سعيد كانت مِهنية فقط.

وأردفت بخوفٍ، وهي تتراجع إلى الوراء بدون أن تشعر.

ـ أم هناك اتهام ضدي؟

ضحك الشاب ضحكة غير مريحة، ورفع يده ليسكتها، وقال:

ـ مهلاً آنسة "ريم". كأنك أنتِ مَن تحققين معي، وليس العكس! انظري، هناك "كافيه" قريب من هنا، فلنجلس، ولأشرح لكِ كل شيء.

ترددت "ريم" لبرهة، واستغربت من اقتراحه هذا، ثم قالت في نفسها: ما المشكلة؟ فإنه مكان عام، وبه كثير من الناس، فلم الخوف ؟

وافقت على مضض، وسارت معه إلى "الكافيه" القريب.

جلس الاثنان متقابلين على إحدى الطاولات المتطرفة البعيدة عن سمع العاملين، والمريدين.

أتى النادل لأخذ الطلبات، فرفضت أن تطلب شيئاً، وطلب هو كوباً من القهوة السادة، نظر

@ART_OF_BOOK

لها، وابتسم قائلاً:

ـ كالعادة، القهوة السادة هي وقود العاملين في الشرطة طوال اليوم، لا ندري كيف نعمل أو نعيش بدونها ؟

نظرت له "ريم" بجدية غير متجاوبة مع مزاحه، وأردفت بسرعة:

ـ لقد كنت تريد أن تسألني عن مقتل رئيس التحرير ؛ ولكن لم تجبني على أسئلتي بعد!

ـ أولاً : لقد حضرت إلى الجريدة أمس، وقابلت العديد من الأفراد، وذهبت إلى قسم التحقيقات، كما قابلت زميلتك الآنسة حنان، وهي بالمناسبة شخصية ظريفة جِدا، ونظراً لكثرة العمل طوال اليوم، فلم يكن لَدَي وقت لأحضر حتى وقت متأخر اليوم.

ـ ولكن كيف عرفت أنني "ريم" المقصودة؟!

ابتسم بنفاد صبر، وقال:

ـ رأيت صورتك في المكتب على أحد التحقيقات السابقة، هل سنظل في تلك الأسئلة طوال الليل ؟! اسمحي لي، ليس لَدَي الليل بطوله ! أريد أن أنتهِيَ من هذا التحقيق فلَدَي مهام أخرى.

أحست بالخجل من هجومها عليه، فهو في النهاية لم يستدعِها إلى قسم الشرطة للتحقيق، وردت بصوتٍ خفيضٍ:

ـ أنا آسفة تفضل.

ـ قبل مقتل "سعيد" المنزلاوي" بأسبوع كان هناك مشادة بينك، وبين الأستاذ سعيد، هل لي أن أعرف السبب؟

قالت بحدة:

ـ من قال لك هذا ؟! لم يكن هناك أية مشادة بيني، وبين الأستاذ سعيد.

تراجع إلى الوراء في كرسِيه متفحصاً فيها، وبان عليه الضيق:

ـ زميلتك حنان هي من أخبرتني بأن هناك خلافاً وقع بينك وبين رئيس التحرير، ما أسباب هذا الخلاف؟

يا إلهي يا حنان، ألا تستطيعين التوقف عن الكلام، أو التدخل فيما لا يعنيك؟ فكرت ريم بغيظ

ثم ردت بهدوء مفتعل :

ـ لم يكن خلافاً قلت لك، مجرد أنه كان هناك أشياء خاصة بالتحقيق الأخير، ولم أخبره بها؛ لأنها ليست ذات أهمية للتحقيق، وغضب مني وقتها، وانتهى الموضوع في وقته.

ـ أريد أن أعرف بالتفصيل ماذا حدث.

قصت عليه كل ما حدث مع رئيس التحرير، عندما علم بموضوع المذكرات، وكيف أن صاحبة الشأن ائتمنتها عليها، ولكن "سعيد المنزلاوي " أصر على الاطلاع عليها، وهي ترى أن غضبه كان سببه : كيف لم يأخذ هو حق كتابة تلك المذكرات، ويوضع اسمه عليها؛ وهو رئيس تحرير الجريدة!

أتى النادل بالقهوة، فسكتت عندها حتى انصرف.

ارتشف رشفة من القهوة، وقال:

أعتقد أن له الحق في ذلك، فهو رئيسك في العمل، وله الحق في أن يستغل هذا العمل بحكم الخبرة.

قالت بتوتر :

ـ معك حق أنا أعلم ذلك؛ ولكن تلك رغبة صاحبة الشأن، وأنا احترمتها.

رد بتركيزٍ مريب :

ـ أريد منك أن تقصي عليّ كل شيءٍ حدث لك في القصر، ومع تلك السيدة بالتفصيل.

ـ وما علاقة ما حدث بالأقصر بحادثة القتل؟!

رد بعصبية:

ـ تلك أشياء تخصنا نحن، مما يعني أن هذا عمل الشرطة فقط، أخبريني بكل شيء.

قصت عليه كل ما حدث لها في الأقصر حتى عودتها، وتسليمها المذكرات الخمس لرئيس التحرير، ولكن لا تعلم لِمَ أخفت عليه أنها طلبت من أختها تصوير المذكرات الخمس كاملة، والاحتفاظ بها.

بعد أن انتهت من قصتها، نظر لها بتركيزٍ، كمن يريد أن يعرف، هل كانت تكذب عليه في أية تفصيلة، أم أخبرته الصدق؟سألها، وهو ينظر في عينيها بتركيز :

ـ وبالنسبة لتلك المذكرات هل هناك نسخة عنها لديك، أو ما شابه؟

ردت بسرعة:

ـ لا، ليس عندي أي نسخ منها، لقد أعطيتها كما هي للأستاذ سعيد؛ لقد طلبها صباح

اليوم التالي، فكيف لي أن أنسخها، ولم أكن أعلم بطلبه؟

وعندها نهضت واقفة، وهي تقول بجِدة:

_ الآن أخبرتك بكل ما حدث، وكل ما أعرف، ولا بُدّ لي من الانصراف، فقد تأخرت عن موعد رجوعي، وسوف تقلق والدتي علي، هل هناك أي استفسار آخر؟

وقبل أن يرد عليها، كانت تهرول خارجة من باب "الكافيه"، وهي تحس بانقباضٍ غريبٍ في صدرها.

بعد عشرين دقيقة كانت تدخل من باب شقتها، فوجدت والدتها تجلس أمام التليفزيون تتابع المسلسل التركي بتركيز، حيتها بهدوء، وسألتها عن أختها، فقالت الأم : إنها عند جارتهن "نهى" في الطابق الأعلى لتدرس معها، فهما الاثنتان في سنة الدراسة نفسها، سألتها أمها عن عملها، وهل هناك تطورات عن حادثة مقتل رئيس التحرير، أجابتها بأنه لا جديد، عندها عادت الأم للتركيز على المسلسل، ودخلت "ريم" غرفتها، لتجد صورَ المذكرات موضوعة على مكتبها، أمسكت بها مفكرةً، هل من الممكن أن تكون تلك الأوراق وراء ما يحدث؟ ولكنها عادت، ووضعتها على المكتب طاردة تلك الأفكار غير المنطقية من عقلها، فما أهمية مذكرات شخصية ليست مشهورة كفاية في التاريخ، وليس لها أي تأثير يُذكر، ثم إن تلك المذكرات موجودة منذ عشرات السنين، فلِمَ الآن يحدث ذلك؟!

"الأقصر" السابع من يناير 2012

التاسعة صباحاً

وقفت سيارات الشرطة أمام البوابة الخارجية لقصر الأختين، ونزل منها "النقيب علاء"، وبعض أفراد الشرطة ليجد الأستاذ "عزيز" المحامي، ومعه الخادمة سعدية، وابنها فايز في انتظارهم أمام القصر.

أمر "علاء" بعض الأفراد بالوقوف أمام البوابة، واصطحب الباقين للباب الخشبي الداخلي للقصر.

أمر بعض الأفراد بكسر الباب بحذر حتى يتمكنوا من الدخول.

حاول "عزيز" أن يقترب ليدخل معهم، ولكن منعه "النقيب علاء".

نحن لا نعلم ما الذي سوف نجده بالداخل، ابقَ أنت، وسعدية، وفايز بالخارج، وانتظروا.

دخل "علاء" إلى ردهة القصر حذراً، فقد صدمته تلك الرائحة التي يعرفها جيداً، أشار إلى عدد قليل من أفراد القوة أن يدخلوا بحرص، وألا يلمسوا أي شيءٍ.

ها لهم المنظر أمامهم، فقد وجدوا أسفل السلم جثة "السيدة ماري" مقتولة، والدماء تغطي الجثة بالكامل، التي يتضح من حالتها أنها مر عليها أكثر من يومين ولكن الغريب هو وضعية الجثة.

فكأنها كانت تزحف على درجات السلم لتصعد، وعاجلها القاتل بالضربة المميتة على رأسها من الخلف؛ حتى أن الدماء قد لوثَتِ الجدارَ المجاورَ، ودرجات السلم.

نظر علاء إلى الأفراد، وأمر واحداً منهم بأن يصعد معه للطابق الأعلى. فقد ذكر المُبلغ أن هناك سيدتين في المنزل، إحداهما قعيدة الفراش، صعدوا بحرصٍ بجانب الجثة الأولى متفادين بقعة الدماء، ووصلوا إلى الطابق الأعلى، وهناك وجدوا الأخت الثانية ممددةً عند باب غرفة النوم من الخارج، وأيضاً مقتولة بعنف، والدماء متناثرة في الأرجاء، حتى أن أجزاء من المخ، والجمجمة علقت على الحائط، كما أن الأطراف مكسورة كمن تعرضت للضرب بآلة ثقيلة، أحس "علاء" بأنه سوف يتقيأ ما في معدته من هذا المشهد، فحالة الجثة كانت سيئةً للغاية، ومشوهة المعالم وليست كجثة الأخت الأخرى من الواضح وجود آثار تعذيب شديد على الجسد الواهن ولكن لماذا ؟!

وقف النقيب "علاء المصري" يبحث بعينيه في أنحاء الردهة كافة، بعد أن فتش أفراد القوة القصر، ولم يعثروا على شيءٍ غير الجثتين، أمرهم بالوقوف خارج باب القصر حتى لا تلوث أي من الأدلة، وحتى يصل خبراء المعمل الجنائي.

أخرج تليفونه، واتصل بالمقدم "أحمد رئيس القسم" ليبلغه بالجريمة، وقرر أن يقوم بتفتيش القصر بحرص حتى وصول باقي القوة.

دخل إلى غرفة قريبة من الردهة الواسعة، فوجد بها مكتباً خشبيا قيماً، وكراسيَ خشبية ثقيلة، ودولاباً زجاجيا كان قبلاً خاصا بالنياشين، والتحف على ما يعتقد، ولكنه الآن مليء بأوراق، وصحفٍ قديمة، كما وجد تمثالاً خزفيا لـ"العذراء مريم" وبعضَ اللوحات المعلقة للمسيح، والقديسين مع عباراتٍ مقتبسة من الإنجيل تشي بتدين المقيمين بالمنزل، بالإضافة إلى لوحة زيتية خلف المكتب لسفينة تواجه الأمواج العاتية، لفت نظره أن اللوحة مائلة قليلاً عن وضعها المعتاد، حمل قلمه ورفع اللوحة بحرصٍ؛ حتى لا يفسد أية بصماتٍ، أو أدلة شاهد الخزينة القابعة خلف اللوحة، ترك اللوحة واستمر في النظر حوله؛ ليكتشف أن الدولاب

@ART_OF_BOOK

الثقيل قد تمت إزاحته بضع سنتيمترات، وذلك واضح من الأثر على الحائط خلفه، حيث أن الدولاب قد ترك أثراً على مَر الزمن على لون دهان الحائط، والآن وضح ذاك الأثر مما يدل على تحركه من مكانه استغرب ذلك، مما جعله يكتشف بقية الغرف بحرص، حتى يأتي فريق المعمل، فما حدث غير منطقي على الإطلاق، اكتشف عدة أماكن تحرك فيها الأثاث حركة بسيطة لا تُلحظ لمن لا يبحث عنها، أما جميع النوافذ فقد كانت مغلقة بإحكام من الداخل ما هذا؟ وقف متسائلاً في النهاية، هذه ليست جريمة سرقة عادية، ومن دخل القصر فتشه تفتيشاً دقيقاً للغاية، يكاد يكون احترافيا، وقتل، وخرج عم كان يبحث؟! ولماذا القتل، وبالأخص القتل العنيف والتعذيب الجسدي لإحدى الأختين أسئلة لم يجد لها أجوبة.

***

دخل علاء المكتب على "أحمد الخشاب"، ملقياً التحية، فبادره " المقدم أحمد" بعصبية:

_ ما هذه الأخبار على الصباح ؟! لم نكد ننتهي من تأمين الكنائس لعيد الميلاد في ظل تلك الظروف العصيبة، حتى تأتي لنا تلك المصيبة!

_ لا أدري يا أحمد بيه، فتلك جريمة غريبة جدا، والقتل العنيف فيها غير مبرر !

أراح المقدم أحمد ظهره إلى الوراء قائلاً:

_ احكِ لي من البداية.

_ البداية، بلاغ من المحامي الخاص بالشقيقتين عن اختفائهما ليومين نقلاً عن الخادمة التي تعمل لديهما، فليس لديها المفتاح الخاص بالقصر ؛ لرفض السيدتين ذلك، السيدتان في العقد الثامن، إحداهما تكبر الأخرى بسنتين وهما الوريثتان الوحيدتان لـ "توفيق باشا"

@ART_OF_BOOK

عضو مجلس النواب، ومحافظ الأقصر قديماً.

القصر يطل على ساحة معبد الكرنك الخارجية من الخلف، وبجانبه مبنى غير مكتمل الإنشاء لقصر عمهما الراحل الذي هاجر أبناؤه بعد وفاته، ولم يكملوا البنيان.

الاثنتان على درجة عالية من الثراء الفاحش، ولديهما الملايين في البنوك، وأراضٍ، ومزارع شاسعة؛ لكنهما أصرتا على العيش في هذا القصر القديم، ولم تُغيرا في أثاثه شيئاً منذ وفاة والدهما الراحل، والقصر نفسه متهدم؛ ولكن لن يهدم تحت أي ظرف؛ وإنما قررنا التبرع به للدولة بعد وفاتهما، ومن ثم سوف يُحول إلى متحف، أو مبنى للخدمات.

دائرة معارفهما صغيرة للغاية، وهي تنحصر في كل من:

*"سعدية" خادمتهما منذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً، ابنها "فايز" سائق تاكسي، وأيضاً يعمل سائقاً للسيدتين في خروجهما القليل ذلك الذي يكون معظمه للمستشفى، أو للكنيسة.

*"عزيز منير" محاميهما العتيد، ومن قبله أبوه، كانا المسؤولين عن كل ما يتعلق بالأمور المادية، والقانونية، وإدارة الأراضي، والمزارع لـ "عائلة توفيق باشا".

*الدكتور "عماد لبيب"، طبيب مشهور بالأقصر، ويعتبر الطبيب الخاص بالأختين لوقت طويل، وعلاقته بهما أقرب إلى الصداقة.

ومن حين لآخر يتردد عليهما بعض من مستأجري المزارع؛ لتوقيع عقود، أو غيره، ولكن دائماً يكونون بصحبة المحامي.

المعروف عنهما عدم احتفاظهما بأي مبالغ نقدية كبيرة بالبيت، فقط ما تحتاجانه للمأكل

@ART_OF_BOOK

والمشرب، التحف القيمة تبرعتا بها لمتاحف الدولة، فليس هناك ما يغري أي أحدٍ لمحاولة السطو على المنزل، والأكثر ارتكاب جريمة قتل بهذه البشاعة !

نظر له " المقدم أحمد" مفكراً:

ـ جريمة محيِرة فعلاً! ليس هناك دافع، أو مبرر ! صِف لي حالة القصر عند دخولكم.

ـ باب القصر كان مغلقاً بالمفتاح كما هي عادتهم، القصر كان في حالة جيدة، ليس هناك بعثرة في الأساس أو فوضى، ولكن مع هذا إحساسي يخبرني بأنه جرى تفتيشه بدقة، ووجدت علامات تشي بذلك.

أحضرنا الخادمة لإيجاد ما إذا كان هناك أي شيءٍ مفقود، أو في غير مكانه، فلم تُفِد بأن هناك شيئاً تغير، ولكنها كانت في حالة هيستيريا، فلم نستطع أخذ أي شيءٍ مفيد منها .

أداة الجريمة كانت عبارة عن ماسورة حديدية، طولها لا يزيد عن نصف متر، وُجِدَت على طاولة الطعام في الردهة، قُتِلَت بها كلتا الشقيقتين، بالضرب العنيف على الرأس، طبعاً لا بُدّ لنا من أن ننتظر تقرير الطبيب الشرعي لتأكيد ذلك، تلك القطعة وُجِدَت موضوعةً على طاولة الطعام أرسلناها للمعمل الجنائي؛ الرفع البصمات.

ـ وماذا عن "عزيز المحامي " ؟ هل أدلى بأي شيءٍ يفيد؟

ـ لقد ذُهِلَ هو الآخر، فحياة هاتين السيدتين هادئة لدرجة غريبة، وليس هناك من يطمع بهما، أو يريد بهما شرا.

رد المقدم "أحمد الخشاب" بثبات مَن سيأخذ على عاتقه مهمة ما:

ـ هل انتهى خبراء المعمل الجنائي من مهامهم؟

رد علاء:

ـ لقد تركتهم يعملون الآن، وقام عمال المشرحة بنقل الجثتين، ولقد أتيت لأبلغ سيادتك بما وجدنا بالتفصيل أفضل من مكالمة تليفون.

فنهض المقدم أحمد واقفاً، وقال:

ـ إذاً، هيا بنا للمعاينة المفصلة لمكان الجريمة.

دخل الاثنان القصر، وكانت الساعة تقترب من السادسة مساءً، وقد انصرف كل العاملين في المعمل الجنائي، وأفراد الشرطة، إلا من فردين يحرسان الباب الخارجي، ومثلهم عند الباب الخلفي.

أُرسِلَتِ الجثتان إلى المشرحة، وبَقِيَ القصر خالياً، موحشاً، شاهداً على جريمة عنيفة غير مبررة، ودماء متناثرة رأت كل شيء.

نظر أحمد الخشاب حوله في دهشة، وقال:

ـ كيف عاشت الاثنتان في هذا القصر المهدم والأثاث المتهالك، وهما تمتلكان الملايين؟ أترى ؟ حتى الأرضية متهالكة في أكثر من موضع.

نظر "النقيب علاء" إلى الأرضية الخشبية بتمعن لقد كان المقدم على حق فعلاً، ولكن هناك شيء غريب، انحنى ينظر عن قرب إلى جزء من الأرضية قائلاً:

ـ انظر يا سيدي، هناك شرخ يبدو حديثاً في الأرضية! هل حدث وقت الجريمة، أم قبلها ؟ كأن أحداً كان يجر شيئاً حديدياً ثقيلاً، وترك ذلك الأثر.

اقترب المقدم حيث يشير علاء، ونظر متفحصاً، وعلق قائلاً:

@ART_OF_BOOK

أعتقد أن أكثر مَن يفيدنا في تلك الحالة هي "سعدية" الخادمة، فهي الوحيدة التي تعرف القصر من الداخل، ومحتوياته، وتستطيع كشف كل تلك الألغاز.

استمر الاثنان في التجول بأنحاء القصر العتيق، كان الدور العلوي يحتوي على العديد من الغرف المغلقة، تلك التي يبدو أنها لم تكن تُستخدم، كانت تحتوي على العديد من الأثاث القديم الذي يعلوه الغبار، وكثير منه مغطًى بملاءاتٍ يعلوها أطنان من الغبار المتكومِ على مدار سنوات عدة فقط، الغرفتان المطلتان على النيل، والشارع الرئيسي هما المستخدمتان من قِبَلِ الأختين، كانت الغرفتان ملتصقتين، ولكلِ غرفة حمامها الخاص، كان أحد الحمامين مجهز بمقابض معدنية على الأجناب، وبعض الأرفف لتحمل أدوات عناية بالمرضى غير القادرين على الحركة.

قال علاء :

_ أعتقد أن هذه غرفة الأخت الكبرى القعيدة التي وُجِدَت جثتُها في المِمَر أمام الغرف.

هز "أحمد الخشاب" رأسه موافقاً.

واستمر الاثنان في اكتشاف الحجرات، كان بالقصر العديد من الغرف والنوافذ التي تطل على ساحة المعبد، ومن الناحية الأخرى النيل، دخل الاثنان إحدى الغرف المغلقة، وكانت تطل على جانب القصر المواجه للمبنى تحت الإنشاء الذي لم يكتمل هنا وجدوا النوافذ مغلقة من الداخل بالألواح الخشبية، والمسامير القوية.

بعد الانتهاء من الطابق العلوي، والذي لم يُضِف لهم شيئاً في التحقيق، فالغرف المغلقة لم تفتح من قِبَل المعتدي، أو المعتدين، أو حرصوا ألا يتركوا أثراً وراءهم.

وُجِدَ أن غرف الأختين قد تم تفتيشها بعناية، ونفس النمط من الفحص الاحترافي، بحيث لا تستطيع أن تحددَ أن هناك من فتش الأدراج، وليس كعادة اللصوص بعثرة كل شيءٍ حتى الحصول على ما يريدونه من مال، أو جواهر.

نزل الاثنان ثانية إلى الطابق السفلي محاولين تجنب بقع الدماء التي تملأ أسفل الدرجات، ومن الردهة إلى غرفة المكتب، وحينها شرح النقيب علاء ملاحظاته التي وجدها عندما دخلوا القصر أول مرة، ومنه إلى الردهة، ثم المطبخ، والسلم المؤدي إلى القَبو.

كان السلم المؤدي إلى القَبو متسخاً بشدة، وتتناثر عليه صناديق وأخشاب، ومخلفات قديمة من أثاث قديم، وكان القَبو على الدرجة نفسها من الاتساخ، وهو عبارة عن غرفة كبيرة مستطيلة الأبعاد يتفرع منها غرفة صغيره تحتوي على أنابيب المياه والصرف، لم يكن هناك أي شيءٍ متحرك عن موضعه في القَبو، وإلا سيكون ملحوظاً، فقد كان الغبار يغلف كل شيءٍ، لكن كان هناك غطاء من المشمع ملقى على أرضية القبو، ويبدو أنه استعمل من وقت قريب، فلم يكن يغطيه الغبار كبقية المكان.

خرج الاثنان إلى خارج القصر، ووقفا بجوار البوابة الخارجية، وكان هواء يناير البارد يلفح وجهيهما، وينقي الصدور من رائحة الموت التي كانت تعشش بالقصر.

ساد الصمت برهة إلى أن تكلم "أحمد الخشاب":

_ جريمة غريبة بالفعل، حتى الآن ليس هناك دافع، وهذا الشيءُ المحير فعادة الجرائم في الصعيد أن يكون هناك سبب وراءها ؛ كالثأر أو الشرف أو حتى السرقة، ولكن هذه الجريمة ما سببها ؟

رد علاء :

أليس من الممكن أن يكون الدافع الانتقام ؟!

_ انتقام من سيدتين في آخر العمر؟ لماذا؟ وبتلك الطريقة الوحشية؟ وممن؟

_ للآن، لا نعرف أن لهم أعداءً؛ حتى نضع هذا في الاعتبار، في جميع الأحوال سوف نباشر التحقيق، ربما نجد سبباً لكل هذا.

صباح اليوم التالي:

ابتدأ التحقيق بمكتب المقدم " أحمد الخشاب"، وبحضور النقيب علاء المصري " كانت البداية مع سعدية خادمة الأختين.

دخلت "سعدية" المكتب، وهي ترتدي الجلباب الأسود القديم، وتضع وشاحاً أسودَ شفافاً على رأسها المحنيِ، يشي وجهها الشاحب وعيناها المحمرتان من البكاء بما تعانيه.

بادرها المقدم بالحديث:

_ - تعالَي يا سعدية، اجلسي.

شكرته بصوت منكسر، وهي تخفض رأسها، وتمسح دموعها بظهر كفها.

_ اسمك، وسنك؟

_ سعدية عبد المسيح إبراهيم.. 47 سنة.

_ منذ متى عملتِ لَدَى عائلة "توفيق باشا"؟

_ منذ زمن طويل يا بيه، أكثر من 25 سنة، كنت أعمل أنا وزوجي الراحل عندهم، وبعد وفاة زوجي استمررت بالعمل معهم.

كيف استمررتِ بالعمل معهم طوال تلك الفترة، وليس لديك مفتاح للقصر حسب ما علمت؟

ـ السيدة صوفي - رحمها الله - كانت ترفض ذلك تماماً طوال حياتها، وقبل مرضها الأخير كانت تحرص على أن تغلق جميع الأبواب ليلاً عليهما بعد خروجي، وأنا لَدَي أبناء، لا أستطيع تركهم، والمبيت في القصر، فكنت أذهب في المساء عند الثامنة،وأعود في الصباح عند التاسعة صباحاً ما عدا الجمعة.

رد المقدم أحمد:

ـ حسناً يا سعدية، احكِ لنا عن حياتهم، معارفهم، أقاربهم، بحكم وجودك الدائم بالقصر.

ـ طوال حياتهم كانوا في حالهم، معارفهم ليسوا كُثر ، كان لهما أقارب، أولاد عمومة، ولكنهم هاجروا منذ زمن، كان الأخوات الثلاث يعشن في عزلة تقريباً، ومنذ سنتين تُوُفيَتِ الأخت الكبرى السيدة جميلة بمرض السرطان، ومن بعدها مرضت السيدة صوفي هي الأخرى، ليست لهم صلة غير بالمحامي، والطبيب، وكاهن الكنيسة.

ـ هل يزورهما أحد؟ أو تزوران أحداً؟

ـ لا يا بيه، فقط المحامي، وفي بعض الأوقات يصطحب معه أحد المستأجرين، ولكن هذا الموضوع لا يحدث كثيراً إلا عند تجديد عقود، أو ما شابه.

أما الطبيب، فهو على تواصل مستمر معهما بالهاتف، أو بالزيارة، وخصوصاً مؤخراً بعد اشتداد المرض على السيدة "صوفي" - رحمها الله - .

@ART_OF_BOOK

وأيضاً يقوم قسيس الكنيسة بزيارتهما بين فترة، وأخرى، أما طلعاتهما، فهي إما إلى البنك للحصول على المال اللازم لمصاريف البيت، أو إلى المستشفى أو الكنيسة أحياناً، وهذه توقفت مؤخراً بعد صعوبة نقل السيدة "صوفي"، وابني "فايز" هو من يوصلهما بسيارتهما إلى تلك الأماكن، فهو سائق تاكسي؛ ولكن إذا احتاجته "الست ماري"، فهو دائماً تحت أمرها، ولكنه يستخدم سيارتهما عند القيام بذلك، فقد كانتا ترفضان الانتقال إلا بالسيارة الخاصة بهما.

ـ هل تحتفظ الأختان بأموال، أو أشياء قيمة في البيت؟

ـ لا أبداً دائماً مبلغ بسيط لاحتياجات المنزل من الطعام، أو فاتورة الكهرباء، وهكذا. وليس لديهما أي حُلِي ثمينة في المنزل، فهما تودعانها في خزنة في البنك.

ـ هل شاهدتِ أي شيءٍ مريبٍ مؤخراً، أو أحداً يحوم حول القصر ؟

ـ لا يا بيه، أبداً.

ـ هل هناك أعداء للأختين من الممكن أن يرتكبوا تلك الجريمة؟

بدأت سعديه في البكاء والنحيب، قالت من بين دموعها :

ـ السيدة "صوفي"، والسيدة "ماري" دائماً في حالهما، ليس لهما أعداء.

ثم سكتت لبرهة قائلة:

ـ لكن كان هناك منذ فترة طويلة مشكلة مع أحد رجال الأعمال الكبار؛ لأنه قد أخذ قطعة أرض من أرضهما بوضع اليد؛ حتى عندما حدثت السرقة اتهموه بأنه المحرض عليها ولكن لم يثبت عليه شيء.

رد "المقدم أحمد" باندهاش:

ـ سرقة؟ هل حدثت سرقة في القصر من قبل ؟!

ـ أجل يا بيه منذ حوالي ست سنوات، ودخل اللص من النافذة المجاورة للمبنى المهدم المجاور للقصر في الليل، وحاول إخافة السيدتين؛ ولكن لم يسرق إلا أشياء بسيطة، وعندما تنبهت السيدة "ماري" لوجود لص في القصر أغلقت الغرفة عليها، وعلى أختها حتى انصرف؛ ولكن تم القبض على اللصوص واستعادة المسروقات.

هز المقدم أحمد رأسه، ونظر إلى علاء بما معناه: أريد جميع المعلومات عن تلك الحادثة، وأرجع نظره إلى سعدية قائلاً:

ـ هل زارهم، أو اتصل بهم أحد مؤخراً غير المحامي، والطبيب؟

ـ لا يا بيه؛ ولكن سمعت السيدة "ماري" تتحدث مع الطبيب عن رغبتها في أن تدخل الصحافة لتصوير القصر، والكتابة عن تاريخه، وتاريخ أبيها الراحل؛ ولكني لم أرَ أحداً يزورهم.

قال، وهو يتفرس في وجهها بتمعن:

ـ حسناً يا سعدية يمكنك الانصراف.

بعد خروج الخادمة نظر النقيب علاء إلى أحمد الخشاب قائلاً:

ـ أتعتقد أن لها يداً في الجريمة؟ فهي الوحيدة التي لديها علم بكل صغيرة وكبيرة في القصر، ومن الممكن أن تشترك مع ولدها في سرقة القصر، خصوصاً أننا لا نعلم على وجه التحديد محتويات القصر، وهل كان هناك شيء قيم مفقود ؟!

@ART_OF_BOOK

نظر إليه "المقدم أحمد" بشيء من التفكير:

_ من الجائز أن تكون هي وابنها من قاما بالجريمة؛ ولكنها عملت لفترة طويلة لديهم، لماذا الآن؟!

رد علاء بسرعة

_ من الممكن أن يكون هناك شيء قيم، مجوهرات مثلاً، أو مبلغ من المال أحضرته السيدتان إلى القصر.

أسند "المقدم أحمد" ذقنه على يده، وهو يقول:

_ لو حدث هذا، فسيكون المحامي على علم به، أو التحريات من البنك ستُظهر ما إذا كانوا سحبوا مبالغ، أو أخذوا من مجوهراتهما، ومن الممكن أن يكون لسبب آخر، على العموم، الكل مشتبه به في هذه المرحلة، لا نستثني أحداً.

استأذن "النقيب علاء" :

_ "فايز " ابن سعدية في الخارج الآن، هل استدعيه؟

_ دعه يدخل.

دخل فايز، وهو يتصبب عرقاً -رغم برودة الجو- ويبدو على مُحَياه الشحوب، والتوتر.

بادره "النقيب علاء" قائلاً:

_ اسمك وسنك وعملك ؟

_ "فايز ميخائيل نخلة".

سني 27 سنة يا بيه، أعمل سائق تاكسي، وأيضاً أعمل سائقاً خاصا للسيدتين "صوفي، وماري" وقت أن تحتاجاني لطلعاتهما للكنيسة، أو المستشفى.

ـ هل كنت تدخل القصر عادة؟

ـ لا يا باشا، فقط لأوصل الطلبات لأمي من باب المطبخ فقط؛ ولكني لم أصعد إلى الطابق العلوي، إلا منذ زمن عندما كنا نغلق النوافذ بالألواح الخشبية بعد حادث السرقة مع بعض العمال.

ـ هل لديك علم بوجود أي أعداء للضحيتين؟

ـ لا أبداً يا باشا، لقد كانتا على خلق، ولم يكن بينهما، وبين أحد أي خلاف، وكانتا خيريتين، وتوزعان أموالاً طائلة على الفقراء، والمحتاجين، وحسب معرفتي؛ هما تركتا كل أموالهما للكنيسة، ودار الأيتام.

تبادل " أحمد الخشاب" النظرات مع علاء، ثم نظر إلى فايز قائلاً:

ـ متى آخر مرة شاهدت السيدتين على قيد الحياة؟

ـ منذ حوالي شهر، كانت السيدة "صوفي" لديها تحاليل في مستشفى الدكتور عماد، فقدت السيارة بهما، ومعهما أمي إلى المستشفى، وانتظرتهما لإعادتهما.

ـ هل لديك علم عن أي شيءٍ قيمٍ في القصر يُغري أحداً بأن يقوم بتلك الجريمة من أجله؟

ـ أبداً يا باشا، فحالة القصر كما رأيتموه على وشك الانهيار، والأثاث قديم متهالك، وكل شيءٍ قيم قامت السيدتان بالتبرع به، أو وضعه بالبنك.

تستطيع الانصراف الآن يا فايز ؛ ولكن من الممكن أن نستدعيك مرة أخرى.

ـ تحت أمرك يا باشا.

وانصرف مسرعاً، ومن خلفه كان الشرطيان يعلمان بحدسهما، وخبرتهما أن هناك خطباً ما بالمدعو "فايز".

وضع "المقدم أحمد" يديه على وجهه، وهو متعب، ونظر إلى "علاء" قائلاً:

ـ من الباقي من الشهود متواجد بالخارج، لقد تعبت، وتعلم أن لنا أسبوعاً قبل احتفالات الميلاد في حالة استنفار، ولم أنم جيداً.

ـ باقي المحامي فقط يا سيدي، وهو المُبَلغ عن الاختفاء.

ـ فليدخل، وننتهي معه بعدها ننتظر نتيجة التحريات، والطب الشرعي.

دخل "عزيز" المحامي، ويبدو على ملامحه الحزن الشديد.

بادره "المقدم أحمد" سائلاً:

ـ أستاذ "عزيز"، معروف أنك محامي الضحيتين منذ فترة طويلة، هل عندك فكرة عمن يكون له مصلحة في الجريمة؟

نظر له المحامي، ثم تنهد:

ـ لا يا سيدي، فالسيدتان تعيشان في هدوء بعيداً عن الناس، وليس لهما أي أعداء، والكل يعلم أنه ليس لديهما شيء ثمين، أو أموال داخل القصر تغري بسرقتهما.

ـ حسناً، ولكن ما وجهة نظرك تجاه الجريمة؟ ولماذا القتل بتلك الطريقة العنيفة ؟!

حقيقة لا أعلم، فمَن يستطيع أن يؤذي سيدتين في هذا العمر، و إحداهما قعيدة، ولِمَ؟

_ ألم تكن هناك مشكلات بينهما، وبين أحد رجال الأعمال الكبار على قطعة من الأرض؟

_ أجل، ولكن كان هذا منذ زمن بعيد، وقد حُلتِ القضية في المحاكم، وتم الحكم للسيدتين بالأرض، وانتهى الموضوع.

_ اسمح لى يا أستاذ عزيز، هل لديك حق التصرف الكامل في أموال الضحيتين؟

فطن المحامي لما يريد الضابط، ورد بغضب:

_ هل تظن أنني أنا الفاعل؛ لأجل الاستيلاء على الأموال ؟!

لا يا سيدي، كان معي توكيل لإدارة الأعمال فقط، ومتابعة المستأجرين؛ أما الحسابات، فقد كان هناك مكتب حسابات يتابع كل حساباتهم، ويمكنكم التأكد من ذلك.

_ حسناً يا "أستاذ عزيز" سنفعل، ولكن، متى آخر مرة شاهدت فيها السيدتين؟

_ منذ حوالي أسبوع ذهبت لأحصل على توقيعهما على تجديد عقد أحد المستأجرين لمزارع الموز.

_ ألم تلاحظ أي شيءٍ غريب، أو مختلف؟

_ أبداً، ولكن لاحظت أن معنويات "السيدة ماري" مرتفعة، وكانت مبتهجة أكثر من العادة ولكني لم أسأل.

_ إذاً، هل لديك ما تضيفه في هذا المحضر ؟

رد عزيز بحزن :

ـ لا، ولكن أرجو أن تعثروا على الفاعل؛ حتى أقتله بنفسي لجريمته البشعة، فأنا أعتبر السيدتين كأقربائي.

نظر له المقدم أحمد بتمعن ، ثم أشار له قائلاً :

ـ بإمكانك الانصراف يا أستاذ عزيز وسنستدعيك لاحقاً لإكمال التحقيق.

نظر الاثنان في إثر المحامي، ثم التفت "أحمد الخشاب"، وقال لعلاء :

ـ أريد جميع التحريات الممكنة عن هؤلاء الأشخاص الثلاثة على وجه السرعة، فهم الوحيدون الآن الذين لهم صلة مباشرة بالضحايا.

انصرف النقيب علاء" محيياً رئيسَهُ.

***

جلست " ريم" تتناول طعام الإفطار الذي أعدته لها والدتها، وهي تتصفح مواقع التواصل على عجل، قبل أن تذهب إلى الجريدة، حتى وقع بصرها على خبر مقتل السيدتين في الأقصر، كانت على وشك أن تريق كوب الشاي الساخن على ثيابها وأصبح وجهها في شحوب الموتى، وقفت فجأة، وهتفت غير مصدقة :

ـ غير معقول! بل هو مستحيل!

سارعت الأم لتستفسر منها عما حدث:

ـ ماذا حدث ؟!

لقد قُتلتا يا أمي ! قُتلتا.

من يا ابنتي؟ لقد أوقفتِ قلبي.

_ السيدة التي أعطتني المذكرات، لقد قُتِلَت هي، وأختها في قصرهما !

نظرت إليها الأم بدهشة:

_ يا إلهي ! وهل عرفوا السبب ؟ هل هي سرقة أم ماذا؟ هل قبضوا على الجناة؟

_ لم يذكروا أي تفاصيل عن الموضوع، فقط خبر مقتلهما، سأذهب إلى الجريدة وأحاول معرفة المزيد، أتعرفين يا أمي؟ هناك شيء غريب عندي إحساس أن هناك شيئاً غريباً؛ ولكن لا، لا يمكن ليس هناك من صلة.

نظرت لها الأم بعدم فهم:

_ ماذا تقولين؟

_ لا شيء، مجرد تفكير بصوتٍ عالٍ.

نهضت مسرعةً تحمل حقيبتها، وتنطلق إلى الباب، عندها خرجت أختها من غرفتها، وهي تحاول أن تفتح عينيها قالت متثائبة:

_ ماذا حدث ؟ لِمَ العجلة ؟

_ ستخبرك أمي بكل شيءٍ، يجب أن أسرع الآن!

جلست "رنا" واضعةً رأسَها على يدها، ناظرة إلى أمها بعينين ناعستين:

_ ماذا حدث الآن؟

ـ لقد قُتِلَتِ السيدة التي أعطت لأختك المذكرات لنشرها، هي، وأختها في قصرهما أمس!

ـ ماذا؟!

قالت رنا، وهي تفتح عينيها عن آخرهما، "لقد استيقظت الآن تماماً".

ـ هل قبضوا على مَن فعلها ؟

ـ لا ندري، ذهبت "ريم" لتعرف التفاصيل.

ـ أمي، هل تعتقدين أن هناك علاقةً بين مقتلهما، والمذكرات ومقتل رئيس التحرير ؟

ـ لقد بدأت الأفلام البوليسية التي تشاهدينها تؤثر عليكِ ما علاقة الشرق بالغرب؟ وما أهمية بعض مذكرات خاصة قديمة بالقتل؟! هيا أنهي إفطارك؛ حتى تلتفتي لمراجعة دروسك، بما أنك في إجازة الآن، فأنت في سنة فاصلة.

جلست "رنا"، وقد علت وجهها نظرة تفكير غريبة؛ لقد نسيت أن تخبر أختها عما وجدته ولكن الآن هل من الآمن أن تخبرها ؟

هي تعرف أختها جيداً، وتعرف أنها لن تسكت عن هذا الموضوع، وقد تعرض نفسها للخطر، أو تذهب إلى الشرطة؛ ولكن لِمَ هي متأكدة إلى هذه الدرجة إن ما وجدته له علاقة بقضيتَيِ القتل ؟ هل صحيح ما قالته أمها إنها متأثرة بالقصص البوليسية، والأفلام ؟! أم أن النقاط واضحة، وفقط تحتاج من يصلها ببعضها البعض بالمنطق ؟ ولكن هناك تلك الحلقة المفقودة في الموضوع وهي السبب، فهي لم تفهم مما عثرت عليه شيئاً ذا أهمية؛ هل هو شيء يؤدي إلى مقتل ثلاثة أشخاص في فترة زمنية قصيرة ؟ وممن؟! ولماذا ؟!

كان عقلها يسبح في تلك المتاهة؛ حتى أفاقت على نداء أمها:

"رنا"، ما بك؟ أكملي فطورك، واذهبي لمذاكرتك!

نظرت لها "رنا " كمن يستيقظ من حلم غريب، هل تخبر أمها ؟ لا، فسوف تخبر أختها بالتأكيد، فهي لا تستطيع أن تخفي عنها شيئاً، مَن إذاً ؟

"نهى" صديقتها، وجارتها، فهي الوحيدة التي من الممكن أن تتفهم الموضوع، وتفكر معها فيما ينبغي أن يُفعَلَ.

***

دخلت "ريم" مسرعة إلى الجريدة، وتخطت أفراد الأمن دون أن ترد عليهم التحية متوجهة إلى قسم الحوادث، قابلت يحيي المحرر الشاب بقسم الحوادث، وسألته عن حادثة القتل في الأقصر.

نظر إليها يحيى بابتسامة:

_ ما هذا؟ هل تنوين أن تنضمي لقسمنا ؟

_ لا، ولكن كان لَدَي تحقيق منذ حوالي شهر في القصر نفسه لو تذكر.

_ أجل تذكرت ؟ غريبة! لقد قمتِ بحوار مع إحدى الضحايا، وقمتي بتصوير القصر

_ أجل، والآن أخبرني بما تعرفه كاملاً عن القصة، وليس فقط ما للنشر.

وكأنه كان ينتظر تلك الكلمة، فبدأ يحكي، ويستعرض معلوماته عن الحادث، وكيف اكتشفوا الجثتين، وهكذا.

@ART_OF_BOOK

سألته بحدة ليس لها مبرر، ولكن صبرها نفد:

ـ من المتابع للجريمة من الجريدة؟

نظر لها يحيي بدهشة من أسلوبها العصبي الذي لم يعتد عليه.

ـ إسلام، ولقد سافر اليوم صباحاً لعمل التحقيق، والالتقاء بالأشخاص المعنِيين.

ـ حسناً سلام يا يحيى، وشكراً على المعلومات.

وانطلقت سريعاً تُجاه مكتبها، وهي عازمة على خطوة ستفعلها مهما حدث حتى لو اتهموها بالجنون!

قابلت حنان، وأخبرتها بأنها سوف تنصرف لعمل مهم، ورجتها أن تأخذ لها إذنَ انصرافٍ، وانطلقت إلى قسم مدينة نصر، تبحث عن "الملازم أحمد عبد السلام" الذي قابلها من قبل فهو الوحيد الذي تعرفه، وله علاقة بجريمة رئيس التحرير، خطت داخل المبنى المزدحم واتجهت ناحية شرطي يقف عند الباب بزِ يه الرسمي بادرته بالتحية:

ـ السلام عليكم.

رد بنبرة كسوله

ـ وعليكم السلام.

ـ لو سمحت أريد أن أقابل الملازم أول أحمد عبد السلام، أين يمكن أن أجده؟

نظر لها نظرة خاوية، ورد بحروف "ممضوغة" لا تكاد تفهم !

ـ ليس لدينا ضابط بهذا الاسم يا ست.

@ART_OF_BOOK

أنا متأكدة من أن هناك ضابطاً اسمه "أحمد عبد السلام" ملازم أول بقسم مدينة نصر.

نظر حوله حتى وجد رجلاً بديناً يوحي شكله بأنه من قدامى العاملين بالقسم، وإن كان يرتدي ملابس مَدَنية خمنت "ريم" أنه من مخبري القسم، هتف الشرطي منادياً بصوتٍ عالٍ:

_ عم "عبد التواب"، هل لدينا هنا بالقسم ضابط اسمه "أحمد عبد السلام"؟!

نظر له عبد التواب"، وهو يشعل سيجارته:

_ لا، ليس لدينا هذا الاسم في القسم!

نظر لها الشرطي نظرة - معناها - هل رأيتِ؟ لقد كنت على حق، وأردف قائلاً:

_ عم "عبد التواب" يعرف حتى النملة التي تدخل القسم، وعندما يقول: إنه ليس هنالك أحد بهذا الاسم، فبالتأكيد ليس هنالك ضابط بهذا الاسم.

التفتت "ريم" إلى المخبر " عبد التواب" بابتسامة مجاملة، وسألته:

_ مَنِ الذي يدير التحقيق في حادثة "الأستاذ سعيد المنزلاوي" يا عم عبد التواب؟

نظر لها بتلبد، وأشاح بوجهه:

_ لا أدري ! غير مسموح بإعطاء معلومات لكل مَن هب ودب.

غاظتها الجملة، ولكنها كظمت غيظها، ودسَت في يده ورقة من فئة العشر جنيهات قائلة:

_ لست أي أحد يا عم عبد التواب"، فأنا من الصحافة، وكنت أريد أن أعرف عن الضابط الذي تُناط به القضية لعمل تحقيق صحفي ليس إلا.

تغيرت حالة الرجل، ونظر لها بابتسامة مشرقة :

@ART_OF_BOOK

ـ لماذا لم تقولي ذلك منذ البداية؟

الذي يحقق في القضية الملازم أول "مصطفى إبراهيم"، وسيادة الرائد "سمير صبحي"!

ـ وهل توصلوا إلى أحد مشتبه به يا "عم عبد التواب"؟

أشاح "عبد التواب" بنظره، وقال:

ـ تلك معلومات سرية يا أستاذة، لا أستطيع الإفصاح عنها حتى للصحافة.

وضعت "ريم" في يده خمسة جنيهات أخرى، وهي تضغط على فكيها، فقد بدأ أسلوب الاستنزاف.

نظر "عبد التواب" يميناً، ويساراً كمن هو على وشك أن يعطي معلومات في غاية الخطورة :

ـ التحريات تقول: إن هناك سيدة وراء الأمر.

ردت ريم بلهفة:

ـ سيدة؟! أية سيدة؟ وهل عرفوا مَن هي؟!

ـ لا أدري يا أستاذة فالموضوع كبير للغاية، وقيد السرية.

رأت أنه ليست هناك فائدة من الحديث معه، فلن تصل معه إلى شيء، وقد يجرها في هذا الحوار إلى ما لا نهاية، أو حتى نهاية نقودها لذا انصرفت وهي تشعر بأن رأسها يكاد أن ينفجر من الأسئلة، من هو "أحمد عبد السلام" الذي تحدث معها؟ لقد أراها بطاقه الشرطة التابعة لقسم مدينة نصر، فماذا كان يريد منها ؟! وكيف عرفها ؟ أسئلة ليس لها أجوبة!

@ART_OF_BOOK

أما السؤال المهم الآن، فهو : ماذا ستفعل؟ ولمن تلجأ ؟

***

دخل "علاء" على "أحمد الخشاب" مؤدياً التحية الرسمية، حاملاً في يده ملفا ورقيا يحمل عدداً غير قليل من الأوراق.

لقد وصل تقرير البحث الجنائي يا سيدي، وهناك العديد من المفاجآت به.

نظر إليه أحمد، وقال:

_ هاتِ ما عندك.

تقرير البصمات يشير لوجود بصمات الضحيتين بالقصر وسعدية بالطبع، وبصمات الدكتور، والمحامي، فايز

_ كل هذا معلوم، فما الجديد؟

_ الجديد، بصمتان بغرفة المكتب على ذراع كرسِي، غير معلوم صاحبهما، أما المفاجأة الغريبة، فهي وجود بصمات لفايز بالقبو !

نظر إليه أحمد الخشاب" بعينين تضيقان من التفكير.

_ معنى هذا أنه قد كذب بعدم دخوله القصر !

_ ليس هذا فقط، وإنما وجوده في القَبو، ألا نفترض مثلاً أنه دخل هناك لتصليح أي من مواسير المياه، أو الكهرباء.

_ لماذا حرص أن يخفي ذلك، وأنكره؟ كان من الممكن بكل بساطة أن يخبرنا أنه يدخل

القصر للمساعدة، فلماذا أنكر؟

ـ سنستدعيه للتحقيق معه اليوم بالمناسبة لقد حضر "الدكتور عماد"، وهو في الخارج للإدلاء بأقواله.

قال أحمد:

ـ فليدخل لنرى ما عنده.

دخل من الباب شخص طويل القامة، أنيق أناقة نجوم السينما، يبدو أنه في العقد السادس، يعلو رأسه شعر أشيب، ثقيل مصفف بعناية.

مَد يده إلى الضابط أحمد قائلاً:

ـ "عماد لبيب السحيمي".. طبيب، وصاحب مستشفى الرحمة، وأعتبر طبيب العائلة للمرحومتين.

ـ هل كنت تعرف الضحيتين منذ زمن يا دكتور ؟

ـ نعم، منذ فترة طويلة أكثر من خمسة عشر عاماً، قبل إنشاء المستشفى.

ـ كيف كانت علاقتك بهما ؟

ـ كانت كعلاقة عائلية قبل أن أكون الطبيب الخاص بهما.

ـ هل تعرف عن أحد يكن لهما العداء، ويرغب في التخلص منهما.

ـ أبداً، الأختان - رحمهما الله - كانتا في غاية الطيبة، محبتان العمل الخير، ولم يكن لهما أي خلافات، أو عداوات مع أحد.

@ART_OF_BOOK

هل كانتا تمتلكان شيئاً ثميناً يستحق أن يطمع به أحد.

أبداً، فكل التحف القيمة تبرعتا بها للمتاحف، وليس لديهما بالقصر أي مبالغ مالية تغري أحداً.

ـ هل تعرف "الأستاذ عزيز منير"؟

ـ طبعاً من المحامين الأفاضل، وهو المحامي الخاص بالضحيتين، ومخلص لهما بشدة، ومن قبله كان أبوه المحامي الخاص بالعائلة.

ـ وسعدية الخادمة؟

ـ سعدية تعمل لديهم منذ أكثر من خمسةٍ وعشرين عاماً، وتعتبر المسؤولة عن كل متطلبات الأختين، وهي بعيدة عن الشك.

ـ متى آخر مرة رأيت، أو تحدثتَ مع القتيلتين؟

ـ آخر مرة كانت على الهاتف، قبل أسبوعين كنت اتصلت بهما؛ للاطمئنان على صحتهما اتصال عادي أقوم به كل عدة أيام.

ـ وكيف كان الحديث؟ أو بالأحرى عم دار؟

ـ عن الاطمئنان عن صحتهما، وإذا كانتا في حاجة إلى أي شيءٍ، وروتين الدواء للسيدة "صوفي"؛ لكن في المرة الأخيرة كانت معنويات السيدة "ماري" مرتفعة على غير العادة، وأكاد أجزم بأنها كانت سعيدة للغاية؛ ولكني لم أسألها عن السبب، أشعر بالأسف لذلك الآن ولكن كنت مشغولاً وقتها للغاية، وكانت تلك المكالمة للواجب ليس أكثر !

ـ مفهوم يا دكتور ، ما قصة الصحفية التي ذهبت للقصر، وكانت من طرفك؟

@ART_OF_BOOK

نظر الدكتور إلى أعلى، وابتسم ابتسامة خفيفةً:

ـ لم تكن من طرفي على وجه الدقة، لقد اتصلت بي "ماري" منذ حوالي شهر ونصف كانت ترغب في أن يكون هناك تحقيق صحفي عن القصر، وقيمته التاريخية، وتصويره من الداخل وسيرة والدها الراحل، وسألتني إذا كنت أعرف أحداً من المجلات المشهورة لعمل هذا التحقيق، لكن لم أكن أعرف أحداً من هذا المجال سوى الأستاذ "سعيد المنزلاوي" - رحمة الله عليه - فقد عرفت أنه قُتِلَ في حادثة سَطوٍ على منزله منذ أسبوعين.

هو رئيس تحرير مجلة ليست بتلك الشهرة الكبيرة، ولكن اتصلت به إرضاء للسيدة فقط، ورد بأنه سوف يرسل أحد الصحفيين لإجراء ذلك الحوار ؛ ولكنه لم يكن متحمساً جِدا للموضوع فأنت تعرف الأحوال المضطربة الآن، وأن هناك أخباراً متعلقة بالوقت الحاضر أهم من صور، وتحقيق عن شخصية سياسية قديمة، وليس هناك مجال لإرسال أحدٍ من القاهرة إلى الأقصر لإجراء تحقيق حول قصر، لا يعتبره البعض ذا أهمية.

ـ هل عرفت ما حدث في هذا اللقاء، أو كيف انتهى؟

ـ للأسف لا اعتبرت الموضوع نزوة من سيدة على مشارف النهاية، وبعدها انشغلت في مشاكل المستشفى، وغيرها، وخصوصاً أننا كنا على مشارف العيد، والإجازات، فلم أركز في الموضوع، ولكن هل هناك صلة بين مقتلهما، وذلك الموضوع؟

نظر له "المقدم أحمد" متفرساً في وجهه:

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أن تصوير القصر، وتذكير الناس به من الممكن أنه قد أغرى أحد اللصوص، إن به

تحفاً، أو آثاراً كما أشيع منذ زمن، كما أحيا شائعة السرداب بين المعبد، والقصر.

نظر إليه علاء باستفهام

ـ أي سردابٍ تقصد يا دكتور ؟!

ـ أقصد أنه طوال حياة تلك العائلة كانت هناك شائعات تحوم حول القصر، وأن "توفيق باشا" قد حفر سرداباً تحت القصر، ذا مدخل سِري إلى مقبرة فرعونية، واستمر هذا الزعم إلى أن ملت منه الناس، كما أن القصر على مَر السنين قد تعرض للاقتحام عدة مرات، وكم من المرات أمسكوا السارق، وأعادوا المسروقات ! وفي بعض الأوقات يكتفى المقتحم بالتفتيش فقط، ولا يصل الأمر إلى الشرطة، هذا ما حكته ليَ الأختان.

ـ هل لديك فكرة عن احتفاظهما بأشياء ثمينة داخل القصر ؟

ـ على حدِ علمي لم تحتفظا داخلَ القصر إلا بمبلغ يكفي الحاجات الأساسية كالطعام، حتى مرتب سعدية، وابنها يسلمه لهما المحامي الخاص بهما، ولا توجد تحف، أو شيء قيم بالقصر الآن ليطمع به أحد.

ـ شكراً يا "دكتور "عماد" بإمكانك الانصراف.

بعد انصراف الطبيب نظر كل من علاء، وأحمد إلى بعضهما، وعلى وجه كل منهما علامات الحيرة.

قال أحمد وهو يتنهد:

ـ من الواضح أننا نواجه جريمة غير مفهومة على الإطلاق، فليس هناك دافع، ولا سرقة هل مرتكبها مختل نفسيا أم ماذا؟

@ART_OF_BOOK

رد علاء :

_ وهل رأيت طوال فترة عملك مختلا نفسيا يرتكب جريمة بكل هذه الدقة؟ ولا يترك وراءه دليلاً أو بصمات، ومكان الجريمة بغاية النظافة !

على العموم، لا نستطيع أن نقررَ الآن حتى يصل تقرير الطبيب الشرعي، أرجو منك الاتصال لاستعجالهم، وأيضاً أريد أن تكون جميع التحريات عن كل الشخصيات المتعلقة بالضحايا أمامي في أقرب وقت.

دخلت " ريم" إلى منزلها بعد أن أنهت عملها بالجريدة، فوجدت والدتها بالمطبخ تحضر عشاءً خفيفاً، وبادرتها:

_ لقد أوشكت على الانتهاء من الطعام، فهيا بدلي ثيابك حتى أضعه على المائدة ونأكل سويا.

دخلت " ريم " غرفتها، وذهنها مشغول بما اكتشفته، لا تستطيع إيجاد طرف خيط يصل إلى نتيجة، ما الذي يحدث ولماذا ؟ ما سِر ذلك الضابط المزيف؟ وما الذي كان يريده منها ؟! لقد كانت تشعر بالخوف مما اكتشفته.

خرجت، فوجدت أمها قد وضعت الطعام، وجلست في انتظارها، لاحظت الأم شرودها، فسألتها بقلق:

_ ما بك يا "ريم"؟ أرى بالك مشغولاً، ووضعتِ الطعام أمامك من وقت طويل، ولكنك لا تأكلين!

_ لا شيءَ يا أمي أنت تعرفين ما يحدث في الجريدة، والإدارة الجديدة، دعك من هذا أين

رنا ؟ صار لي يومان لا أراها !

ـ هل رأيتِ ما أعني ؟ لقد أخبرتك أنها ذهبت عند خالتك، وأولادها في الفيوم حتى نهاية الإجازة.

ـ لقد تذكرت الآن؛ ولكني لم أرَها سوى لحظات قليلة هذا الأسبوع.

ـ عزيزتي لقد كنتِ أنتِ المشغولة على الدوام بعد حادثة رئيس التحرير، وحادثة الأقصر ، وهي قد بدأت إجازة نصف العام وقالت: أنها تريد أن تتنزه، فأرسلتها إلى خالتها.

تذكرت "ريم" شيئاً:

ـ أمي، بالمناسبة لقد طلبت منها أن تصورَ ليَ المذكرات قبل أن أسلمها إلى رئيس التحرير - رحمه الله - ألا تعرفين أين وضعتها ؟ لقد أخذتها من غرفتي بعدها، ولا أجدها الآن.

ـ لا أدري، ولكن على الأرجح ستجدينها في غرفتها، ابحثي في مكتبها .

أنهت "ريم" عشاءها على وجه السرعة، وساعدت والدتها في التنظيف، وبعدها اتجهت إلى غرفة أختها؛ لتبحث عن الأوراق المصورة، وانصرفت أمها؛ لتتابع مسلسلها المفضل.

دخلت "ريم" غرفة أختها، ولم تكن "رنا" من محبي النظام في يوم من الأيام!

كان مكتبها مليئاً بالأوراق، والملخصات فوق بعضها بعضاً، وأغلبها أوراق مصورة فكيف ستعثر على نسخة المذكرات في هذه الفوضى؟ بالإضافة إلى أنها أخرجت كل محتويات دولابها لانتقاء ما سوف تأخذه معها في الإجازة، أمضت "ريم" نصف ساعة تبحث بالغرفة حتى وجدت ما كانت تبحث عنه موضوعاً بحرص في درج الطاولة المجاورة للفراش، ومغطى ببعض المجلات القديمة، حمداً لله أخيراً.

@ART_OF_BOOK

جلست "ريم" على حافة فراش أختها تتصفح الأوراق المستطيلة، والكلمات المصورة عليها ؛ ولكن ما هذا ؟! لقد وضعت أختها علاماتٍ على بعض الجمل، وأسهماً، وأرقاماً، ما هذا؟ هي تعلم أن تأثر أختها بالأفلام البوليسية والروايات؛ ولكن ما الذي يجعل أختها تهتم بأن تقرأ مذكرات تاريخية ليس لها أية أهمية لمن هم في عمرها ؟! حاولت أن تفهم شيئاً مما كتبته أختها على هوامش الأوراق ؛ ولكن هيهات فخط أختها من رابع المستحيلات أن يستطيع أن يفك رموزه أي إنسانٍ عادي، فقط استطاعت أن تقرأ كلمة الحفلة، ثم تاريخاً، قامت بالاتصال بأختها؛ ولكن لم تلقَ أي جواب، فتركت لها رسالة أن تعاود الاتصال بها للضرورة.

***

دخل "النقيب علاء" مسرعاً إلى مكتب "المقدم أحمد الخشاب" حاملاً بيده عدة أوراق، ويبدو على محياه الغضب الشديد. بادره الأخير :

_ يا فتاح يا عليم خير ما الذي أغضبك إلى هذا الحَد؟

_ لقد أرسلوا تقرير الطبيب الشرعي لتشريح الجثتين صباحاً.

_ أعطني إياه، لقد كنا في انتظاره على أحر من الجمر .

رد علاء بسخرية

_ لا تتفاءل، فهذا ما يغضبني.

_ ماذا ؟

_ لا يوجد به شيء يمكن أن يقودنا إلى كشف اللثام عن حقيقة الجريمة، ليس هناك أية

بصمات على أداة الجريمة، أو الجثتين، ولا حتى أي أثر من مرتكب الجريمة، كجلد تحت الأظافر مثلاً، أو شعر !

ـ معنى ذلك أن من ارتكب تلك الجريمة على قدر من الحرفية العالية ؟

رد علاء بضيق:

ـ تقصد من ارتكبوا تلك الجريمة.

نظر له المقدم أحمد متسائلاً

ـ كيف ذلك؟

ـ لقد أثبت الطب الشرعى أن من ارتكب الجريمة شخصان، أو أكثر حسب آثار التعذيب الموجودة على الجثتين، وبالأحرى جثة الأخت الكبرى التي كان لها النصيب الأكبر من التعذيب.

ـ وماذا يعني ذلك؟!

ـ يعني أن هناك آثار تعذيب على الجثتين، من المرجح أن مَن قام بها اثنان أو أكثر، وبأدوات ليست منها الماسورة التي عثرنا عليها .

رد "المقدم أحمد" بدهشة:

ـ ما هذا ؟! وأين ذهبت تلك الأدوات ؟! ولماذا تركوا الماسورة فقط وراءهم ؟! ما هذه الجريمة ؟! وما المراد من سيدتين في هذا العمر ؟ أعتقد لو عثرنا على السبب فسيقودنا بالتأكيد إلى الجناة.

@ART_OF_BOOK

رَد "النقيب علاء":

ـ المحير هو القادم، لقد طلبت من البحث الجنائي بيان مكان بصمات "فايز" بالتحديد، واحذر ماذا وجدوا؟ بصمات حديثة لفايز على باب القَبو، وعلى المشمع الموجود به، أشعر بأن هذا "الفايز" وراءه مصيبة، إن لم يكن هو مرتكب الجريمة مع شركاء.

رد "المقدم أحمد" باهتمام:

ـ لماذا تشك فيه؟ هذا ليس إثباتاً على ارتكابه تلك الجريمة، ولا تنسَ أن له مدة يعمل مع الضحيتين، فلماذا الآن؟ وماذا سيستفيد ؟!

ـ لا أدري؛ ولكنه كان مرتبكاً بشدة، وقال: إنه يدخل فقط إلى الصالة، أو إلى المطبخ، فماذا كان يفعل في القَبوِ؟!

هَز "المقدم أحمد" رأسه موافقاً:

هل تحريت عنه بدقة؟

ـ فايز منذ سنة لم يكن لديه سوى التاكسي فقط، ودخله لا يكاد يكفي متطلبات المعيشة له، ولإخوته مع راتب أمه بالطبع؛ ولكن -كما قلت- منذ أقل من سنة بدأت تظهر على فايز النعمة، والكثير يقولون : إنه بدأ بالصرف ببذخ، وقام بتغيير التاكسي بآخر أحدث، ولا يعرف أحد من أين يأتي بكل تلك الأموال! إلا أن "فايز" منذ عام تعرف على مجموعة أصدقاء جدد، منهم سائق تاكسي آخر، وميكانيكي، وصاحب محل بيع موبايلات، وأصبح تجمعهم عند محل الموبيلات وصاحبه سوابق، سبق القبض عليه، وأمضى عقوبة حبس سنتين؛ للمتاجرة في الموبايلات المسروقة.

@ART_OF_BOOK

أما الميكانيكي، فهو أيضاً ليس بعيداً عن الشبهات، على الرغم من عدم ثبوت أي شيء عليه للآن.

رد المقدم أحمد بتركيز :

_ إنه شيء مهم للغاية، كثفِ المراقبة عليه وأريد أن أعلم كل خطوة يخطوها وكل نَفسٍ يتنفسه.

_ حصل يا فندم، لقد أمرت بذلك بالفعل.

_ ماذا أيضاً في التقرير ؟

_ الطب الشرعي أثبت أن الأخت الكبرى قد قُتلت قبل شقيقتها بحوالي نصف الساعة تقريباً، ووجدوا أن إحدى يديها مهشمة بآلة حديدية، كما أن ساقيها تعرضتا لضربٍ مبرح؛ مما أدى إلى العديد من الكسور بهما، وتهشم بالجمجمة، وكدمات حول العين اليسرى نتيجة ضربها بشدة.

نظر له "النقيب أحمد" بدهشة:

_ كل هذا في عجوز تعدت الثمانين وقعيدة لماذا؟

_ لا أدري على وجه التحديد، ولكن الصغرى قد هُشمَت جمجمتها، وهناك بعض الكدمات المتفرقة على الجسم؛ ولكن ليس هناك كسور وكان اتجاه الجثة على الدرج كأنها صاعدة لأعلى وقد قام القاتل بتهشيم رأسها من الخلف بالماسورة الحديدية التي وُجدت في مكان الجريمة.

_ -هل هناك ما سُرقَ من القصر ؟

بحسب كلام سعدية، لا يوجد مسروقات، كما وجدنا ساعة يدٍ نسائية ذهبية قيمة بجوار فراش الأخت الصغرى، ومبلغاً ماليا صغيراً، والاثنان في مكان ظاهر للعيان، فلو كان لص، أو لصوص دخلوا بغرض السرقة، لما تركوا هذه الغنيمة!

_ فعلاً شيء غريب، فالعنف الذي قُتِلَت به الاثنتان غير مبرر بالمرة .

_ هناك شيء آخر، القصر تعرض للتفتيش بدقة متناهية ولكن بدون ترك أي أثر ، حتى أنهم حركوا بعض قطع الأثاث الثقيلة، وقاموا بإعادتها مكانها بعد التفتيش خلفها.

نظر له أحمد مفكراً:

_ الآن لدينا جريمة ارتكبها عدة أفراد، ومن الواضح أنهم على قدرٍ عالٍ من الاحترافية، قُتِلَ فيها سيدتان مسنتان وفُتشَ القصرُ بطريقة دقيقة بدون ترك أثر وتُركت أداة الجريمة بالقصر ولم يُسرق شيء من القصر، ما رأيك؟

_ واضح أن هذا ما حدث، ولكن ما السبب؟

_ حتى الآن ليس لَدَي أي تصور ، أو استنتاج عن الدافع، هل أنهيت التحريات عن باقي المتصلين بالضحايا ؟

_ أجل، أولهم "المحامي عزيز" في العقد السادس من العمر، محامٍ شهير من أسرة معروفه بالمحاماة - أباً عن جد - والده كان يعتني بأمور عائلة "توفيق باشا" منذ زمن، وبعدها تولى ابنه المهمة، معروف عن مكتبهم تخصصه في إدارة الشؤون القانونية للعائلات الكبرى، ولا يقبل قضايا إلا للشخصيات ذات المستوى الرفيع؛ ولكن عزيزاً ليس بالشخص الذي يبدو عليه في العلن، فقد اتضح أنه مدمن على القمار بدرجة خطيرة حتى أنه منذ سنتين واجهته مشكلة خطيرة تمثلت في ديونه الكثيرة بسبب المقامرة، واضطر إلى بيع عقاراتٍ من إرث

أسرته العريقة لدفع الديون.

ـ وكيف هي أحواله المالية الآن؟

سأل أحمد بهدوء.

ـ ما زال على إدمانه؛ ولكن لا نعرف له ديون تتوجب الدفع.

ـ هذا لا يدل على شيءٍ، هل تعتقد أنه كان يختلس من أموال الضحيتين، وعندما اكتشفتا ذلك، خاف من الفضيحة فقتلهما؟ أو على الأرجح، قام بتأجير مَن قتلهما.

رد علاء مفكراً:

ـ كل شيء جائز؛ ولكنني أعتقد أنه لو كان يختلس فعلاً من أموالهما، فمن الصعب عليهما اكتشاف ذلك، وخصوصاً أنهما ليس لديهما ورثة يدققون في الحسابات؛ ولكنه قال: إن هناك مكاتب محاسبة تشرف على الحسابات، والأستاذ "عزيز" ليس غبيا ليضع سمعته في هذا المأزق.

قال "أحمد" بنفاد صبر :

ـ على العموم فلنبق أعيننا مفتوحة عليه، واستمر بمراقبته هو الآخر.

نظر علاء الى الأوراق، واستمر في السرد:

ـ طبعاً، أما بالنسبة للدكتور عماد، فكما تعلم هو دكتور مشهور في الأقصر، ولديه مستشفى خاص لا غبار عليه؛ ولكنه حصل على قروض عديدة من البنوك مؤخراً لتوسعة المستشفى.

وضع "أحمد" يده تحت ذقنه ناظراً إلى "علاء".

ـ وكيف سيستفيد من مقتلهما هو الآخر ؟!

ـ من الممكن أنه كان يبحث عن آثار داخل القصر، وكان معه معاونون، فكما تذكر أن القصر تعرض لتفتيشٍ دقيقٍ بدون إثارة أية فوضى، كما أنه الوحيد الذي ذكر السرداب، وما يقال عنه.

ـ احتمال ضعيف؛ ولكن لا يجب أن تهمل أية نقطة في هذه القضية.

ـ تبقى "سعدية" ماذا وراؤها هي الأخرى؟!

ـ ليس لدينا شيء ضدها، فهي معهم منذ أكثر من عشرين عاماً، ولم تصدر أية شكوى منها طيلة هذه السنوات من الضحايا، كانت تربي أبنائها بعد وفاة زوجها، وليست لها مشكلة مع أي أحد.

ـ ضعها هي الأخرى تحت المراقبة، لا أصدق أنها لا تعلم عن ابنها شيئاً، كيف يدخل البيت والقبو، وهي لا تعلم عن ذلك شيئاً ؟ !

***

استيقظت "ريم" صباحاً، وقد عزمت على أمرٍ ما، ستذهب إلى الأقصر مرة أخرى، لا بُد لها من معرفة ما الذي يحدث، لقد بدأت تدرك أن السر بالمذكرات التي حملتها من بيت الضحية معها، كما تُحملُ اللعنة وانتقلت إلى رئيس التحرير، حتى الآن لم ينشر أي جديد عن القضية، كما لو أن هناك منعاً للنَشر، ستحاول لكنها تعلم جيداً أنها بذلك قد وضعت نفسها في دائرةٍ لا تعلم ما الذي ستواجهه داخلها.

@ART_OF_BOOK

جهزت حقيبةً صغيرةً للسفر ، وضعت بها ما سوف تحتاجه ليومين، وأخبرت أمها بأنها سوف تذهب إلى الإسكندرية؛ للقيام بتحقيقٍ صحفي مطلوب منها، وخرجت متجهة إلى الجريدة.

ذهبت مباشرة إلى مكتبها؛ لتجد "حنانَ" جالسة كالعادة وأمامها عدة ساندوتشات وشاي الإفطار، وتتصفح هاتفها، فبادرتها :

_ صباح الخير يا حنان، أريدك أن تقدمي لي على إجازة لمدة يومين .

ابتلعت "حنان" ما في فمها، فاتحةً عينيها على اتساعهما.

_ خيراً إن شاء الله، ماذا حدث؟

هزت ريم رأسها ببطء:

_ أبداً أختى "رنا" عند خالتي بالفيوم، وقد أعلموني أنها مريضة، ويجب أن أذهب لأراها ؛ ولكني لا أريد أن أخبر أمي حتى لا تقلق، فأخبرتها بأن لَدَي تحقيقاً بالإسكندرية ليومين حتى أطمئن على "رنا"، وبعد ذلك سأخبرها.

_ حسناً، وألف سلامة لـ"رنا" سأقدم لك على الإجازة؛ ولكن لا بُدّ لك من أن تطمئنيني عندما تصلين.

_ أكيد، ولكن أرجوك لو أن والدتي اتصلت لأي ظرف كان أخبريها بأنني بالإسكندرية

_ لا تقلقي، وسأتصل بها دائماً للاطمئنان عليها.

عانقتها بحرارة، وانصرفت مسرعةً حتى تلحقَ بقطار "الأقصر".

***

وضع "النقيب "علاء" سماعة الهاتف من يده، وهو يتنهد بنفاد صبر، لقد أنهى الآن طلب ترحيل المدعو "إبراهيم سليمان" الشهير بـ"حماصة" من القاهرة، لقد كان هو الشخص الذي قُبِضَ عليه في حادثة السرقة التي وقعت منذ 6 أعوام على القصر .

لا يدري لِمَ اتجه ذهنُهُ إليه الآن ؟ لقد مر على الموضوع فترة طويلة؛ولكن مَن يدري حتى الآن لا يجد أيَ بوادر لانكشاف سِر هذه الجريمة، فعليه تتبع أي من الخيوط الموجودة مهما كانت واهنة، ومما ساعده على ذلك هو أن "حماصة" ما زال من المسجلين في سجِلات الداخلية، أما الشخص الآخر الذي كان معه في السرقة فعرف أنه قد تُوُفيَ نتيجة جرعة زائدة من المخدرات منذ خمس سنوات.

رفع عينيه، فشاهد تلك الحورية تدخل مكتبه بارتباك، يا إلهي !

هل انبعثت عروس النيل لتزوره في مكتبه اليوم ؟!

قام من على مكتبه، وهو ينظر إليها قائلاً:

_ من أي معبدٍ هربتِ؟

وقفت "ريم" في منتصف الغرفة، حائرة تنظر بعدم فهم.

_ ماذا ؟!

قال مبتسماً:

_ ألست أميرة فرعونية هربت من جدران أحد المعابد؟

@ART_OF_BOOK

فهمت "ريم" أنه يمزح، فابتسمت هي الأخرى، وقالت معرفة عن نفسها :

ـ " ريم السيد" صحفية من مجلة (المجلة).

مد يده مصافحاً، وهو لا يزال يتمعن في وجهها بإعجاب:

ـ نقيب "علاء المصري".

صافحته "ريم"، وجلست على الكرسي المقابل لمكتبه، وبدأت الكلام قائلة:

ـ "علاء بيه"، لقد عرفت أن حضرتك المسؤول عن التحقيق في جريمة قتل السيدتين "صوفي، وماري توفيق".

اعتدل في جلسته، وبانت على وجهه الجَدية، وبادرها بإشارة من يده

ـ ولكن كما تعلمين محظور النشر للصحافة، أو للعلن أية معلومات عن القضية.

قالت بسرعة:

ـ لا، لا أنا لست هنا لهذا الغرض الموضوع أكبر من هذا.

ـ ماذا تعنين ؟!

ـ أنا الصحفية التي أجرت حواراً مع السيدة "ماري"، وتحقيقاً حول القصر قبل موتها !

قطب علاء حاجبيه، وقال:

ـ هو أنتِ إذاً، لقد كنا نبحث عنكِ، وكنت على وشك السفر بنفسي لمعرفة هويتك من الصحيفة، كما أن لدينا بصمتين مجهولتين، وأرجح أنهما لك؛ لذا يجب علينا التأكد.

@ART_OF_BOOK

نظرت له، وأومأت برأسها موافقةً على الإجراءات؛ ولكنها قالت:

لكن في البداية، أرجو منك أن تسمعني جيداً، وسوف أحكي لك كل شيء بالتفصيل
انطلقت تحكي له منذ أن أخبرها "رئيس التحرير" عن وجوب سفرها لعمل تحقيق القصر، ومقابلتها مع السيدة والمذكرات ومقتل رئيس التحرير بعدها، حتى الضابط المزيف الذي قابلها وحاول الحصول على معلومات منها.

عند هذه النقطة، اعتدل "علاء" بغضب، وقال وهو يكتم غضبه :

ـ أتقولين إن هناك مَن يحاول الحصول منك على معلومات؟ وكان بالتالي يعرف ميعاد مغادرتك الجريدة وقتها، مما يرجح أنك موضوعة تحت المراقبة.

وصمت مفكراً، ثم أردف:

ـ الموضوع معقد أكثر مما نظن إنها ليست جريمة واحدة؛ ولكن اثنتان إحداهما في القاهرة، والأخرى بالأقصر، وأرى مما أخبرتني به أنك أيضاً في خطر.

ثم كأنه تنبه إلى شيءٍ، وسألها :

ـ في أي فندق تقطنين في الأقصر ؟

ـ في "فندق إيزيس".

أومأ موافقاً:

ـ أعرفه جيداً، أريد منكِ الآن أن تذهبي إلى الفندق، ولا تتحركي منه حتى آتي إليكِ، ولكن هناك شيء لا بُدّ من أن نفعله قبلاً سنأخذ بصماتك؛ للتأكد من البصمات التي عثرنا عليها كما أخبرتك.

@ART_OF_BOOK

انتهيا من فحص البصمات، وأصر "علاء" على أن يبعث معها أحد المخبرين بسيارة حتى الفندق، وقال لها، وهو يصافحها عند باب مكتبه:

ـ أرجو منك عدم الخروج من الفندق بمفردك كما قلت قبلاً.

ـ يبدوا أنك لم تنتبه إلى أني اتيت من القاهرة إلى هنا بمفردي. فإذا أرادوا أذيتي فالفرصة كانت سانحة أمامهم، فلا أعتقد أنهم سوف يقدمون على شيء الآن.

أومأ برأسه موافقاً :

ـ حسناً، ولكن كوني حذرة.

أومأت موافقة، وانصرفت حيث السيارة التي تنتظرها .

راقب علاء السيارة، وهي تبتعد ولا يدري ماذا حدث له، فقلبه لم يعد يدق دقاتٍ منتظمة كحالته العادية، فهذه الصحفية أنسته الجريمة، والتحقيق والجُناة، ولكن تنبه أخيراً إلى نفسه قائلاً: هذا ليس وقته، فليخبر "المقدم أحمد" بما حصل عليه على الفور.

طرق الباب، ودخل، فوجد "أحمد الخشاب" على وشك الانصراف، فبادره بجدية:

ـ بعد إذنك "أحمد بيه" لا بُد لي من الحديث معك للأهمية.

قال أحمد بانتباه

ـ واضح أن لديك شيئاً في غاية الأهمية إنه مرسوم على وجهك.

ـ نعم، بخصوص قضية القتل التي حدثت في القصر، هناك أشياء لن تصدقها.

ـ هاتِ ما عندك من الواضح أنني لن أنصرف يوماً في ميعادي.

جلس علاء، وبدأ في سرد كل ما عرفه من "ريم"، وأضاف بعدها استنتاجاته عما حدث.

نقر "المقدم أحمد" بإصبعه على المكتب مفكراً لبرهة:

_ لدينا الآن جريمتا قتل وليست واحدة؛ ولكن ما تقوله أنت وتلك الصحفية عن الربط بين الجريمتين ظرفي، وخيط واهن فليس من الضرورة أن تكون الجريمتان بينهما صلة، وخصوصاً أنه ليست لدى الضحايا معرفة، أو علاقة، أما ما تقوله عن المذكرات، فيبدو أنه مستبعد للغاية، فمَن يهتم بمذكراتٍ قديمة الشخصية لم يكن لها ذاك الثقل السياسي ؟!

رد "علاء" بهدوء :

_ من الممكن أن يكون الموضوع بعيداً كل البعد عن السياسة أليس من الممكن أن يكون متعلقاً بالكنز الأثري الذي يشاع أن "توفيق باشا" كان يملكه، أو السرداب المؤدي إلى مقبرة ملكية ؟!

ابتسم أحمد معقباً:

_ ألا ترى فيما تقوله ضرباً من الخيال المذكرات موجودة منذ زمن، ومن الواضح أنه لا شيءَ فيها ذا أهمية؛ بدليل إعطاء السيدة "ماري" المذكرات لتلك الصحفية بكل بساطة.

_ ولكن هناك نقطة يا فندم، وهي أن المذكرات اختفت من منزل رئيس التحرير"، ولم يُعثر لها على أثر !

_ ألم يتبادر إلى ذهنك أنه أعطاها إلى أحدهم لمراجعتها مثلاً؟

_ من الواضح أنهم لم يقبضوا على الفاعل للآن، وذلك يعزز نظريتي بما أننا لم نصل إلى شيءٍ في قضيتنا أيضاً، ثم أردف: لدينا عدة خيوط جديدة لتتبعها في قضيتنا.

@ART_OF_BOOK

سكت برهة ثم أضاف :

_ لقد أرسلت إلى مديرية الأمن؛ لضبط وإحضار إبراهيم عبد السلام الشهير بـ "حماصة"، وهو اللص الذي اقتحم القصر منذ عدة سنوات، وتم القبض عليه، وأخذ حكماً في تلك القضية. أما شريكه الآخر، فقد تُوُفيَ منذ سنتين بجرعةٍ زائدة من المخدرات.

_ لماذا تريده الآن يا علاء، وما فائدته للتحقيق الموضوع قديم وانتهى البت فيه.

_ لقد راجعت ملف القضية، ومن الواضح أنهم ارتاحوا إلى القبض على الفاعلين؛ ولكنهم أهملوا كلاماً مهماً في إجابتهم، أو أستطيع أن أقول: تغاضوا عن أقوالٍ مهمة كان من شأنها اتهام رجل أعمال مهم بالتحريض على تلك السرقة؛ ولكن تم طمس تلك النقطة في تحقيقات النيابة؛ ولذلك أريد أن أستجوب "حماصة" بنفسي، فمن الممكن أن يكون الشخص نفسه وراء الجريمتين، ومن الممكن أن يكون هو المحرض على القتل هذه المرة، وليس التخويف، والتهديد كما في المرة السابقة، أو تكون مجرد سرقة عادية.

وتنهد بضيق:

_ حتى الآن، لم نصل إلى طرف خيط يقودنا إلى حل أو بادرة حل لتلك الجريمة الغامضة؛ لذا سأجرب أي شيءٍ وكل شيءٍ له صلة بالضحيتين، وحياتهما لعل وعسى.

وأكمل:

_ أستأذنك يا أحمد بيه بالسفر إلى القاهرة غداً لمدة يومين، أحصل على المذكرات.

وفي الوقت نفسه أقابل "حماصة" في المديرية، أسرَع من انتظار أن يرحلوه إلينا، وهو ليس عليه شبهة جنائية للتحفظ عليه !

@ART_OF_BOOK

ضحك المقدم أحمد قائلاً:

_ ما هذه العجلة؟ أتذهب من أجل القضية، أم من أجل الصحفية ؟!

ضحك علاء، وأشار بيده قائلاً:

_ الاثنتان.

اتصل علاء على "ريم" في الفندق، وأخبرها بأن تعد نفسها للسفر للقاهرة صباحاً بقطار التاسعة، وستجد تذكرة باسمها عند شباك التذاكر، وأنه سيسافر معها في نفس القطار؛ ولكن لا تظهر أنها تعرفه تحسباً لأن تكون مراقبة.

انطلقت "ريم" صباحاً إلى محطة القطار، كانت شمس الشتاء الدافئة بالأقصر تداعب وجهها فتشعر بأشعة الشمس تتغلغل بانسيابية الحرير داخل مسام جلدها.

ما أروع الجو في الجنوب في هذا الوقت من العام، ولكن ما يدور داخل رأسها لا يعطيها الصفاء للاستمتاع بروعة الجو.

دخلت إلى محطة القطار، واتجهت مسرعةً إلى شباك التذاكر، وهي تتلفت يميناً ويساراً؛ بحثاً عن النقيب علاء، أو أي أحد يتابعها، وتشك في أمره، كانت المحطة خالية إلا من بعض السواح الذين ينتظرون القطار، وهم يحملون كل متاعهم في شنط خلف ظهورهم.. يبدو عليهم مِمن يستمتعون بنوعٍ من السياحة الرخيصة، وهم في أغلب الأوقات من الطلبة، هي تعلم أن السياحة في وضع حرج الآن بعد الثورة وكل الأماكن السياحية تعاني الآن من قلة الوافدين للبلاد، وقفت على رصيف القطار لكن علاء ليس موجوداً بعد، وصل القطار، وتوقف على الرصيف، وهي لا تزال تنتظر، إنها لا تريد أن تركب لعله تأخر حتى أفاقت على مَن يخبرها بأن القطار على وشك المغادرة، ولا بُد من الركوب الآن. ركبت القطار، ومشت بين

الممرات لتصل إلى مقعدها الذي كان في مقدمة المقصورة المكيفة، كانت المقصورة خالية إلا من سيدة شقراءَ ترتدي "جاكيت" من الصوف الكاكي تجلس في منتصف الكابينة وتضع سماعتين في أذنَيها، وتنظر من النافذة إلى رصيف القطار الخالي.

تصاعدت صفارات القطار منبئةً عن تحركه، وبداية الرحلة رجعت "ريم" بظهرها إلى ظهر المقعد متنهدة بحزن، فمن الواضح أن النقيب علاء لن يسافر معها على متن القطار كما أخبرها.

شعرت بحزنٍ داخلي لا تعرف كُنهَهُ، فمن الممكن أن يكون قد انشغل بشيءٍ آخر، ففي الأخير، ليس هناك شيء مؤكد بما قالته له من الممكن ربطه بالجريمة هنا بالأقصر.

مرت دقيقة، ثم شاهدت شابا يرتدي سترة رياضية، وجينز وكاب، ونظارة شمسية كما أنه يحمل حقيبة ظهر قماشية، ويدخل من الباب في مقدمة المقصورة، ويحمل التذكرة بيده، باحثاً عن رقم مقعده، يبدو عليه الارتباك، والضياع وسط المقاعد الخالية، وأخيراً وجد مقعده في الناحية المقابلة لها تماماً من الممر، بعد نظرة خاطفة له رجعت "ريم" تنظر إلى النافذة، وهي ترى الحقول تتسابق في اتجاهٍ عكسي مع القطار، وترى انعكاس الشمس على الحقول تتلألأ كالماسات على الأوراق الخضراء.

سمعت هاتفها يرنِ منبأً بوصول رسالة، فتحت الرسالة، فوجدت بها تلك الكلمات :

" ريم"، أنا علاء الجالس في الناحية المقابلة، لا تنظري لي، ولا تسترعي الانتباه السيدة الشقراء كانت خلفك من الفندق؛ ومن الواضح أنها تراقبك، كوني حذرةً.

نظرت بطرف عينيها على الجالس مقابلها وابتسمت، أحست بارتياحٍ شديدٍ، واستمرت بالنظر من النافذة؛ ولكن من تلك السيدة، لقد كان علاء على حق في مخاوفه، فالقضية

كبيرة، وبعد تفكير، بدأت تحس بالخوف ليس على نفسها، وحسب، بل على أختها، وأمها.

في منتصف الرحلة قامت "ريم" للذهاب للحمام في نهاية المقصورة، وبطرف عينيها لمحت علاء قد أرجع كرسيه إلى الوراء، وأرخى الكاب على وجهه، وغط في نومٍ عميقٍ، أم يتظاهر بذلك؟ لا تدري.

مرت من جانب مقعد السيدة بثباتٍ، ولم تلتفت وراءها حتى وصلت إلى نهاية المقصورة، وهي تدلف إلى الحمام شاهدت السيدة تحمل مرآة زينة صغيرة كمن تصلح مكياج وجهها؛ ولكن كانت لتراقب "ريم" خلفها بدون أن تلتفت طريقة احترافية لا بأس بها فكرت "ريم"، وهي ترى ما تفعله السيدة.

وصل القطار إلى المحطة مساء قبل توقف القطار، وجدت رسالة من علاء على هاتفها أن هناك سيارة تاكسي تقف في انتظارها في الخارج، وأرسل لها صورة السائق؛ حتى تتعرفَ عليه، وتركب معه لإيصالها إلى البيت بسلام، مع إخبارها بضرورة عدم الخروج صباحاً إلى الجريدة حتى يخبرها بأن الأمور على ما يُرام، وأنه سيمر عليها في الغد منتصف النهار في منزلها.

خرجت من المحطة، ووجدت السائق يقف بسيارته بعيداً عن باب المحطة بقليل، فدنت منه، وسألته إذا كان متاحاً، فسألها عن العنوان، فأخبرته بالعنوان ركبت السيارة، وانطلقا.

لمحت السيدة الأخرى تركب سيارة زرقاء اللون ملاكي القاهرة حرصت "ريم" على أن تحفظ رقمها، وتدونه لتخبر "علاء" به؛ مع أنها متأكدة من أنه لا بُد أنه انتبه لذلك أيضاً.

في الصباح الباكر ذهب المقدم "علاء" إلى مديرية أمن القاهرة، حيث قابل الملازم أول

"خالد" المكلف بضبط، وإحضار حماصة.

جلس الاثنان يحتسيان القهوة المشروب الرسمي لكل مَن يعمل في تلك المهنة.

بادره خالد قائلاً:

_ لقد فوجئت عندما ذهبت للقبض على "حماصة" لقد تغير للغاية حسبما قرأت في ملفه، فهو مجرم عتيد في الإجرام ذو جرأة غريبة مشهور بها بين أقرانه؛ ولكن منذ سنتين حدثت حادثه لولده الوحيد، وكان شابا مراهقاً في حوالي السابعة عشرة، حيث اصطدمت الدراجة التي كان يركبها بسيارة نصف نقل وانفصل رأسه عن جسده أمام عينَي أبيه، بعدها تبدل حماصة كليا، وأصبح يعتكف في المسجد، وفتح ورشة تصليح إطارات السيارات، وأصبح لا يُسمع له صوت.

_ هل من الممكن أن تستدعيه، أريد أن أسأله بعض الأسئلة.

دخل رجل في بداية العقد الخامس لديه لحية بيضاء خفيفة، طويل، ونحيف ملابسه رثة تعكس نظراته حزناً عميقاً، وانكساراً، لا يمكن أن تتخيل أنه هو نفسه اللص الخطر الذي أعيا ضباط المباحث في البحث عنه في الماضي.

نظر إليه خالد قائلاً:

_ اجلس يا حماصة . ، كيف حالك؟

نظر له "حماصة" قائلاً بابتسامة واهنة:

_ إبراهيم يا باشا، وليس حماصة، أنا الآن شخص مختلف عما كنت من عدة سنوات، انتهى "حماصة"، وانتهت أيامه.

حسناً، اجلس يا إبراهيم.

جلس ناظراً إلى النقيب "علاء" بوجل قائلاً:

ـ خيراً يا باشا، أنا لم أفعل شيئاً، وأقسم بالله، فمنذ وفاة ولدي، وأنا تبت إلى الله، والحمد لله، ولدي ورشة تصليح إطارات السيارات، والله مبارك لي في العمل الحلال.

أوقفه علاء بإشارة من يده قائلاً:

ـ لا تخف يا إبراهيم، نحن لا نتهمك بشيءٍ الآن، أريد أن أتحدث معك عن سرقة قمت بها منذ ست سنوات في الأقصر .

وضع إبراهيم يده على وجهه متنهداً، وقال:

ـ أتعلم يا باشا إنها أغرب سرقة قمت بها، وأقل غنيمة حصلت عليها، وقُبِضَ علي، وتم الحكم علي بثلاثِ سنواتٍ قضيت منها ما يناهز السنتين لُحسنِ السير، والسلوك.

ـ أخبرني عما حدث يومها يا إبراهيم، وما الذي جعلك تذهب إلى الأقصر للسرقة مع أن نشاطك في القاهرة، كما كان معروفاً وقتها .

ـ والله يا باشا الشيطان شاطر كما يقولون؛ والسبب جمال التّباع

رحمه الله - فلا تجوز عليه الآن سوى الرحمة، هو مَن وسوس لي وقتها عن القصر، والآثار الموجودة فيه، وأن جميع سكان الأقصر يعرفون أنه مليء بالمساخيط كما قال، وقطع الذهب من مقابر الفراعين، كما أن مَن يعيش فيه سيدتان كبيرتان في السن ولديهما الكثير من المجوهرات وقتها كان يعمل مساعداً لسائق سيارة نقل بين القاهرة، والأقصر، وطبعاً دخل في طريق الكيف والمخدرات، فأصبح دخله لا يكفيه وكان يطمح إلى المزيد من المال حتى

يصرفه على المخدرات.

كان يعرفني من "الغرزة" التي نتناول فيها الكيف، واستمر يكرر على مسامعي سهولة العملية، وأن ما سنحصل عليه منها يكفينا بقية عمرنا وأننا لن نكتشف؛ لأننا ليس لنا أي نشاط من قبل في الصعيد.

سكت إبراهيم؛ ليشرب كوباً من الماء، ثم يمسح على وجهه متنهداً، وراح يتذكر ما حدث:

ـ يومها استعرنا من أحد أصدقائنا سيارته، وانطلقنا إلى الأقصر في الليل؛ لنصلها في الصباح كانت الخطة ألا نبيت في الأقصر وألا يدري عنا أحد وكان جمال من قبل قد جمع معلومات عن الوقت الذي تكون فيه السيدتان بمفردهما، والخادمة في إجازة، وأفضل وقت للدخول من النافذة المجاورة للمبنى غير المكتمل الواقع بجوار القصر.

كانت العملية بمنتهى السهولة، حيث راقبنا القصر حتى المساء وعندما أطفِئَتِ الأنوار، عندها قفزت من النافذة المجاورة إلى نافذة غرفة القصر في الطابق الثاني كانت كالمخزن، فالغبار يغطي كل شيءٍ، وهناك أثاث محطم كأنه قبع هناك لألفُ عام، ولم يدخل أحد تلك الغرفة لوقت طويل، فتحت الباب، ودلفت إلى المِمَر، ولكن كنت قد اصطدمت بشيءٍ ما، فشعرت بِيَ إحدى السيدتين، وعلى الفور وجدت سيدة في وجهي تحمل سلاحاً ناريا! وأنا كل أسلحتي سكين، وطفاشة لزوم فتح الأبواب، هددتني بألا أتحركَ من مكاني ودخلت مسرعة إلى إحدى الغرف، وأغلقت الباب بالمفتاح عليها، وصرخت من الداخل أنها أبلغت الشرطة من التليفون في غرفتها، ونصحتني بأن أغادر القصر قبل أن يصلوا.

نزلت على وجه السرعة إلى الطابق الأول؛ ولكن قبل أن أخرج من الباب شاهدت

شمعدانين على الطاولة، بصراحة فكرت في أنه لو خرجت من المنزل بدون شيء، فستكون سمعتي سيئة أمام جمال، وسينسج الحكايات عن فشلي، وجُبني في المنطقة، وأنا بينهم الشجاع الذي لا يهاب شيئاً، فكيف لي أن أرتعب من سيدة مسنة، حملت الشمعدانين، ووجدت مكتباً كان عليه طقم من العاج، وعلبة سيجار خشبيه مطعمة بالفضة، ومن حُسن حظي وجدت ظرفاً به ألفان من الجنيهات، حملت كل هذا في دقائق معدودة، وخرجت مسرعاً من الباب الذي أنفقت عدة دقائق أخرى في فتح الأقفال العديدة التي تغلق الباب من الداخل.

خرجت، ووجدت "جمال" "التباع" ينتظرني بالسيارة عندما شاهد الحقيبة القماشية مليئة حتى تهللَ وجهُهُ، سرنا بالسيارة بسرعة مغادرين إلى طريق القاهرة.

طبعاً لم أخبره بما حدث؛ ولكن قلت له : إنني لم أجد شيئاً ذا قيمة داخل البيت، وأن كل ما بداخله هو أثاث قديم محطم، ولا وجود للجواهر، أو التحف الفرعونية كما قال.

لم نفتح الحقيبة حتى وصلنا إلى منطقتنا، اقتسمنا النقود، أما الأشياء الأخرى، فقد كان لدينا مَن يشتريها منا، وكنا قد اتفقنا أن نمر عليه في اليوم التالي، ولكن المصيبة التي أوقعت بنا، أن جمالاً لم يعجبه السعر وأخذ نصيبه من الأشياء المسروقة وانصرف، وحاول بيعها.

عندها علمت الشرطة، وقبضت عليه واعترف علي وتم رد الأشياء بالطبع ولكن النقود كانت قد صُرِفَت.

هذا كل ما حدث بخصوص هذه الحادثة، والله على ما أقول شهيد يا باشا، وأنا بعد وفاة ولدي ليست لَدَي أية أمنية غير أن أربي بقية أبنائي بالحلال وأحافظ عليهم وأدعو الله أن يبارك لي فيهم.

@ART_OF_BOOK

سكت النقيب علاء لبرهة، ثم سأله:

ـ هل تعرف مَن يُدعى "سامي السلاموني "؟!

رد إبراهيم، وهو يهز رأسه نفياً، ويبدو في عينيه عدم الفهم!

ـ لا ، لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

فكر علاء أنه فعلاً يبدو عليه عدم معرفة رجل الأعمال الذي ذكر اسمه أمامه، والذي كان على خلاف وقتها مع الضحيتين، إذاً فقد كانت جريمة سطو عادية، وليست مخططاً للتهديد أو الترهيب للسيدتين.

نظر إلى إبراهيم، وقال:

ـ حسناً يا إبراهيم، سأتكلم الآن مع الملازم خالد للإفراج عنك مع إمكانية إحضارك وقتما نريدك، وسيكون هذا اتفاقاً بيننا، وإلا سيحدث ما لا تحمد عقباه، وسنقوم بترحيلك إلى الأقصر، وتكون بانتظارك تهمة أكبر من السطو هل تفهم ما أقوله لك؟

ـ حاضر يا باشا، وأنا تحت الأمر في أي وقت تريدني، فقط اتصال تليفوني، وأكون عندك في أي مكان تريد.

بعد الانتهاء من مقابلة إبراهيم نظر علاء إلى ساعته، فوجد أنها تقترب من الساعة الحادية عشر صباحاً، لا بُد له الآن من أن يتجه إلى "ريم" ليراها؛ ولكن تلزمه خطة، ليتفادى كشف شخصيته أمام مَن يراقبها.

عند الساعة الواحدة، توقفت دراجة توصيل خاصة بأحد مطاعم البيتزا الشهيرة، وقام فتى التوصيل بأخذ علبتيَ بيتزا داخل الشنطة الحرارية ودخل إلى العمارة وانطلق صاعداً إلى الدور

@ART_OF_BOOK

الثالث ودق الجرس فتحت "ريم" الباب لتجد رجلَ توصيل البيتزا بالزي والكاب، لتنطلق قائلة بنفاد صبر :

_ أعتقد أنك أخطأت العنوان، فلم نطلب بيتزا.

أزال الكاب الذي كان يغطي نصف وجهه باسماً وقال :

_ ولكني أنا طلبت، فلم أتناول الغداء بعد.

أفسحت له الطريق مبتسمة:

_ علاء بيه. أهلاً وسهلاً.

دخل إلى الردهة، فوجد والدتها تقف في منتصف الردهة بدهشة مما يحدث، لكنها بادرتها بالقول:

_ أمي، أقدم لكِ النقيب "علاء" من شرطة الأقصر

تقدمت أمها مصافحة علاء مبتسمة فابنتها قد أخبرتها كل شيءً عن رحلتها، وعن كذبتها عليها وعن كونها مراقبة حتى تأخذ الأم حذرها هي الأخرى.

_ تفضل بالدخول.

قالتها الأم.

_ لا أستطيع أن أبقى إلا لعشر دقائق فقط حتى لا يشك أحد مما يراقبك، وعلى فكرة هناك فعلاً مَن يراقبك ويستعمل دراجة نارية كي تسهلّ حركته، وبالطبع وضعت رقابة من الشرطة لحمايتك وحماية والدتك هي الأخرى عند خروجها وتأمين مسكنكن؛ فلا تقلقي من

شيء، الآن أريد منك صور المذكرات التي أخبرتِني عنها.

دخلت "ريم" إلى غرفة "رنا" وأحضرت المذكرات قائلة:

_ لقد قامت أختي بالواجب ووضعت ملاحظاتها على الأوراق بالأسهم والأرقام، طبقاً لما تعلمته من المحققين في الأفلام البوليسية، أتعلم أن "رنا" هي أول من لفت نظري لترابُط كل تلك الأحداث.

ضحك "علاء" ونظر حوله قائلاً:

_ وأين مخبرنا الشهير لنستفيد من خبرته ؟

_ إنها تقضي إجازتها عند خالتي بالفيوم.

نظر علاء بجدية.

_ أرجو أن تأمريها بالعودة حتى تكون تحت أعيننا أيضاً، فلو كان الموضوع مترابطاً فنحن أمام جريمَتَي قتل تمتا بأسلوبٍ محترفٍ، ولم يتم القبض على الجناة في الحالتين.

ردتِ الأم بلهفةٍ:

_ سأتصل بها وآمرها بالعودة!

_ واجعليها تأخذ حذرها للأيام القادمة، وهذه النصيحة ليست لها فقط بل لكما أيضاً.

انصرف علاء تاركاً "ريمَ" وأمها في قلق مما عرفتاه.

***

في الخامسة مساء... "قسم شرطة مدينة نصر"

دخل النقيب "علاء" إلى القسم مخاطباً أحد الجنود الواقفين للحراسة :

ـ أين يقع مكتب الرائد "سمير "؟

أخبره الشرطي بمكانه، مشى في طُرقة طويلة حتى وصل إلى المكتب، وأخبر الفرد الواقف أمامه بأن يخبر الرائد "سمير" بوجوده في الخارج لمقابلته.

دخل "علاء" وحيا الرائد "سميرً" رسميا، ثم عرفه عن نفسه وأنه من شرطة الأقصر، رحب به سمير أيما ترحيب وانخرطا في الحديث عن الصعيد وما يحدث فيه، فقد خدم "سمير" بالصعيد عندما كان ملازماً وله ذكريات كثيرة هناك، وعندما انتهيا من سَردِ الأخبار والذكريات تنحنح "علاء" واتجه مباشرة إلى الموضوع.

سمير بيه، لقد عرفت أنك مَن تحقق في جريمة مقتل "سعيد المنزلاوي".

اعتدل "سمير" في جلسته وقد تجهم وجهُهُ:

ـ خيراً يا علاء بيه؟!

ـ سأقص عليك بعض الوقائع، ستقول لي ما رأيك فيها ولكن أرجو أن تنتظر حتى أنتهيَ من روايتي؛ لأنني أعرف تمامَ المعرفة أنها غير قابلة للتصديق، وبعدها إذا رأيت أنني على حق فيما توصلت إليه، فأرجو منك أن تساعدني بما لديك من معلوماتٍ ... اتفقنا ؟

نظر سمير إليه بجَدية وهو مستغرب مما يقول...

قص عليه علاء القصة بدءاً من تحقيق "ريم" حتى وصوله إلى المذكرات ماراً بكل

الأشخاص والأحداث، ولكنه أخفى حصوله على نسخة مصورة من المذكرات، لقد أحس بحدسِهِ ألا داعِيَ أن يعرف أحد عنها في الوقت الحالي.

عندما انتهى من روايته كان الرائد "سمير" ينظر إليه وقد فَغَر فاه من الدهشة:

_ لحظة، لحظة .. أنت تقول إن جريمة "سعيد المنزلاوي" في القاهرة مرتبطة بجريمة "صوفي وماري توفيق" بالأقصر، وإن كل الخيوط تؤدي إلى جانٍ واحدٍ...

رد علاء:

_ بالفعل.. هذا هو الواضح للآن، فهناك حلقة تربط بين الجريمتين، وللأسف ليست لدينا فكرة عنها في الوقت الحاضر.

رد "الرائد سمير " :

_ "علاء بيه" سأخبرك بشيء ومن المفترض ألا أخبر أحداً خارج نطاق التحقيق بهذه المعلومات، ولكن الجريمة غريبة فعلاً، وضع القتيل وتعرضه للتعذيب قبل خنقه، طبعاً لم يُنشر هذا بالصحف على الإطلاق وعدم وجود أي دليل يشير إلى القاتل، البيت مقلوب رأساً على عقب ولم يُسرق شيء، لو قلنا إنها جريمة ثأر من الضحية لأي سببٍ كان، لماذا تفتيش البيت؟ إلا إذا كان القاتل أو بالأحرى القتلة يبحثون عن شيءٍ معين وحاولوا معرفة مكانه من القتيل بالتعذيب ...

نظر له علاء بدهشة:

_ كأنك تصف ما حدث في الجريمة الأخرى، فالفاعل ليس واحداً، ونمط القتل كأنه استجواب ولكن المختلف عندنا أن المكان تعرض للتفتيش الدقيق ولكن مع الحرص على

عدم كشف ذلك !

رد سمير :

_ حسناً، لدينا نمط واحد تقريباً للجريمتين ولكن ما الرابط ؟!

أسرع علاء بالرد:

_ المذكرات، فبعد ظهورها حدث كل ذلك.

_ ولكن كما أخبرتني فهى ملقاة في القصر منذ زمن بعيد ولم يلتفت لها أحد، وليس بها شيء من الأهمية يغري أحداً بارتكاب جريمتين بمثل ذلك العنف والوحشية!

_ تلك هي النقطة المجهولة، ما الجديد الذي حدث؟ ما الذي ظهر فجأة ليجعل للمذكرات كل هذه الأهمية؟ لا نعرف إلى الآن.

رد سمير مفكراً:

_ لدينا الآن جريمة في الشمال وجريمة في الجنوب، ليس من شيءٍ يربطهما ببعضهما، وفي الوقت نفسه من المحتمل أن يكون الجاني واحد والهدف واحد، أتعلم؟ لقد كان لدينا خيط عبارة عن سيدة شقراء كانت تزور "سعيداً المنزلاوي" ولكن فجأة لم نصل إلى شيء! فلقد انقطع الخيط، حتى السيارة التي كانت تستعملها لم نجد لها أي أثر !

دخل الساعي حاملاً فناجنَي القهوة، تناولا قهوتهما في صمت، بعدها قال علاء:

_ وماذا تقول عن الضابط المزيف الذي حاول استجواب الصحفية ؟!

_ نقطة مهمة، هذا معناه أننا أمام تشكيل لا يتحرك بعشوائية ويعي جيداً خطواته ولا يترك

@ART_OF_BOOK

أي شيءٍ للصدفة، لا بُد من أن تضع تلك الصحفية تحت المراقبة !

لقد فعلت ذلك، وطلبت من مديرية الأمن أن تراقبهم، ولكن إلى الآن لا نعرف ماذا يريد الجناة.

***

استيقظت "ريم" صباحاً، وخرجت من غرفتها لتجد أمها تتحدث على الهاتف وهي محتدة، فعلمت بدون أن تسألها أنها تحادث أختها "رنا".. دخلت إلى المطبخ وأحضرت قهوتها، وعادت إلى أمها لتجدها قد أنهت المكالمة وهي تزفر بعصبية!

_ ماذا حدث الآن؟! ماذا قالت "رنا" لتغضبك هكذا ؟!

_ لا تريد أن تعود حتى تنهي إجازتها وتجادل بكل شيء.

_ حسناً يا أمي سوف أتصل بها وأجعلها تعود، لا تحملي هما ... سوف أذهب الآن إلى الجريدة حتى لا يشك أحد فيما يحدث.

نظرت لها الأم في قلقٍ:

_ ألا تستطيعين أن تتصلي وتمُدي إجازتك؟ فأنا أخاف عليكِ، الله يعلم ما يستطيعون فعله، فهؤلاء قتلة يا ابنتي.. قتلة!

_ لا تقلقي يا أمي، فكما قال النقيب علاء هناك حراسة لي على مدار الساعة، ولا بُد لي من الذهاب إلى العمل، فلا أستطيع أن أظل في المنزل طوال الوقت يا أمي، لا بُد من أن نتصرف طبيعياً .. وأنتِ أيضاً انتبهي فلا تفتحي الباب لأحد لا تعرفينه مهما كانت الأسباب.

@ART_OF_BOOK

نظرت الأم لها بعتاب:

أتعرفين عني أنني بلهاء؟! بالطبع سأكون حريصة للغاية، المهم هو أنت .. حاولي ألا تتجولي بمفردك ولا تتكلمي مع أحد!

ضحكت "ريم" وانطلقت تبدل ثيابها لتلحق بموعد الجريدة.

***

"مدينة أخيتاتون".... تل العمارنة

وقف "أمنحتب الرابع" الملقب بـ "إخناتون" في شرفة قصره الواقع أعلى الربوة المطلة على المدينة بحقولها وبيوتها وجداول المياه المنسابة بين الزروع كالفضة الذائبة.. كل هذا يسكب عليه الإله آتون الذي يُرمز له بـ"قرص الشمس" الضوء والدفء.. تطلّع إخناتون إلى الشمس وأنشد يترنم بدعاءٍ وضع فيه كل ما يضيق به صدره ويُحزن جوارحه، يسأل الإله أن يخفف عنه ما يلاقيه ممن هم حوله، حتى أقرب الناس إليه، كان يعلو وجهه الحزن الشديد وتثقل الهموم على صدره كالحجر الصوان.

دخل أحد الخدم يخبره بوصول الكاهن "آي".. كاهن معبد الإله آتون، ووزير الملك الأول.....

دخل الكاهن محيياً الملك بكل تبجيل واحترام، كان الكاهن يلبس ثوباً من الكتان الأبيض، حواشيه الرقيقة مرصعة عند الصدر بالذهب والأحجار الكريمة الصغيرة البراقة لتعكس ضوء الشمس عليها كلما تحرك، كان زِي كهنة آتون بسيطاً يختلف عما اعتاده كهنة الإله آمون، فقد اعتاد الكهنة منذ القِدَم في المعابد لجميع الآلهة أن يكون زيهم ثقيلاً مرصعاً بالعديد من الأحجار الكريمة الملونة الضخمة عند الصدر وتغطيه النقوش العديدة من خيوط الذهب والفضة، كما كانوا يضعون فوقه قطعة ضخمة من فراء الحيوانات الثمينة في الشتاء، ويحملون في أيديهم العِصِي الذهبية المرصعة بالذهب والأحجار ذات الرؤوس التي على شكل الحيوانات التي تُعبد في المعابد كنوع من التقديس وفي أذرعهم العديد من الأساور الذهبية الثقيلة.

أما كهنة أتون إله الشمس فيتميزون ببساطة ثيابهم وخفتها، كما أن معابد آتون في

@ART_OF_BOOK

المدينة الجديدة بلا سقف، ليست كغرف معابد الألهة الأخرى المغلقة، كل شيء هنا في "أخيتاتون" يميل إلى البساطة والشفافية.

نظر الكاهن "آي" إلى وجه الملك بقلق:

_ ما لي أرى وجهك حزيناً يا مولاي؟

نظر له إخناتون بحزنٍ وقال متنهداً:

_ الغدر أيها الكاهن أي ليست فقط الخيانة هي ما يؤلم القلب، ولكن عندما تأتي من أقرب الناس منك تصبح كالطعنة النجلاء بالقلب ! تقتل الروح.

علت الدهشة وجه الكاهن وهتف غير مصدق :

_ مولاي، مَن يجرؤ على خيانة مولاي ؟! فأنت المِرضِي عنه من الرب الأعلى آتون ذي الضياء، والجميع يفدوك بحياتهم.

_ لن تصدق أيها الكاهن آي إنها الملكة شريكة الحياة، وتوأمي في عبادة الإله، لقد علمت أن الملكة على اتصال بكهنة آمون في طيبة، وهي مَن ترسل إلى أفراد الشعب بالأعوان الذين يبثون السم في آذانهم حتى يتركوا عبادة آتون ويعودوا إلى ضلال الكهنة وسيطرتهم البغيضة ...

نظر إخناتون إلى الأفق وأكمل قائلاً :

_ نعم أيها الكاهن، أكاد أرى في عينيك عدم التصديق .. أم هو الإنكار أن تكون الخيانة تحوم بيننا ؟

رَد الكاهن وهو يُطرقِ إلى الأرض ذاهلاً وقال بخنوع:

@ART_OF_BOOK

ألا يكون هناك خطأ بالأمر يا مولاي؟ فأنا أصدق أن يخون الإله آتون أي شخص ما عدا الملكة، فهي أكثر مَن وقف خلف مولاي في محنته قبل بناء أخيتاتون، وجابهت كهنة آمون بقوة شخصيتها وحكمتها، ويعود الفضل لها في تجمع الشعب على عبادة أتون من كثرة ما يحبها العامة يا مولاي.

نظر إليه إخناتون، ثم عاد ينظر إلى الأفق:

ـ ليس هناك مجال للخطأ يا آي.. لقد تأكدت من خيانتها و تآمرها علي هي وابنتي "مريت آتون".. ألا ترى الحقول أيها الكاهن كيف خلت من زُراعها ؟ كم من البيوت هجرت وأصبحت خاوية تعوي بها الرياح! ألا ترى قلة أعداد المصلين لآتون في المعبد يوماً بعد يوم ؟ حتى الأسواق لم يبقَ بها إلا عدد محدود من الحوانيت

لماذا ايها الكاهن ؟! ألم تسأل نفسك هذا السؤال؟ ألم تلاحظ ذلك وأنت كبير الكهنة المطلع على الخبايا ؟

رد الكاهن بخنوع:

ـ أرجو ألا يظلمني مولاي، فأنت تعلم مدى تفاني خادمك المطيع، ولكن يعلم مولاي أنني ككاهن آتون الأكبر أواجه كثيراً من التحديات مؤخراً، فقد أصبح الصراع مع كهنة آمون شرساً، فهم يسيطرون على موارد البلاد جميعها يا مولاي من موقعهم في طيبة؛ وخزائن معابدهم مليئة وخزائننا فارغة تصفر فيها الرياح، حتى بعد أن حدد مولاي سيطرتهم في أرجاء البلاد ما زال لديهم من القوة الكثير، فكيف نجابه فترة فيضان حابي بدون أن يكون لدينا مخزون للرعِية؟ وأيضاً انشغالي ببث العقيدة في نفوس الرعية وإقامة الصلوات وتعليم الكهنة الجدد، وفي الأخير المسؤولية الأعظم التي وكلتني بها، وهي تعليم الأمير الصغير "توت عنخ

@ART_OF_BOOK

آتون" تعاليم الرب، والحرص على أن يتبعها ويحفظ الصلوات عن ظهر قلب، ولكن يا مولاي كل هذا لا يشفع لي تقصيري في خدمتكم فروحي وجسدي فداء للملك ولمعبودي آتون.

هدأت نفس إخناتون بعد سماعه كلامَ كبير الكهنة، وقال له بهدوء :

_ أعلم إنك من أكثر الناس إخلاصاً لي أيها الكاهن، ومن أكثر من حاربوا مَن أجل ترسيخ عبادة الرب الواحد معي ومع الملكة الأم الراحلة العظيمة "تي "... أريد منك الآن أن تنصحني ماذا أفعل مع الملكة.

رد الكاهن بخبث:

_ أرجو ألا يتسرع مولاي في اتخاذ قراره بشأن الملكة ولسوف أجتمع مع قائد الجيش "حور محب " لنقوم بزيادة نقاط الحراسة وزيادة عدد الجيش في الفترة المقبلة، وسوف نرسل من يحضر كل المعلومات عما تدبره الملكة مع كهنة آمون في حال إن كانت فعلاً مذنبة بهذه التهمة يا مولاي، وإن كنت أشك بذلك، فربما تكون وشاية لتفكيك الترابط العظيم الذي تحظى به أسرة مولاي؛ فليُرح مليكي باله وليدع أتباعه المخلصين يحمونه هو وملكه العظيم.

_ حسناً يا كبير الكهنة ... يمكنك الانصراف الآن فقد حان موعد عودتي إلى صلاتي وتعبدي.

غادر كبير الكهنة الشرفة .. عندها خر "إخناتون" جاثياً على ركبتيه، رافعاً كفيه إلى السماء مترنماً :

إلهي

@ART_OF_BOOK

شعاعك ينير كل الوجوه.

وضياؤك يعطي الحياة للقلوب.

عندما تملأ بحبك الأرضين.

الربَ المِهيب.

الذي خلق نفسه.

والذي صنع كل الأراضي وما عليها.

وجميع الناس.

والأشجار التي تنمو بالأرض.

إلهي.

خرج كبير كهنة آتون مهرولاً من جناح الملك، وقد اكفهر وجهه، وتغيرت تعابيره إلى شر مستطير وشرر يتطاير من عينيه، كأنه ليس هو الشخص نفسه الذي كان يقف بوجهٍ سمح أمام الملك... كان يهرول إلى جناح الملكة وجبينه يتصبب عرقاً وهو يتساءل: كيف وصلت الملكة إلى أن تضع نفسها في موقف كهذا؟!

في طريقه قابل الأمير "توت" يسير مع معلمه آني في ممرات القصر متجهَين إلى حدائق القصر، ويبدو على وجه الأمير الشحوب فهو منذ مولده وهو يعاني من ضعف صحته وقصورٍ في إحدى رجليه ! مما يجعل حركته صعبة حتى في السير البطيء، وقف واتجه ناحيتهما.. انحنى محيياً الأمير ونظر إلى آني محيياً إياه ببرود، فقد كان كلا الرجلين لا يداني أحدهما الآخر وبينهما من العداوة الخفية ما يعرف سببها الاثنان فقط ولكنها تخفى على غيرهما. قال

@ART_OF_BOOK

كبير الكهنة :

ـ عِمت صباحاً مولاي الأمير .. أرجو أن تكون في أحسن حال.

رد الأمير "توت" بخجل:

ـ عِمت صباحاً أيها الكاهن المبجل، لقد أصبحت أفضل بفضل عطايا الإله المقدس "آتون".

ـ أرجو من مولاي أن يسامحني في درس اليوم، فقد طرأت أحداث مفاجئة، ولا بُد لي من أن أجتمع مع قائد الجيش بناء على رغبة مولاي الملك.

ونظر بطرف عينه إلى آني قائلاً ببرود :

ـ أرجو من المعلم أني أن يحل محلي اليوم حتى أنتهي من مهمتي.

نظر له آني بوجهٍ جامدٍ:

ـ سيكون من دواعي سروري أن أقضي مزيداً من الوقت مع مولاي الأمير أيها الكاهن المبجل.

انطلق بعدها الكاهن إلى جناح الملكة بخطوات غاضبة دون أن ينظر خلفه.

وجد وصيفة الملكة عند الباب فأمرها بأن تخبرها برغبته في رؤيتها على وجه السرعة، فأخبرته بأن الملكة لا تزال تتناول إفطارها على الشرفة، فأمرها بغضب بأن تخبرها برغبته في رؤيتها لأمرٍ خطير.

هرعت الخادمة متعثرةً في خطواتها بسبب غضب الكاهن الأكبر، ودخلت لتخبر الملكة

"نفرتيتي" بأن رئيس الكهنة يلتمس مقابلتها على وجه السرعة!

تبعها الكاهن إلى الشرفة بدون أن ينتظر ، حيث جلست الملكة "نفرتيتي" تستمتع بدفء شمس الشتاء وأمامها ما لذ وطاب من الفواكه والحلوى، تستمع إلى عزف اثنتين من الجواري، كانت ترتدي فستاناً بلون مياه النيل الزرقاء الرائقة، وتزين جدائلها السوداء بشرائط ذهبية مرصعة بالأحجار الثمينة، كانت كلوحةٍ مبهجة الألوان دخل الكاهن كالعاصفة مجلسها فاعتذرت الخادمة من سيدتها بأنها لم تستطع منعه ...

هدأتها الملكة بإشارة من يدها، وعندما رأت ما يتبدى على وجه الكاهن من غضب أمرت بانصراف جميع الخدم، وكذا العازفتين الحبشيتين على الفور، عندها التفتت إلى الكاهن بوجهٍ قَلِقٍ :

_ ماذا حدث أيها الكاهن الأكبر لتقتحم جناحي بهذه الطريقة أمام الخدم ؟!

نظر لها الكاهن الأكبر بغيظٍ وقال بحدة من بين أسنانه:

_ كيفِ كنت على هذا القدر من الإهمال والغباء في اختيار أعوانك؟!

هبت واقفة بغضب ظاهر، وقالت بصوتٍ ينبئ عن غضب مكتوم:

_ أيها الكاهن الأكبر فلتنتقِ كلماتك، فأنت تتحدث مع الملكة!

اقترب منها وهو يزوم:

_ عن أية ملكة تتحدثين ؟ بفضل رعونتك اليوم، غداً لن تصبحي ملكة أو في أحسن تقدير ستصبحين ملكة ميتة، ومن بعدك ستُقطع كل رقابنا ورقاب من يساعدوننا!

اضطربت الملكة وقالت بصوت مرتعش:

@ART_OF_BOOK

ماذا تقول أيها الكاهن أفصح ماذا تعني بتلك الكلمات التي غرزت نصلها في روحي الآن؟

رد الكاهن، وهو يدور حول نفسه كمن حلت به مصيبة لا يقدر على مجابهتها:

_ لقد عرف إخناتون أنك تتآمرين عليه مع كهنة آمون، وعرف أيضاً باجتماعك معهم للقضاء عليه وعلى عاصمته وعلى دينه... أنت وابنتك "ميريت آتون" .. وكلها مسألة وقت حتى يكتشف ضلوعي أنا وحور محب بالأمر، وعندها لن ينقذنا أحد!

أحست "نفرتيتي" بأن الأرض تميد بها، ولا تستطيع أن تلتقط أنفاسها استندت بيدها على ظهر المقعد وهي تتمتم:

_ كيف هذا ؟ كيف عرف؟ ماذا سنفعل ؟!

_ ماذا سنفعل ؟!

ردد الكاهن كلامها بغيظ..

_ ستحزمين أمتعتك على الفور .. أنت وابنتكِ وكل ما هو ثمين، وتحشدين خلصائك من الخدم، وتغادرين القصر إلى مكان لا يجدك فيه "إخناتون"!

ردت بذعر :

_ إلى أين أذهب ؟ فلم يمر بخلدي أن إخناتون العائش في أوهامه وخيالاته وزهده، وتكريس حياته لإلهه أن ينتبه لما يحدث حوله.

قال وهو ينظر لها باستهزاء :

@ART_OF_BOOK

حسناً، لقد انتبه، وليس هذا وقت النواح والعويل، فلتذهبي على وجه السرعة، هناك كوخ على حدود المدينة يملكه واحد من أخلص أتباعي .. اذهبي إليه وامكثي فيه حتى ترحلي إلى طيبة، وهناك ستكونين بأمان في حماية كهنة آمون.

ردت وهي تتنفس بصعوبة:

ـ ولكن متى سيحدث كل هذا ؟ وما رأي "حور محب".. من الممكن أن يكون لديه خطة .. قد يستطيع القضاء على إخناتون،فـ "حور محب" لديه الجيش بعتاده ويستطيع السيطرة على المدينة.

ردد الكاهن بنفاد صبر مقلداً طريقتها في نطق اسم قائد الجيش:

ـ حور محب؟ دائماً حور محب العاشق المحب لمليكته.. اسمعيني جيداً يا نفرتيتي

ردد بغضب ..

ـ لقد علم إخناتون عنا مبكراً قبل أن نستكمل خطتنا، فما زال "حور محب" يحاول السيطرة على جميع قادة الجيش في أنحاء البلاد، ولم نسيطر على "أخيتاتون" كامل السيطرة، فأنتِ ترَيَنَ الآن أن كثيراً من الرعية هجروا منازلهم بعد أن أرسلت الأعوان لبث السموم في أسماعهم عن تقشف الحياة في "أخيتاتون" وأن هذا الإله الأوحد وتعاليمه ستجعل حياتهم بائسة ! أين هم الآن من احتفالات آمون الصاخبة، وأعياد الحصاد التي يستمر فيها الرقص وشرب الجعة والمجون لأيام؟ أين هو ذلك الإله الواحد من "الإله باست" إلهة المرح والمتعة؟ ألا ترين أن كثيراً منهم رجعوا إلى عبادة أمون ومعابد آمون؟ ولكن لا ننسى أنه ما زال له كثير من الحلفاء من ملوك الدول المجاورة.. لا بُد من أن نتحرك بحذر أتفهمين؟

ردت بعصبية مشيحةً بيديها :

@ART_OF_BOOK

أفهم، والآن أيها الكاهن الأكبر فلتتركني بمفردي لأجمع متاعي وأرتب أموري.

رد عليها الكاهن بضيق:

_ الليلة يا "نفرتيتي" عند الباب الشرقي للقصر، ستجدين من ينتظرك بعربة لإيصالك أنتِ وابنتك لمبتغاك.

بعد انصراف كبير الكهنة مهرولاً من جناحها وتركه لها في حزنها وحيرتها، ارتمت على كرسيها بتعب، تلك لم تكن الخطة، لقد انتهى كل شيء الآن انتبهت إلى دمعتين تدحرجتا من مقلتيها، لقد كانت تخطط أن يستولى "حور محب" على العرش بعد أن يقضي على "إخناتون" بعد أن ينفض من حوله كل حلفائه، وتذكرت كل ما مرت به وما فعلته لتتزوج "أمنحتب الرابع" الذي لقب نفسه بـ"إخناتون".. فهي لم تكن من العائلة الملكية ذات الدم الملكي، إنها من العامة "كما يقولون، ولكنها كانت قريبة من العائلة بشكلٍ ما، فأبوها كان معلمَ "إخناتون" ومرشده وكان يتواجد بالقصر من الصباح للمساء، حتى منزلهم كان أيضاً يقع داخل أسوار القصر ولكن في ناحية بعيدة عن الأجنحة الملكية، في الناحية الشرقية قرب أسوار القصر تقع مساكن الموظفين في القصر وليس الخدم، فتلك الأجنحة تقع في الناحية الأخرى التي لا تطل على الحدائق.

منذ أن تفتحت أنوثتها وهي تعي مقدار جمالها الفتان، فقد كان جميع العاملين والشبان المحيطين بها يتغزلون بجمالها وعنقها الطويل وجسمها المتناسق الرشيق، ولكن هي لم تكن تلتفت لهم، فقد حددت أهدافها، وكان هدفها "عرش البلاد"، نصبت شباكها حول إخناتون، وما ساعدها هو أنه كان لينَ العريكة رقيقاً .. يشعرك بأنه يعيش في عالم خيالي بمفرده، وبالطبع كان مهذباً وليس به كبرياء العائلة الحاكمة، فهو زاهد في الدنيا، مترفع عن

@ART_OF_BOOK

كل ما يغري البشر، يحب المطالعة، والمعرفة هي شغفه الأكبر، بالطبع عرفت عنه كل هذا من أبيها "معلمه"، فقررت أن ترتدي الطباع نفسها، وتتظاهر أمامه بحبها للمعرفة وشغفها بالكون من حولها وأسراره، وكانت تتعمد أن تتواجد في أوقات تواجده في بساتين القصر حتى وقع في حبالها كالفراشة التي لا حيلة لها إلا أن تقترب من النار، وعندها تحترق.

تتذكر يوماً ما كان إخناتون يتريض في البستان شارداً فيما حوله، فاقتربت منه وحيته واعتذرت بأنها لم تكن تدري بوجوده في البستان، فهي قد خرجت للتمتع بالجو المعتدل وجمال زهور الربيع، عندها خاطبها سارحاً:

أتدرين يا "نفرتيتي" ما الجمال فعلاً؟

ابتسمت في سرور، وأخفضت نظرها خجلاً معتقدة أنه سوف يتغزل في جمالها .. ولكنه قال :

_ الجمال المطلق هو عظمة الإله يا نفرتيتي... فما ترينه الآن هو بعض من كل، ألا يستحق مَن يخلق كل ذلك التقديس والفناء في ذاته.

فوجئت مما يقول ولكنها أخفت ذلك وردت بهدوء :

_ فليبارك الإله آمون الأمير !

فالتفت إليها غاضباً:

_ ومن أتى على ذكر آمون يا نفرتيتي؟! أنا أتحدث عن "خالق الكون" وليس تلك الأحجار التي يستخدمها الكهنة لخداع البسطاء وجَني الأموال والأراضي بأسماء رنانة مزيفة يسمونها آلهة وينشِئون لها المعابد المزخرفة لسلب عقول الناس وجعلهم منقادين لهم...

@ART_OF_BOOK

علمت وقتها أنها قد أخطأت في مجادلته وأغضبته، فآثرت أن تتبع طريقة أخرى معه فقالت:

ـ إن مولاي على حق فيما يقول، فكهنة المعابد قد أثقلوا على الشعب بوجوب تقديم القرابين الثمينة للآلهة لترضى عنهم ولتزيد خصوبة الأرض ويفيض النيل، فالإله لا يتقاضى أجراً على نعمِهِ وإنما الشكر على نعمته والتبجيل من عباده، أليس كذلك يا مولاي ؟

عندها ابتسم وانبسطت أساريره بعد غضبه وقال لها :

ـ أنتِ الآن بدأت تفكرين بطريقة صحيحة يا "تيتي".

عندما ناداها باسم التحبب ذاك، عندها علمت أن هذا هو الطريق الذي يجب أن تتبعه لتحظى بقلبه وعقله وملكه !

استمرت مقابلتها معه وموافقتها على أفكاره الشاذة بخصوص الآلهة والعقيدة، وجعلت نفسها أمامه كالتلميذة النجيبة التي تود أن تتعلم منه كل شيء، والمؤمنة بأفكاره الغريبة !

ولكن ما لم تحسب له حساباً هو الشخصية القوية المسيطرة على الأمير "والدته الملكة تي" فكان التحدي الآخر هو أن تجعل الملكة الأم تقتنع بها كزوجة للأمير، إن الملكة "تي" ليست من أصول ملكية قوية؛ كانت أمها إحدى أميرات الأسرة ولكن والدها من عامة الشعب، كان معروف عنه أنه من أمهر وأكثر الحكماء شهرة في وقته؛ وكان لديه من العلم الغزير ما لا يعلمه غيره، تتمتع "الملكة تي" بالشخصية القوية والذكاء الخارق؛ فكانت مهمة استمالة الملكة بالنسبة لها أصعب كثيراً من كَسبِ قلب الأمير، فلا بُد من أن تظهر أنها الشخصية الهادئة المطيعة التي ستتبع دائماً زوجها وتكون تابعةً مخلصة للملكة الأم.

لكن الملكة تي كانت أذكى من أن تُخدعَ بما تفعله "نفرتيتي" ولقد اصطدمت الملكة

بإصرار ولدها على زواجه من "نفرتيتي" أما الملك فقد بارك هذا الزواج لما يعرفه عن حكمة وإخلاص والد نفرتيتي للملك والقصر، ويكفي أنه قد رأى ولي عهده قد أراد الزواج وهو قد يئس منه، وقد رأى عزوفه عن النساء وجواري القصر، وأصبح فاقداً الأمل في أن ولي عهده قد يُرزق بولي عهد له ليستمر المُلك في ذريتهم.

اعتقدت أنه بعد أن تتزوج سوف تنتهي الحرب مع الملكة ولكنها كانت مخطئة، فقد رُزِقَت من "إخناتون" بست من البنات، مات ثلاث منهن في المهد، أما إحداهن فماتت عندما كانت في المخاض في سِن صغيرة، وبقى منهن اليوم ابنتان فقط، قرة عينها "ميريت آتون"، و "عنخسن آتون" أما الملكة فلم تهدأ حتى اختارت "كيا" أخته الصغرى وابنتها زوجة ثانية لإخناتون؛ لتنجب له الذكر الذي ينتظره العرش من بعده، وحتى تقطع الطريق أمام أخيه غير الشقيق "سمنخ كارع" الذي وُلِدَ من إحدى المحظِيات للملك "أمنحتب الثالث" وأعطته "كيا" الذكر الذي كان يتمناه وهو "توت عنخ آتون" الأمير العليل الذي توقع له الكثيرون أن يموت في المهد ولكنه أخلف ظنهم وشب في طور الطفولة بعاهة في قدمه تعجزه عن الحركة السوية كأقرانه!

أيقنت نفرتيتي بأنه لن يكون لها نفوذ، حتى عندما أصبحت ملكة مع "إخناتون" على عرش مصر في وجود "تي" الملكة الأم، وأصبح مستقبلها غامضاً في وجود وريث ذكر للعرش، أصبح الوضع لا يطاق في طيبة عندها شجعت "إخناتون" للجهر بمعتقداته وساعدته في دعواه لدين التوحيد، وكانت هي من أوحت له ببناء عاصمة جديدة يعبد فيها "المعبود آتون" وتُبنَى له المعابد المفتوحة حتى تذهب بعيداً عن طيبة والملكة الأم وكيا وابنها، وهناك سوف تصبح الملكة الآمرة الناهية ولكنها بعد فترة أصابها السقم من إخناتون وسياسته؛ فقد أصبح كل همه الدعوة والصلاة وإقامة الشعائر للمعبود "آتون" ولم يعد يهتم بالسياسة

@ART_OF_BOOK

الخارجية أو اكتساب أي من حلفاء البلاد المجاورة، أصبح ضعيفاً سقيماً، ولولا وجود "حور محب" قائد الجيوش في حياتها لانهارت تحت وطأة ما يحدث، حتى بعد أن ماتت "الملكة تي" وضعفت قوة العرش من بعدها وقيامها مع بعض الأعوان بالتخلص من "كيا" عن طريق السم المستخلص من الأفاعي لم يدعها "إخناتون" تطلق يدها في الحكم وقصر دورها على حضور الصلوات فقط للإله آتون، وأرسل في إحضار "توت عنخ آتون" ليعلمه ويدربه لولاية العهد من بعده.. هنا كان يجب أن يختفي "إخناتون" من الوجود قبل أن يصل "توت عنخ آتون" إلى السن الذي يؤهله للحكم ويصبح ولي عهد والده، استعانت في خطتها بعشيقها قائد الجند والكاهن الأكبر "آي" الذي وجد أن صفة كبير الكهان لآتون ليس منها أية فائدة تذكر، كما كان في معابد "آمون" حيث القرابين والعطايا والنفوذ الذي بموجبه يتحكم بالرعية ويجني الأموال والأراضي، ولكن الآن بعد اكتشاف "إخناتون" خطتها لا بُد لها من أن ترحل حتى تكمل ما بدأته، ولو من طيبة، فهناك ينتظرها كهان معابد آمون ويعتبرونها ملكتهم المتوجة، فسوف تحكم مصر كملكة يُذكَرُ اسمُها على مَر العصور بكل احترام وتبجيل

أرسلت في طلب ابنتها "ميريت آتون" حتى تخبرها بموعد رحيلهم عن القصر .

دخلت ابنتها ترفل في ثوب كتاني أبيض جميل، تزين يداها العاريتان أساور الذهب والفضة، وعنقها الجميل تحميه قلادة منقوشة على شكل زهرة اللوتس ومرصعة بحبات الفيروز ... آه يا ابنتي، ما أجملك ! وما أكثر شبهك بي عندما كنت في مثل عمرك هذا ! إما أن ننجو الآن أو يكون مصيرنا الهلاك.. كان ثغر ابنتها الجميل يفتر عن ابتسامة كوردة نَضِرة تتفتح وهي تقول:

ـ هل أرسلتِ في طلبي يا أمي ؟

وعندما رأت وجه أمها القَلقِ اختفت ابتسامتها وبانت الجدية على ملامحها :

ماذا حدث يا أمي ؟ وما لي أراكِ قلقة ووجهك الجميل متجهم هكذا ؟!

مدت يدها ناحيتها تمسك بيديها لتستمد منها القوة:

_ لقد اكتشف أبوكِ ما كنا ندبره يا "ميريت آتون" واكتشف علاقتنا بكهنة آمون، لقد أخبر أباكِ كبير الكهنة آي بذلك هذا الصباح، لقد أصبحنا في خطر يا ابنتي!

هزت "ميريت آتون" رأسها غير مصدقة ما سمعته :

_ ماذا تقولين يا أمي ؟ كيف حدث هذا ومتى؟! وما الذي ينوي أبي أن يفعله؟ وأين "حور محب "؟

_ ليس هذا مهما الآن، المهم أن نغادر القصر قبل أن يُقبض علينا.

_ نغادر؟ نغادر إلى أين ونترك قصرنا ؟!

_ إلى طيبة يا ابنتي، حيث نكون تحت حماية كهنة آمون وأعوانهم؛ ولا يستطيع أبوكِ الوصول لنا؛ فقد أصبحنا على مقربة من مرادنا ولسوف أنصب مَلكةً على مصر؛ وتعود طيبة عاصمة لها وعاصمة الإله آمون.

ترقرقت الدموع في عينَي "ميريت آتون" ونظرت من الشرفة لبُرهة ثم عادت تنظر لأمها قائلة:

_ لا يا أمي لن أغادر ! إذا غادرنا الآن خسرنا كل شيء، سأذهب إلى والدي وأنكر كل هذه التهم سيصدقني يا أمي فأنا ابنته ومحبوبته.

أوقفتها نفرتيتي قائلة:

_ يا ابنتي إن أباكِ لا يتوانى في خيانة دعوته أبداً؛ ولا يتهاون مع مَن يحرض عليه أو على

الدعوة للتوحيد ألا تفهمين؟ لقد كان يريد طوال الفترة الماضية أن ينشر دعوته بين الرعية بالسلام، ألم تتساءلي لماذا لم يغلق معابد آمون ويتخلص من الكهنة؟ أما الآن بعد أن عرف بتأمرهم عليه فلن يسكت !

انهارت ميريت آتون" على المقعد باكية:

ـ ولكن يا أمي سنصبح هاربتين إلى مصير مجهول، فما يدرينا أن يغدر بنا الكهنة؟ والكاهن "آي" لن يساعدنا فكل ما يهمه مصلحته وغنائمه وتكديس الأموال والذهب في خزائنه، وهو ما انضم إلى أبي في عبادته إلا أن أبي هو الملك فليس لديه أي إخلاص لأية عقيدة إلا الذهب والنفوذ ! أما "حور محب" فأطماعه يا أمي أكبر من الأموال وأنتِ تعرفين ذلك جيداً، فهو يطمع في العرش ويجدك وسيلة إليه،فإذا ما انتهت تلك الغاية فسوف يتركك لمصيرك!

سكتت "نفرتيتي" وأغمضت عينيها، فهي تعلم تمام المعرفة أن ابنتها على حق، وردت بهدوء:

ـ الأولوية الآن يا ابنتي أن ننجو بحياتنا من أبيكِ، وبعدها سنرى ماذاسنفعل.

لم تشعر الاثنتان بمَن يقف بجوار الباب من الخارج يسمع كل ما دار بين الاثنتين! الشخص الوحيد المصرح له بالدخول، والمكوث كما يحلو له لنحت تماثيل الملكة "نفرتيتي"... تماثيل سيتهافت العالم أجمع على مشاهدتها والتملي من جمالها..إنه "تحتمس" النحات الخاص بنفرتيتي، والحقيقة أن "تيتي" تتمتع بنرجسية هائلة لم تسبقها إليها أي من الملكات السابقات، حتى الملكة "تي" الأم كانت ميولها تتجه إلى مصلحة البلاد والتأكيد على سطوة الملك من خلال تماثيله العملاقة ذات الأوضاع الراسخة المنبثة

بالوقار والجبروت وهي بجانبه، أما "كايا" فكانت تتمتع بالرقة والبساطة والهدوء مقارنة بنفرتيتي المتعطشة للحياة الرغيدة وللذهب، والحُلي الكثيرة؛ حتى أنها أمرت بصنع تاجٍ بتصميم لم ترتدِ مثله من قبلها أي من الملكات السابقات، وأصرت على أن يُنحت لها رأس تُجسدُ فيه روعة عنقها الطويل، وأنفها الدقيق، وتقاسيم وجهها التي خلبت به لُب إخناتون والرعِية.

سمع "تحتمس" الحوار بين الأم والابنة، وهو يرتعش من الصدمة والقهر وانصرف مسرعاً قبل أن تشعرا به، قابضاً على حقيبة معداته حتى آلمت أصابعة وأحس ببرودة الحديد تنغرس في عظام يديه، هو لا يصدق ما سمعته أذناه، فمليكته التي وضعها في قلبه وعقله بمنزلة "إيزيس" خائنة لم يتخيل حتى في أسوأ كوابيسه أن تكون "نفرتيتي" على علاقة آثمة بالقائد "حور محب".. أجل لم يكن يعنيه أن تخون إخناتون وعقيدته، أو تتآمر ضده وتتحالف مع أعدائه، وإنما ما أدمى قلبه هو علاقتها العاطفية مع "حور محب"؛ فطوال خمس سنوات وهو يحبها بصمت، وكان يستشعر منها قبولاً وليناً في المعاملة معه تصل إلى حد الدلال حتى أنها كانت تسمح له بأن يمسك يديها أو يمسح على جدائل شعرها الحريري بيده!

لقد كانت معبودته المقدسة، أما الآن فهو يكرهها كما يكره المصريون أيام غضب "حابي" الهادرة وغرق الزروع، وأيام شحه وامتلاء الأراضي بالشقوق من العطش.

دخل مسرعاً إلى ورشته وألقى حقيبة المعدات أرضاً وهو يلهث ... اتجه مباشرة إلى الرأس الجميل الذي كان على وشك الانتهاء منه وأزاح الأغطية الكتانية من فوقه، وأمسك الأزميل وبدأ بفقوء عينه محاولاً تشويهه تنبه "سكنرع" تلميذه النجيب الذي كان بين يديه قطعة حجرية يعمل بها، فركض إلى معلمه وأحاطه بذراعيه مانعاً إياه من أن يشوهَ الرأس، ومحاولاً تهدئته وهو يرى الجنون الذي اعترى معلمه، لم يتركه حتى تراخي جسد تحتمس على الأرض

@ART_OF_BOOK

وهو ينشج ببكاءٍ يمزق نياط القلوب تركه حتى هدأ ومن ثم سأله :

ـ ماذا حدث يا معلمي ؟! لأول مرة أراك بهذه الحالة، وكيف لك أن تصنع عيباً في كمال ما صنعته أو تدمره ؟

نظر له تحتمس بعيون لا تعى من الحزن.

ـ كنت أعتقد أنها كل الجمال الذي بالعالم بل كنت أظن أنها العالم حتى رأيت القبح المتخفي خلف كل ذلك، إنها لا تستحق أن تخلدَ بكل هذا الجمال،لا بُد من أن توضع في صورة (عميت) آكلة القلوب بكل القبح في العالم.

ضمه "سنفرو " محاولاً تهدئته وقال:

ـ أتذكرُ ما كنت تقوله لي يا معلمي ؟ فالجمال ينبع من داخلنا، وليس المهم ما يقف أمامنا من قبح، ونحن القادرون على تحويله وتجسيده بالجمال الذي يكمن في أراوحنا، فكم من فنان ذي مهارة عالية ولكن لا يستطيع أن يخلق الجمال؛ لأنه ليس موجوداً بداخل قلبه لا يسبح في نسيج روحه، أتذكر يا معلمي؟ نحن بأيدينا من نصنع الجمال أو نصنع القبح بما في داخلنا.. ذاك الجمال في التمثال ليس جمال "نفرتيتي" يا معلمي، وإنما جمال روحك وقلبك أنت، فلا تشوههُ.

ولكن كان لقلب "تحتمس" رأي آخر، فقد اختفى منه كل هذا الجمال وحل محله حزن قبيح أسودُ مشؤوم !

استمر تحتمس في البكاء والتف على نفسه وهو يئن وقد سقط الأزميل من يده، رفع "سنفرو" عينه إلى التمثال ولكن للأسف كانت عين التمثال اليسرى وأذنه قد شوهتا بطريقة غير قابلة للإصلاح !

@ART_OF_BOOK

***

"تظهر في أفق السماء أيها الشمس الحية، الذي يقدر الحياة، تشرق في الأفق الشرقي في الصباح، وتملأ كل البلاد بجمالك، أنت جميل، وعظيم، ومشرق الآن فوق جميع البلدان، وأشعتك تملك كل البلاد حتى آخر كل ما خلقت".

***

هبط المعلم "آني" الدرجات الحجرية التي تقوده إلى شاطئ النيل في سرعة لا تناسب سنه! حيث وُضِعَت منصة للملك إخناتون؛ ليراقبَ فيها قرص الشمس وهو في رحلته إلى المغيب، حيث يتلو أناشيد التعبد في "آتون". كان نعله يحتك بالدرجات مصدراً صوتاً يتسابق مع ضربات قلبه الذي كان على وشك الانفجار من سرعته وقلقه مما يحدث، فهذه المرة الأولى التي يرسل فيها الملك في طلبه، فهو يرى الملك عندما يمر على غرفة الدراسة الخاصة بالأمير، وكانت الأحاديث تقتصر على السؤال عن مستوى الأمير في تلقي العلوم الأرضية والدينية ولكن أن يطلب لقاءه في صومعته بمفرده بدون الأمير فذاك من الغرابة التي لا يجد لها تفسيراً !

وصل إلى منصة الملك حيث وجده جالساً بمفرده وحوله أربعة من الجنود لحراسته، كانت في عينيه نظرة شاردة حزينة لم ينتبه لوصوله إلى أن وقف أمامه وانحنى مُحَيياً إياه باحترام جَم:

_ مولاي الملك إخناتون.

انتبه إخناتون إلى صوته فنظر إليه بصمت وبإيماءة من رأسه صرف الحراس الأربعة ليقفوا بعيداً عن المنصة ولكن كانت أعينهم على الملك لحراسته.

@ART_OF_BOOK

ثم عاد ينظر إلى "آني" قائلاً:

_ المعلم "آني" لقد أرسلت في طلبك لأمر هام، وأرجو أن يصدق ظني فيك، ويصيب حكمي على شخصك، فأنا أراك من أكثر الأشخاص في هذا القصر إخلاصاً للإله الواحد وتعاليمه وحبا له.

ابتسم المعلم وهم بأن يقول شيئاً ولكن أوقفه الملك ليكمل كلامه:

_ استمع لما أقوله لك الآن، أيها المعلم أشعر بأنه ليس أمامي الكثير من الوقت حتى أكون في صحبة إلهى وأترك هذا العالم، وأعبر إلى عالم الخلود الأبدي.. لا تعتقد أنني حزين لبداية رحلتي ولكن ما يحزنني هو أن أترك الدعوة إلى الوحدانية وهي لم تكتمل، ولكن يملؤني الأمل بأن يكملها ابني من بعدي ويسير على نهجي ويتبع خطاي في التوحيد، وجمع الشعب أجمعه على دين واحد، ونبذ آمون وآلهته المتعددة وكهنتهم وبعد ما رأيت ممن هم حولي خيانةً ونفاقاً وزيفاً فأعتقد أنك الشخص الوحيد الذي يصلحلتلك المهمة.

انحنى المعلم قائلاً، وقد بدأ يساوره القلق مما يعنيه كلام الملك:

_ تحت أمر مولاي في أي أمر يطلبه أفديه بروحي، فمولاي يعلم مدى حبي وإخلاصي له، ولمولاي الأمير "توت".

_ لقد علمت يا "آني" أن جميع مَن في القصر يتآمر علي وعلى عقيدتي، وعندما أقول الجميع فأنا أعني الجميع، يكفي أن تعلم أن زوجتي وابنتي وقائد جندي وكبير كهنتي ووزيري هم مَن يتآمرون علي وعلى عرشي وإلهي، فهل تتوقع ممن لم ينضموا إلي عن اقتناع ألا يخونوني؟ ولذلك أقول لك إن الأيام القادمة قد تأتي محملة بنهايتي !

صمت المعلم في ذهول مما سمع وفغر فاه لفترة، وعندما تنبه إلى ذلك رد قائلاً:

ولكن مولاي، لماذا لم تحبط مؤامرتهم وتعاقبهم فأنت الملك ولك كل السطوة، وتبجيل واحترام الشعب.

هز إخناتون رأسه في أسف:

_ لقد علمت متأخراً يا "آني"، لقد أحكموا خطتهم جيداً، لقد تآمروا حتى مع حلفائي من ملوك الدول الأخرى، وقلبوا علي الشعب حتى مَن تبعوني إلى "أخيتاتون" هجروها إلى طيبة ومعابد آمون مرة أخرى وتركوا حقول وبيوت "أخيتاتون" خاوية كما ترى، لقد استهنت بقوة كهنة آمون وتأثيرهم على الشعب وكذلك استهنت بحب زوجتي للسلطة والبذخ وطمع قائد الجند وجشع كبير الكهنة، كما أنني لا أريد أن ألطخ دعوتي بالدم يا " آني"

ثم أطرق صامتاً لبرهة ثم قال :

_ ولكن دعنا الآن نتحدث عن سبب إرسالي إليك.

وأشار إلى صندوق خشبي من خشب الأبنوس الأسود مزين برسوم ذهبية على شكل إوزات.

_ هنا داخل هذا الصندوق يا "آني" الأمانه التي سوف ترهق كاهلك، والرسالة التي تحملها من أجلي إلى ولدي الوحيد وولي عهدي، أريدك أن تحفظ ما بها عن ظهر قلب وتعلمها للأمير حتى تتأكد من فهمه لها جيداً، ولكن أرجو منك ألا تسلمه الصندوق والبرديات حتى يوم تتويجه ملكاً على مصر وخادماً مخلصاً لآتون الواحد في داخل هذا الصندوق الخشبي ما هو أثمن من الكنوز والنفوذ يا "آني"، إنها كتابات الحكيم "يويا" وتعاليمه، وأوراق سرد قصص الأولين عن تعاليم إدريس" ونبي الإله الواحد "موسى" ورحلته مع قومه من مصر ودعوته وتعاليمه كما سردها الأولين، إنها أساس التوحيد يا "آني" والنواة التي تبدأ من عندها دعوة التخلص من تعدد الآلهة السخيف إلى عبادة الخالق

كتابات تشرح معجزات الواحد في كونه وفي خلقه، فاحفظها بين قلبك وعقلك يا آني ؛ حتى تسلمَ الأمانة، واجعل كتاباتك تكون ضياءاً لمن يأتي بعدنا.

ثم صمت ونظر إلى الأسفل مفكراً بحزن :

_ فلتنصرف الآن وكن حذراً، وليحفظك الإله.

حمل "آني" الصندوق صامتاً وانصرف محيياً الملك وهو في حيرة من أمره، أيفرح لوصول كل تلك المعرفة إلى يده؟ أم يحزن لأنه إذا عَرَفَ أحد ممن ذكرهم الملك بوجود كل تلك الدلائل، فسيكون الثمن غالياً، ليس فقط حياته بل حياة كل من له علاقة به.

حمل الصندوق بين يديه كمن يخشى عليه أن يستحيل تراباً، إذ أحكم إغلاق يديه عليه، خلع رداءه ولفه في طياته كالطفل الرضيع حتى لا يلمحه أحد، هل هذا اختبار وضعته فيه عقيدته ومبادئه؟ أم هي منحة من الحياة للمعرفة وفتح آفاق جديدة لعقله المحدود؟

طوال سنوات وسنوات، ومنذ نعومة أظفاره وانضمامه إلى مدرسة المعبد وهو يسمع كلاماً يتردد بين أقرانه عن وجود تلك المخطوطات، ويتداولون تلك الحكايات ما بين مصدق ومكذب فمن يقول : إنها حدثت في القدم، ومن يقول: إنها أساطير وخرافات ابتدعها القدماء ليسلوا أوقاتهم ويستمتعوا بأن هناك سِراً غامضاً لم يكتشفه أحد، أو أن هناك من يذكر حدثاً قديماً حكاه له جده، وهو المعلوم عنه الصدق؛ وغيره، وغيره من الأقوال، حتى شب عن الطوق وأصبح من المعلمين في المدرسة نفسها، ويتذكر ذات مرة أنه كان يتحدث إلى أحد المعلمين الطاعنين في السن، وتطرق الحديث إلى تلك القصص، عندها انقلبت سحنته وقال بلهجة صارمة سأقدم لك نصيحة اتبعها بدقة لا تلفظ مثل تلك الحكايا على لسانك مرة أخرى، فأنت لا تعرف ما سيحدث لك من كهنة آمون عندما يبلغهم كلامك هذا !

@ART_OF_BOOK

تنبه إلى أنه لا يزال يمشي في الطريق الترابي المحاذي للنهر، وقد بدأ الظلام يسدل أستاره، حينها أسرع الخُطىَ إلى بيته القابع خارج أسوار القصر على خلاف معظم المعلمين والعاملين في القصر، كانت لهم مساكن داخل الأسوار، أصر هو أن يحتفظ ببيت خارج أسواره .. بيت يقع على مقربة من القصر ولكن من ناحية أخرى يقع على شاطئ "حابي" العظيم، حيث غرفته الخاصة ذات النافذة المطلة على المياه الجارية يتأمل فيها ما صنع الخالق من معجزات، وتحوي ألواحه وأوراقه، ولا يدخلها أي أحد من البيت إلا هو.

دخل على عجل إلى غرفته.. وكان حريصاً ألا تراه زوجته أو ابنته، أغلق الباب بالمزلاج وأضاء المصباح وجلس كالمسحور أمام الصندوق، فتح القفل ورفع الغطاء، فوجد لفائف أوراق البردي ملفوفة بعناية بأقمشة من الموسلين الرقيق المعالج بالأعشاب لحمايتها من التآكل، مد يده وأخذ أول بردية، ولم ينتبه إلا وقد حل الصباح، وانطفأ المصباح بعد فراغه من الزيت، لقد قضى الليل كله في قراءة البرديات عن آخرها، والغريب أنه لم يشعر بالوقت أو الجوع أو أي مطلب إنساني طوال تلك المدة! أما عن زوجته وابنته فهما تعرفان أنه عندما يدخل الغرفة لا يريد من أحد أن يزعجه، وهو سيخرج عندما يريد أن يتناول الطعام أو أن يستريح في مخدعه؛ ولكن اليوم مختلف فأمامه عمل لا يحتمل التأخير، لا بُد من أن يلخص تلك التعاليم والروايا ويكتبها بطريقة مشفرة لا يستطيع أحد أن يقرأ ما فيها غيره، أما الصندوق والبرديات فيجب أن يجد مكاناً يخفيه فيه بعيداً عن الأعين، وبالأخص بعيداً عن بيته حتى لا يورطَ زوجته وابنته لو حدث الأسوأ، واكتشفوا أن الصندوق معه إذاً لا بُد من رحلة إلى البر الغربي: حيث مقبرة أبيه وأمه، فهي المكان الذي لن يفتح حتى مماته هو لينضم إليهما، وهو أفضل مكان لإخفاء الصندوق .

***

بعد سنتين

طيبة "عاصمة الأسرة الثامنة عشرة" يوم تتويج (الملك توت عنخ آمون)

دخل القائد الأعلى للجند والعسكر والمشرف على الصوامع "حور محب " يغلي من الغضب إلى قاعة العرش المزينة استعداداً الحفل تتويج الملك الصغير في القصر الأعظم بالعاصمة "طيبة" وهو يتميز من الغيظ حتى أنه لم يستطع أن يخفي مشاعره من على صفحة وجهه، وهو من يعتبر أيقونة في ضبط النفس، عندما قابله كبير كهنة آمون الكاهن "آي" نظر الأخير إلى وجهه، وانفجر ضاحكاً:

_ ما لي أراك على وشك الانفجار أيها القائد الأعظم ؟! ألم نصل إلى اليوم الذي تمنيناه وعملنا من أجله طوال الفترة الماضية؟!

نظر إليه "حور محب بحنق قائلاً :

_ ماذا تعني أيها الكاهن الأكبر ؟ طبعاً من أغلى أمانينا أن يتوج الأمير ملكاً على البلاد، وأن يتزوج من مليكته، هل هناك أكبر من تلك الفرحة التي تعم البلاد والعباد ؟!

انطلق الكاهن يضحك بطريقة غريبة، وقال بخبث:

_ أنت كما أنت يا "حور محب"، رجل الأفعال وليس الأقوال أليس كذلك؟ بالطبع لن ننسى أنك مَن تخلص من هذا المجنون الذي كان على وشك أن يدمر الدولة بدعوة دينية تافهة أتنكر هذا يا "حور محب" وأنت من سيطرت على البلاد بقبضة من حديد؛ حتى لا يفلت زمام الأمور وقضيت على كل أعوانه وأتباعه المخلصين، إما بالقتل أو السجن.

_ ما هذا أيها الكاهن ؟! هل ستقوم بنقش ذلك على جدران المعابد أم ماذا ؟ ولِمَ

@ART_OF_BOOK

أغفلت دورك أنت و "نفرتيتي" عن تلكم القصة الرائعة؟ ألم تكن أنت من تواصلت مع كهنة آمون ليضخوا الأموال بين نفر من الشعب ليقلبوا العامة على "إخناتون" وعقيدته الزاهدة التي ستجعل حياتهم متقشفة سوداء؟ مع إغرائهم بفتح معابد "ست" و "إيزيس" للاستمتاع بالرقص والغناء اليومي في ساحة المعابد من أفرغ مخازن الجعة وسكب الجعة على رمال الصحراء وأفرغ مخازن الطحين؛ ليُدخلَ البلاد في أزمات، ونشر بين العامة أن كل هذا بسبب غضب آمون؟! ألم تكن أنت من أضفت إلى تعاليم عقيدة "إخناتون" السمحة نقاط التشدد وإرهاب الرعِية حتى كرهوا الذهاب للصلاة في المعبد، وكَثُرَت طلباتُك منهم كقرابين حتى هربوا من "أخيتاتون" وتركوا بيوتهم وحقولهم، تفكير لا ينبع إلا من عقل رضع سُم الأفاعي منذ صغره .

نظر الكاهن في غضب إلى "حور محب" :

_ اسمع أيها القائد فلتصن لسانك الآن عن تلك الأقاويل، فمن الممكن أن يسمعك أحد من الخدم في القاعة، وإذا كنت تعتقد أننا وصلنا للنهاية، فأنت واهم، فكن حذراً.

نظر إليه القائد، وهو يجز على أسنانه من الغضب:

_ أتتكلم عن الحذر أيها الكاهن؟ فلتتحدث إذاً إلى تلك المتسلطة الجشعة، وتجعلها تتعقل حتى ننتهي من مراسم الزواج والتتويج قبل أن تطل برأسها وتطالب بأن تكون هي الآمرة الناهية في الحكم، وأن يكون لها من الألقاب ما تعجز الألسنة عن نطقه، اسمع أيها الكاهن لا تحسب أن البلاد قد استقرت تماماً بعد السنوات الماضية التي أخذ فيها "إخناتون" درباً مغايراً لما حُكمت به من آلاف السنين، ولتعلم أنه ما زال هناك من يرى أن "إخناتون" كان ملكاً عادلاً، وأن عقيدته على حق، وأن خلف اختفائه وظهور جثته بعدها على ضفاف النيل مؤامرة يعلمون أنها مشاركة فيها من لحظة هروبها من القصر تاركة إياه وابنتها الصغرى في

"أخيتاتون"، وهؤلاء منتشرون بيننا يتحينون لحظة ضعف منا، فدعنا نرسخ لما نفعله الآن ونحكم تمام السيطرة على البلاد بعدها فلتفعل ما تشاء !

مدكبير الكهنة يده، وربت بها على كتف "حور محب" الذي أزاحها بعصبية:

_ فلتهدأ يا "حور محب"، ولنتحدث في كل هذا بعد انتهاء مراسم الزفاف والتتويج.

خرج "حور محب" من القاعة غاضباً، ووقف الكاهن يتبعه بنظره مفكراً:

لا بُد من أن يتحرك سريعاً للتخلص من هذين الاثنين، فقد أصبحت تصرفاتهما لا تطاق هو يعرف هذا الشعب أفضل منهما ويعرف أن سكوته على مضض، والكثير من الشعب يعلم بالمؤامرة على إخناتون ويعرفون حق المعرفة أنه كان على صواب، والكثير منهم أغلقوا أفواههم من الخوف، أما الباقي فلا يعنيه من في سدة الحكم ما دام يأكل ويشرب كالبهائم ، وهذه المرحلة من أخطر المراحل، حيث لا تزال هناك جذوة من النار تحت الرماد وهو لن يطمئن حتى تخمد تماماً !

انطلق موكب الأمير "توت عنخ آمون" يتقدمه الأمير بعربته الذهبية، يجرها جواد أبيض يغطى جسده رداء مزين بالنقوش الملونة، كان الأمير يرفل في زِيه الملكي من الكتان الأبيض، يزينه حزام ذهبي مرصع بالأحجار الثمينة، وتزين عنقه قلادة جده "أمنحتب الثالث" وأمامه عدد من الخدم الذين ينثرون الزهور على الطريق أمام العربة، وتتبعه عربتان حربيتان عن الجانبين تجرهما الأحصنة المزينة بالأقمشة الملونة، كان "حور محب" قائد الجند يعتلي العربة يمين عربة الأمير، و"سمنن رع" كبير وزراء القصر في العربة الأخرى، أما خلفهم فقد أتت عربة الأميرة "عنخسن آمون" التي ستصبح الملكة بعد قليل بعد أن يتممَ الكاهن الأكبر "آي" مراسم الزواج والتتويج بمعبد آمون، بعدها يدخل الملك والملكة إلى غرفة قدس

الأقداس مع الكاهن الأكبر ليقسما قسم الولاء للإله آمون.

كان الخدم يمشون على جانبِي الموكب يرمون الزهور والحلوى على العامة الذين اصطفوا على الجانبين لتحية ملكهم ومليكتهم المنتظرين، وهم يحملون أغصان النخيل وزهور اللوتس.

بعد ذلك ظهرت عربة فخمة من الذهب البراق والأحجار الملونة والنقوش الزاهية خلف عربة الأميرة تحمل "نفرتيتي" ملكة مصر السابقة، وحماة الملك الحالي وزوجة أبيه، كانت "نفرتيتي" تجلس بغرور، وقد ارتدت كثيراً من المجوهرات التي تعمي الأبصار من رونقها، وتضع على رأسها تاجها الذي هو كتلة من الذهب الخالص.

نظرت لها إحدى السيدات الواقفات على جانب الطريق وخاطبت جارتها قائلة:

_ يا للوقاحة أتجرؤ على الظهور للعلن بعد خيانتها لزوجها وتركها إياه في "أخيتاتون" حتى قتلوه ؟!

نظرت لها جارتها ممتعضة:

_ لقد ازداد نفوذها اليوم، فقد أصبحت حماة الملك وفي منزلة الأم فلا نستغرب بعد ذلك عندما تلقبُ بالملكة الأم في الأيام القادمة، وطبعاً بمباركة الكاهن الأكبر والمحب "حور محب "!

انبرى زوجها من خلفها قائلاً بخوف:

_ فلتغلقي فمك يا امرأة! أم تريدين أن يزج بكِ في غياهب السجون ولا نرى لك أثراً؟ ألا تعلمين أن عيون "حور محب" منتشرة بكل مكان، فلتهتمي بشؤونك ولتهتفي للملك والملكة.

***

جلس "آني" أمام كوخه المتواضع وبيده قدح من شراب الجذور بالعسل، كان قد انتقل إلى الجنوب في إحدى القرى الصغيرة التي تقع على حافة النهر، وكان لديه مدخرات اشترى ببعض منها الكوخ، وبالباقي شارك أحد تجار الغلال في تجارته ليضمن دخلاً يكفيه هو وزوجته وابنته حتى وإن كان أقل القليل، وكان في الوقت نفسه يعمل معلماً للصبية من أبناء القرية الصغار ويتقاضى عن ذلك بعض المواد العينية.

يتذكر جيداً ليلة موت الملك "إخناتون"، أو بالأحرى ليلة اغتياله بالسم، عندما عاد الحرس وهم يحملون جثمان الملك وقد أسلم الروح وبدت على محيّاه أشد تعابير المعاناة والألم، فقد انطلق الملك وخادمه الصغير بالقارب الخشبي في رحلة في النيل كعادة الملك عندما كان يريد أن يضع أنشودة جديدة للإله "آتون"، وعندما عادا للشط وشرب الملك من شراب العسل الموجود بأمتعتهما أحس بالألم الشديد، ولم تمض برهة حتى فاضت روحه إلى السماء، بعدها عم الحزن القصر، وكان أكثر من تأثر بتلك الكارثة هو الأمير "توت"، فقد كان لا يزال طفلاً بالعاشرة من العمر، وبعدها ظهرت "نفرتيتي" وابنتها "ميريت آتون"، وقد عادتا إلى القصر ثانية وبدأت "نفرتيتي" في التقرب من الأمير الصغير واحتضانه، و بدأت ابنتها في رمي شباكها على الوصي على العرش "سمنخ كارع"، وكيف شاهد معابد "آتون" تهدم وتسوى بالأرض، وكيف تم تهجير الأهالي المتبقين من بيوتهم وحقولهم حتى أصبحت المدينة أطلالاً، وأثراً بعد عين، لقد استكثروا على" إخناتون" أن تقام له جنازة ملكية وأن يُدفَنَ في مقبرته الملكية، هو وغيره كثر متأكدون ممن تخلص من الملك وأخفى جثته في تابوت انتزع من عليه اسمه الملكي ! حتى أنهم أزالوا نصف وجهه من على تابوته حتى لا تتعرف عليه روحه في العالم الآخر، حتى لا يبقى أي أثرٍ عن عقيدته وحكمه!

@ART_OF_BOOK

بعد عدة أيام من وفاة الملك وتولي "سمنخ كارع " العرش بصفته وصيا على الأمير، تزوج من بعدها من "ميريت آتون"، وبعدها تغير كل شيء.. فكل من كان يعمل مع الملك الراحل تم التخلص منه بقتله أو بترحيله، أو سجنه كما يحلو لهم، أما هو فقد استشعر الخطر مبكراً. فحمل زوجته وابنته في جنح الليل واتجه جنوباً، حيث إحدى القرى التي ليس لها من الأهمية ما يجعل الأعين عليها، وغير كنيته، وعاش متخفيا، عرف بعدها انتقال العائلة المالكة إلى "طيبة"، وتغيير أسماء أبناء "إخناتون" إلى كنية تشي باتباعهم دين الإله آمون .. طبعاً بعد إقناع "نفرتيتي" الأمير "توت عنخ آتون"، و "سكمنخ كارع"، وعُمدَ الأمير في معابد آمون بطيبة تحت اسم "توت عنخ آمون"، كما غير اسم الأميرة "عنخسن آتون" إلى "عنخسن آمون"، وأقنعته بأن يتزوج ابنتها ما إن يتسلم الحكم.

كان يعلم جيداً أن الأمير يجاري ما يحدث، حتى لا يلقى مصير أبيه، وهو متأكد تمام التأكد من أن الأمير سوف يستعيد "عقيدة التوحيد" عندما يتسلم الحكم وتقوى شوكته، فقد علمه وسقاه كل التعاليم وكتابات الأولين مما أعطاه إياها الملك، وقد خبأ الأوراق في مقبرة عائلته حتى لا تصل إليها أيدي الظالمين، ويوماً ما إن أعطاه الإله العمر المديد فسوف يسلمها إلى الملك "توت عنخ آتون" في يده كما أوصى أبوه "إخناتون"، عندما يرى أن الملك قد قَوِيَ وأحكم قبضته على البلاد وتخلص من الخونة.

لم يكن يدري وهو يفكر بذلك أنه سوف يسلمها إلى الملك الشاب فعلاً، ولكن والملك في قبره، وهو جثة هامدة محنطة يرقد وسط كنوزه و متاعه إلى العالم الآخر ! وأنه سوف يدخل مقبرته سِرا؛ ليجعلها معه في رحلته الأخيره ليحمل بروحه ميراث العلم والمعرفة الباقية من والده.

***

القاهرة، فبراير 2012م

جلست "ريم" على مكتبها وهي تنظر إلى زميلتها "حنان" التي تتناول وجبة إفطارها الثانية هذا الصباح ! فلم تكن الساعة تتجاوز الحادية عشرة عندما رَن جرس هاتفها مظهراً رقماً غريباً، على الطرف الآخر سمعت صوتاً غريباً:

_ صباح الخير يا فندم..

_ صباح الخير !

_ متى تريدين بالضبط سيارة أوبر ؟

فهمت "ريم" ما يحدث وعرفت على الفور هوية المتصل، فقد كان "علاء" يتبع أسلوب التخفي في مقابلاتهما حتى لا يلفت انتباه المراقبين أن لها صلة بأحد من عناصر الشرطة.

ردت بهدوء :

_ بعد حوالى الساعة أي الساعة الواحدة.

_ حسناً بعد ساعة سوف ترين سيارة بيضاء أمام مبنى الجريدة تنتظرك، سأرسل لك صورتها .. حسناً.

_ اتفقنا.

_ إلى اللقاء.

أنهى المكالمة مسرعاً وكأنه تعمد عدم الإكثار من الحديث على الهاتف، ولكنها عرفت صوته على الفور، تُرى ما الذي جد في القضية؟ وإلى متى ستظل تحت المراقبة ؟

@ART_OF_BOOK

عند الساعة الواحدة نزلت "ريم" وأخبرت حنان بأنها سوف تذهب إلى المنزل للاطمئنان على والدتها لأنها لم تكن تشعر أنها بخير هذا الصباح، كما أن أختها لم تصل بعد من الفيوم فأمها بالمنزل بمفردها وهي تحاول الاتصال بها ولكن التليفون لا يجيب، لذا فهي لن تتناول الغداء معها كالعادة في الكافيتريا.

انطلقت "ريم" تهرول عابرة ردهة الاستقبال فوجدت السيارة كما ذكرها "علاء"، وجالس خلف المقود شاب نحيل ذو شارب ولحية خفيفة، يرتدي كاب ونظارة، ركبت معه السيارة وبعد وقت قليل توقف أمام مطعم بيع الوجبات السريعة، قال لها السائق الشاب:

_ ستنزلين وسأكون في انتظارك .. توجهي إلى منطقة الحمامات ولا تنسي أن تتركي هاتفك مغلقاً على الكرسي الخلفي من السيارة.

ردت باستغراب

_ أجل وماذا أفعل بعدها؟

رد عليها بابتسامة:

_ ستعرفين حينها، ولا تنسي سأكون بانتظارك حتى تعودي لأوصلك للمنزل.

دخلت " ريم" واتجهت مباشرة إلى منطقة دورات المياه، عندها وجدت شابة ترتدي زي العاملين بالمطعم تقول لها بابتسامة:

_ آنسة "ريم"؟

أومأت " ريم" برأسها بالإيجاب وهي تحس أنها دخلت في دوامة غريبة !

أشارت لها الفتاة بيدها :

@ART_OF_BOOK

حسناً فلتأتي معي، وعبرت معها تلك المنطقة متجهة إلى منطقة خلفية بها غرفة صغيرة كانت تستخدم للإدارة لا تسع إلا فرداً واحداً وبها شاشة تعرض كاميرات مراقبة المطعم، وجدت علاء ينتظرها داخل الغرفة، قام على الفور محيباً إياها كمن يستقبل شخصاً عزيزاً عليه وغاب عنه فترة طويلة، وبابتسامة عذبة قال لها :

_ كيف حالك ؟

ردت بارتباك :

_ بخير لقد أحسست أنني بفيلم أكشن من وجودي وسط هذا الكم من التخفي والحذر !

رد عليها :

_ للأسف لا بُد لنا من أن نتبع تلك الخطوات من أجل سلامتك، وحتى نصل إلى الجناة.. لا تنسي أنهم قتلوا ثلاثة أشخاص في سبيل ما يريدون !

ردت بنفاد صبر :

_ ولكن ما هو، إننا إلى الآن لا ندري ما الذي يبحثون عنه، لقد أخذوا المذكرات الأُصلية من شقة رئيس التحرير فلِمَ قتلوا الأُختين بعدها ؟ ولماذا يتبعونني للآن؟!

_ للأسف عند تلك النقطة ولا ندري ! هناك حلقة مفقودة فقط لو ندري ما هي.

_ والآن ما المطلوب مني أن أفعله ؟!

_ لا شيء، استمري في حياتك العادية ولكن بحرص .. على فكرة "رنا" ستصل بالقطار اليوم بعد ساعتين.

أعلم، وقد أوصت أمي "كريم" ابن خالي بالذهاب لاصطحابها للبيت، مع أنها تعلم أن "رنا" ستكره ذلك ولكن ليس هناك بديل.

ـ حسناً أرجو أن تستفسري منها عما خطته على أوراق المذكرات لعل وعسى تكون قد فهمت شيئاً قد غاب عنا ويكون له علاقة بكل تلك الجرائم...

ـ ولكن كيف أتصل بك؟ لقد فهمت منك أنه من الممكن أن يكون هاتفي مراقباً.

ـ لا تقلقي فقط اتصلي على هذا الرقم عندما تريدين التحدث معي، وبعد رنتين أغلقي الهاتف وسأعاود الاتصال بك.

ـ حسناً.

قالتها ونهضت لتذهب.

عند خروجها من المكان نفسه متجهة إلى باب الخروج وجدت الفتاة نفسها التي قابلتها من قبل تركض وراءها وتنادي عليها لتسلمها كيساً من المطعم وهي تقول بصوت مرتفع: طلبك يا آنسة لقد كنت على وشك نسيانه وهي تبتسم لها.

خرجت من المطعم لتجد سائق الأوبر يتكئ على السيارة في انتظارها، ركبت السيارة وانطلق بها إلى بيتها على الفور بعد أن سلمها هاتفها.

جلست هي وأمها في انتظار وصول "رنا" بعد أن كلمتهما وأخبرتهما بأنها وصلت وقابلها ابن خالها وأنهما في الطريق للبيت وكان يبدو على صوتها الغضب الشديد!

وصلت "رنا" وحدها وفتحت باب الشقة ودخلت كالإعصار :

ـ لم يكن ينقصني إلا أن ترسلا لي "كريم" ليصطحبني من المحطة ... ألم يكفكما

@ART_OF_BOOK

أنكما أرسلتما لي أن أعود قبل انتهاء الإجازة ؟! كان من الممكن أن تأتي صديقتي سمر لاصطحابي فأنتما تعرفان جيداً أن لديها سيارة ورخصة على العموم لم أدعْ "كريم" ليصعد وهو قال إنه لديه مشاغل!

استمرت في ثرثرتها التافهة حتى لاحظت وجه "ريم" وأمها وصمتهما الغريب فجلست بهدوءٍ واستغراب قائلة:

_ ماذا حدث؟ أمي؟ "ريم"؟ ما بكما ؟

ردت "ريم" في هدوء :

_ أين تليفونك يا "رنا"؟

_ في حقيبتي لماذا؟

_ أعطني إياه.

ومدت لها يدها وهي تنظر لها.

أعطتها إياه فقامت "ريم" وأغلقته ووضعته في الغرفة وأغلقت الباب وعادت إلى "رنا".

_ "رنا" لقد عرفتِ شيئاً من المذكرات أليس كذلك؟

نظرت لها "رنا" متحيرة:

_ أية مذكرات؟

_ المذكرات التي أتيت بها من الأقصر، وأعلم أنك تتذكرين جيداً فلا تدعي البلاهة الموضوع أصبح كبيراً يا "رنا" ومن الممكن أن نكون جميعاً في خطر ! فأجيبيني ما هذه

@ART_OF_BOOK

العلامات التي وضعتها على المذكرات ؟

صمتت "رنا" لبرهة ثم كأنها قررت شيئاً :

_ عندما أخبرتني أن أصورَ لك المذكرات أتذكرين؟ نزلت إلى المكتبة عند عم "عبد المنعم" وهو يعرفني، وقد دربني أنا ونهى من قبل على استعمال ماكينة التصوير ؛ نظراً لأننا نصور الكثير من الأوراق والملخصات، يومها ذهب للصلاة وتركني أصور المذكرات، عند فتح أحد الدفاتر وكان لا بُد من جذبها بشدة لفتح الصفحات عن بعضها؛ لأن الغلاف سميك للغاية حتى أستطيع وضعها على الآلة وقع من حافة دفتر منهم من الناحية التي تلتصق منها الصفحات والمغطاة بغلافٍ قاسٍ من الجلد شيء كأنه أسطوانة معدنية رفيعة، وقد لفت داخلها ورقة رقيقة مكتوب عليها عبارات بخط منمق ولكن لم أعرف لها معنى لا أنا ولا نهى !

هبت "ريم" واقفة بعصبية.

_ يا إلهي ! أأدخلت نهى أيضاً في هذا الموضوع؟ أليس لديك ذرة من عقل؟!

انبرت الأم لتهدئَ من اندفاع "ريم" قائلة:

_ وكيف لها يا ابنتي أن تعرف خطورة الأمر ؟! حتى أنتِ لم تعرفي شيئاً عن أن الموضوع متعلق بتلك المذكرات حتى حدثت جريمة القتل الثانية !

جلست "ريم" تلتقط أنفاسها وتهدأ:

_ عندك حق يا أمي فأنا خائفة نحن في خطر ولكن لماذا وممن؟

_ لا أعرف ما الغرض ؟ وما السبب؟ لا أعرف، لقد وضعتكما في خطر بدون أن أقصد ولا

@ART_OF_BOOK

أعرف كيف السبيل إلى الخلاص يا أمي، أشعر بأنني في دوامة ولا أستطيع التفكير !

أخذت نفساً عميقاً ونظرت لأختها التي بان الخوف في عينيها وعدم الفهم وقالت بحزم:

_ أين تلك الورقة الآن؟

ردت "رنا":

_ لقد تركتها عند نهى !

_ اصعدي الآن إلى نهى وأحضري الورقة وأحضري نهى أيضاً واحرصي ألا تحضر تليفونها ! هل فهمتِ ؟

ردت رنا بسرعة:

_ حسناً.

وانطلقت تعدو فاتحة باب الشقة في عجلة صاعدة إلى الدور العلوي وما هي إلا خمس دقائق حتى عادت وبيدها نهى التي كان يبدو على وجهها ذهول يقترب من البلاهة !

سألتها "ريم" بسرعة:

_ أين الورقة يا نهي؟

مدت نهي يدها بورقة كالورق الشفاف ملفوفة إسطوانيا بدقة متناهية فردتها "ريم" بحرص ووضعتها على المنضدة الزجاجية أمامها وقرأت ما يلي:

"أنت بعيد ولكن أشعتك تصل إلى الأرض، وإنك في وجوههم ولكن مسارك مجهول.

عندما تغرب تحت الأفقِ الغربي يبقى العالم في ظلام، في حالة كالموت النائمون في

بيوتهم يكسون أنفسهم بالغطاء ولا ترى عين عيناً أخرى إذا سرقت أمتعتهم من تحت رؤوسهم لا يشعرون .

ويخرج كل وحش من مكمَنِةِ والثعابين تعض الظلام كالقبر

وتبقى الأرض ساكنة إذ إن خالقهم قد غرب خلف أفقه.

وتشرق في الصباح على الأفق وتضيء كالشمس أثناء النهار.

الغاية الأساسية من السفر التذكير بأن الخلاص يأتي من الله وحده".

....

....

"لا تخافوا انظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم وأنه كلي القدرة وصانع للمعجزات" (14 /13).

"لأجل هذا أقمتك لكي أريك قوتي ولكي يخبر باسمي في كل الأرض". (16\9) [سفر الخروج]

"رنموا للرب فإنه قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما في البحر".

(21\15) [سفر الخروج]

1 3 60 30_400 2 30 70 200

200 1 70 300 30 1_400 8 400

1 200 60 1 30 1 _50 40 20 400

200

120 30 40 30 1 1 5 10 40 8 10

10 2 5 700 300

200 1 200 300 1 30 1   200 700 8 1

نظرت "ريم" إلى الورقة أمامها ثم إلى "رنا" و "نهى" بحيرة !

_ ما هذا؟ نوع من الشفرة بالتأكيد هل توصلتما إلى حل بما أن الورقة كانت معكما لفترة ومن الواضح أنكما لم تكونا تدرسان دروسكما أساساً! وقضيتما الوقت في حل الشفرة، أليس كذلك؟

ردت "رنا" باندفاع:

_ نعم حاولنا كثيراً لقد قارنا الأرقام بصفحات المذكرات وبالأسطر وبالكلمات ولكن لا فائدة لم نحصل على شيءٍ !

أومأت "ريم" برأسها بفهم:

_ لذلك كانت هناك تلك الأرقام والخطوط والأسهم على النسخة المصورة من المذكرات.

ردت نهى بعد أن استعادت وعيها على ما يبدو :

_ أجل حتى أننا قارنا الأحرف بأسفار التوراة لأن هناك جزء من سِفر الخروج بالتوراة وهذا ما استطعنا أن نعرفه فقط !

ردت ريم بسخرية

ما شاء الله، وماذا توصلتما بعد؟

ـ لا شيءَ لم نستطع فك رموز الأرقام.

ـ حسناً من الآن يا "رنا" أنت ونهى أريدكما أن تنسيا كل شيءٍ عن تلك الورقة والمذكرات ولا تذكراها أمام أحد نهائيا، أم أنكما أخبرتما أحداً بذلك؟!

هزت الاثنتان رأسهيما نفياً.

قالت نهى بسرعة:

ـ كنا نعتبرها مغامرتنا وكنا نتوقع أنها خريطة سوف توصلنا إلى كنز ما، أو حسبما عرفنا أن صاحب المذكرات كان يقطن بالأقصر وبجانب الكرنك فربما تلك إحداثيات إلى مكان مقبرة أو كنز فرعوني، ولكنها أيضاً ليست إحداثيات!

اكتسى وجه "ريم" بجدية ونظرت لهما قائلة بغيظ:

ـ اسمعاني جيداً، لقد قُتِلَ من وراء تلك المذكرات أو ما تحتويه ثلاثة أشخاص للآن ولم يُعثر على الجاني، وأقول لكما ذلك الآن لتأخذا حذركما، إنني أيضاً مراقبة ومن الممكن أن تكوني أنتِ أيضاً يا "رنا" وماما، وممكن أنتِ أيضاً يا نهى بحكم صداقتك وزمالتك للآنسة "رنا"! فأرجو منكن جميعاً توخي الحذر، وأهم شيء التصرف بطبيعية ستذهبان إلى الدروس والمدرسة بشكل عادي ولكن ممنوع التواجد بالخارج لوقتٍ متأخر ، وأهم شيءٍ ألا تتفوها بكلمة حتى بينكما وبين بعضكما عن الموضوع التليفونات أصبح من السهل مراقبتها أو اختراقها فاحذرن، طالما نحن لا نعرف شيئاً أو نمتلك شيئاً وأشارت إلى الورقة أمامها فنحن

في أمان هل فهمتن؟

هززن جميعاً رؤوسهن بالإيجاب وانصرف البنتان إلى غرفة "رنا" وجلست "ريم" مع أمها أمام الورقة متحيرة :

_ ما رأيك يا ماما؟ هل لديكِ فكرة عن هذه الأرقام ؟

_ لا أدري يا ابنتي ولكن هي بالتأكيد أحرف ولكن حتى الأحرف بترتيبها الهجائي ليس به 400 فهم 28 حرفاً فقط .. شيء محير فعلاً ولكن دعينا نفكر ربما نجد لها حلاً.

***

اتجه علاء إلى فيلا والده بالهرم بعد يوم طويل فهو وحيد والديه وبعد وفاة والدته منذ سنتين أقام والده المستشار على المعاش بالفيلا وحيداً مع كَلْبِهِ وخادمه الأمين عم "عطوة" الذي كان يعمل معه حاجباً بالمحكمة، والآن كلاهما أصبح لا يستطيع أن يعيش دون الآخر.

وجد علاء والده جالساً يقرأ كالعادة في كرسِيه المعتاد، جلس بجواره وهو يتنهد بادره أبوه سيادة المستشار "مصطفى أحمد كمال المصري" بالسؤال :

_ أكان يوماً صعباً؟

_ كالعادة فأنا لست في إجازة ولكن لجمع خيوطٍ تحل قضية الأقصر وعلى العودة بعد غدٍ.

ابتسم الوالد متسائلاً:

_ وهل حصلت على شيءٍ جديدٍ؟

@ART_OF_BOOK

للأسف بعد الحصول على نسخ المذكرات لا شيء، حتى أني تواصلت مع الرائد سمير لأرى ما إذا كانوا قد توصلوا إلى أي شيء في قضية "سعيد المنزلاوي" ولكن لا شيء ! كأن المرأة الشقراء وسيارتها ابتلعتهما الأرض أو تبخرا في الهواء !

قال والده مفكراً:

ـ أتعلم، أنا على وشك الانتهاء من مذكرات "توفيق باشا" التي أعطيتني إياها ولقد لفت نظري أنه هناك فقرات عن اكتشاف مقبرة "توت عنخ آمون" وكيف كانت الصحف والدول جميعاً منبهرة بهذا الاكتشاف، ولكن لاحظت أنه في إحدى الصفحات في الدفتر الأخير يذكر أن "الفرعون الذهبي" لم يكشف فقط عن كنوز الماضي ولكنه سيغير المستقبل أيضاً ولكن لم يكتب بالتفصيل عن هذا، أتعلم شيئاً؟ كان جدي "كمال بك المصري" ممن حضروا تلك الفترة، وكانت دائماً كلماته أن "الفرعون الذهبي" لم تكن أهميته في كنوزه فقط ولكن في أسراره أيضاً قبل وفاته في حادث سيارة وهو في مقتبل العمر تاركاً وراءه أبي وعمتي في سِن الطفولة، عرفت ذلك من جدتي التي وهبت عمرها لتربية أبنائها؛ لذلك من الغريب أن أجد تقريباً الكلمات نفسها من رجل عاصر تلك الأيام وعاصر أيام "سعد زغلول" وثورة 1919 ولكن ليس هناك أكثر من ذلك ولا شيءَ ذا أهمية على الإطلاق، كل الأحداث إما معروفة للعامة أو أحداث شخصية ليس بها ما يهم، ولا يمكن أن يكون هناك دافع للقتل من أجلها، أليس من الممكن أن تكون على خطأ وأن الدافع هو شيء آخر وأنه ليس هناك صلة بين الجريمتين؟!

أسند علاء رأسه على يده ناظراً لأبيه قائلاً:

ـ لذلك يا أبي اقترحت عليك أن تقرأ تلك المذكرات قبل عودتي وأخذي لها للأقصر ؛ لأنه لو كان هناك أي تلميح أو أي غموض فأنت من سيكتشفه يا "سيادة المستشار" ولكن

الآن وصلنا إلى نقطة الصفر ! أشعر بأني أدور في دائرة مفرغة.

رد الوالد:

_ ولكن ألا تفكر أن يكون السر في الغلاف مثلاً؟ معظم الأغلفة في ذلك العصر كانت على جانب من الفخامة والسماكة كما ترى في الكتب القديمة، وكما أخبرتك الصحفية عن المذكرات مما يتيح إخفاء شيءٍ بين طياتِها.

_ إذا كان ذلك هو المقصد فلقد أخذوا المذكرات بأغلفتها بكل شيءٍ من بيت رئيس التحرير فلِمَ العودة إلى "قصر الأقصر " وتعذيب الأختين وقتلهما ومن هم من الأساس؟!

_ السؤال الأول الذي يُطرَح : عم يبحثون؟ آثار مثلاً؟ والانفلات الأمني شجعَ ضعاف النفوس بالسطو على القصر؛ لاعتقادهم أن به سرداباً أثريا يقود إلى مقبرة كما تقول، ذلك يجعل جريمة قتل رئيس التحرير غير ذات رابط مع جريمة الأقصر، لكن مراقبة الصحفية ومحاولة خداعها تخبرك بأن هناك ترابطاً، أنا أفكر معك بصوتٍ مرتفعٍ.

رد علاء بتعب :

_ والله يا أبي كما قلت لك إننا ندور في حلقة مفرغة هناك جرائم قتل حدثت ولم يقبض على جانٍ للآن، هناك أشياء سُرِقَت وليست بذات أهمية، وهناك شخصية حياتها بخطر ولا نعرف لماذا ؟! وما زلنا بموقعنا في نقطة الصفر !

أطرق الأب مفكراً:

_ لا طبعا يا حضرة النقيب، هناك سبب ولكن لا زلنا لم نمسك طرف الخيط بعد حتى الآن، كل الجرائم التي رأيتها في حياتي كان لها سبب، ولكن لا بُد من أن تجده حتى تصل

للجاني.

***

استيقظت " ريم" على حركة أمها بالمطبخ الذي تنبعث منه روائح طعام شهي، ولكن ما هذا؟ أليس من المبكر أن تقوم أمها بطبخ الغداء الآن؟! كانت "رنا " كالعادة نائمة، باقٍ يومان وتبدأ بالعودة إلى المدرسة فهي لا تزال تمعن بالسهر هي ونهى بالطبع... دخلت المطبخ محييةً أمها:

_ صباح الخير يا أمي ما شاء الله على النشاط، هل لدينا عزيمة اليوم أم ماذا ؟!

ردت الأم بضحكة:

_ لدينا عزيمة فعلاً، ولكن ليست هنا ...

_ فأين إذاً؟ ألن نأكل هذا الطعام الشهي ؟ وماذا أرى أيضاً صينية بسبوسة؟ أمي ماذا يجري هنا؟!

ابتسمت الأم وهي تنظر إلى ما تقطعه من طعام أمامها:

_ أظننتِ أنني لن يكون لي دور في هذه القضية؟ لقد فكرت فيمن سوف يساعدنا في فك لغز الرسالة فوجدت أن أنسب شخص هو الدكتور "عبد العظيم الحسيني".

فغرت "ريم" فاها وعينيها على آخرهما!

_ أمي ماذا تقولين؟ دكتور عبد العظيم؟!

_ أجل وقد كلمتُهُ بالأمس وهو ينتظرنا اليوم على الغداء بشرط إحضار غداء معنا وهو يريد

@ART_OF_BOOK

بسبوسة.

قالت "ريم" بعصبية :

ـ أمي أتدرين ما فعلتِ الآن؟! الدكتور عبد العظيم شخص غير متزن ! وقد أجبروه على الاستقالة قبل المعاش بفترة من الجامعة !

ردت الأم وهي منشغلة بتقطيع الخضراوات التي أمامها:

ـ المشكلة أن الدكتور "عبد العظيم" أفنى عمره في دراساته، وهو من المعدودين على الأصابع كمتخصصين في اللغات القديمة، الرجل موسوعة متحركة لا أستطيع أن أعددَ لك عدد شهادات الدكتوراة التي حصل عليها وأبحاثه التي تدرسها الجامعات الغربية، ولكن كما تعرفين اللوائح والروتين عندنا يقضون على الإبداع.

ردت "ريم":

ـ لا أزال أراه شخصاً غريباً، يكفي أنه لم يتزوج، ويعيش في شقة طويلة عريضة مع عشرات القطط وليست له أية علاقات اجتماعية تُذكر !

انبرت أمها هاتفة :

ـ كان يزورنا كثيراً عندما كان والدك على قيد الحياة، وكان يحبكما كثيراً.

ـ حسناً يا أمي فَلأُوقظ "رنا" ستذهب معنا طبعاً فلن نتركها بمفردها الآن، وسأذهب للأسفل لأصورَ الورقة عدة نسخ لأني لا أعرف ما الذي يمكن أن يحدث.

ـ حسناً اذهبي ودعيني أنهي الطعام.

@ART_OF_BOOK

اتصلت "ريم" بالرقم الذي أعطاها إياه "علاء"، رَن الجرس مرتين ثم أغلقت.

بعد ساعة كالعادة وقف عامل توصيل مطعم للفطائر يرتدي زي المطعم ويصعد للأعلى. فتحت "ريم" الباب وعلى وجهها ابتسامة عريضة فوجدت "علاء" يقف أمام الباب هوِ الآخر مبتسماً .

قالت "ريم" مازحة :

ـ أريد أن أتقدم بشكوى لتأخر الطلب، لقد أخذ الطلب أكثر من الساعة كي يصل...

رد علاء هو الآخر :

ـ أعتذر منكِ يا آنسة، ولكن هناك حادث والطريق معطل، أرجو أن تسامحيني ولا تقطعي عيشي...

نظر إلى السلم الصاعد والهابط ليتأكد من أنه ليس هناك أحد من الجيران ليراه وهو يدخل.

أغلقت "ريم" الباب خلفه قائلة:

ـ مفاجأة ستقلب كل الموازين، لقد عثرنا على ما كانوا يبحثون عنه، عن الحلقة المفقودة.

تنفس علاء بسرعة وبانت اللهفة على وجهه :

ـ ماذا تقولين؟ فعلاً؟ قولي بسرعة!

ـ لقد عثرت "رنا" على رسالة في أغلفة أحد الدفاتر.

ـ أين هي ؟ أريني إياها بسرعة ماذا تقول الرسالة، زفر قائلاً: أخيراً بادرة أمل.

ردت ريم بابتسامة حزينة:

ـ انتظر، اهدأ قليلاً الموضوع ليس بهذه السهولة، هي مكتوبة بشفرة معينة بالأرقام وبعض المقاطع توصلنا إلى أن أحدها من التوراة فقط، وإلى الآن لم نعرف فحوى الرسالة.

ركضت "ريم" إلى غرفتها لتحضر له نسخة مصورة من الورقة.

نظر لها علاء قائلاً:

ـ ولكن تلك نسخة مصورة.

ـ أجل فقد صورتها عدة نسخ واحتفظت بالأصل في مكان أمين.

نظر علاء إلى الورقة مرة ثانية قائلاً :

ـ المقاطع سهل العثور عليها بالإنترنت، ولكن الأرقام كشفرة تحتاج إلى بعض البحث، ولكن من الممكن أن تكون هناك كتابة بالحبر السري على الورقة الأصلية فالأفضل أن أحتفظ بالأصل.

ابتسمت "ريم" وهي تهز رأسها نفياً :

ـ أعتقد أنه لا يمكن أن يفكر بالطريقة هذه فقد ترك الرسالة لأولاده؛ فتلك النظرية بعيدة بعض الشيء، وفي حالة استعمال الحبر السري لِمَ استعمل الشفرة الرقمية؟! كان من الممكن أن يكتب خطاباً عاديا.

رد علاء بتصميم:

ـ هذا احتمال أيضاً ولكن أفضل أن أحتفظ بالورقة الأصلية.

@ART_OF_BOOK

حسناً.

قالتها "ريم" وهي تنهض متجهة إلى غرفتها حيث أخفت الورقة بحرصٍ في تجويفٍ داخل أحد أركان سريرها، خرجت بعدها لتجد أمها أتت لترحبَ بعلاء وتحاول أن تجعله يشرب شيئاً وهو يعتذر بأنه لا بُد من أن يغادر على الفور حتى لا يشك أحد في أن الدراجة التابعة للمطعم قد أطالت الوقوف أمام المنزل.

أعطته "ريم" الورقة فشكرها واتجه إلى الباب ليفتحه قائلاً:

_ سأسافر غداً إلى الأقصر لأن المدة التي قضيتها هنا قد طالت، ولكن سأحاول العودة مرة أخرى لأني أرى أن مفاتيح الحل من القاهرة، وكما أخبرتك إن احتجت أي شيء أو جَد جديد اتصلي على الرقم نفسه ورني مرتين، ولا تخشَي شيئاً فالزملاء يتابعون الموضوع والحماية مستمرة عليكم، وإذا توصلت إلى حَل الشفرة فسأخبرك لا تقلقي.

ابتسمت "ريم" بحزن قائلة:

_ فلتصحبك السلامة.

نظر لها طويلاً وفتح الباب وانصرف.

التفتت لتجد والدتها تنظر لها وتبتسم نظرت لها قائلة:

_ ماذا يا أمي لِمَ تبتسمين؟

قالت الأم بابتسامة ذات مغزي : لا شيء، وانصرفت إلى المطبخ و "ريم" تنظر في أثرها وتتساءل ماذا يحدث؟ هناك بالتأكيد شيء يحدث ولكن لا تستطيع أن تصفه حتى بينها وبين نفسها.

***

كانت سيارة والدها الراحل "الدكتور بكلية الآثار" موجودة في جراج المبنى منذ وفاته، كانت الأم دائماً حريصة على أن تكون في حالة جيدة، والخزان مليء على الدوام، مع أنها لم تكن تستعملها إلا في حالات نادرة، إنها تحمل رخصة قيادة ولكن لا تفضل أن تقود في الزحام، كانت تلجأ إلى استعمال تاكسي أو أوبر، ولكن اليوم كان لا بُد من أن تستعين بالسيارة.

انطلقن إلى عمارة "الدكتور عبد العظيم" في مصر الجديدة، كانت "ريم" جالسة على مضض فهي تعلم في داخلها أن هذه الرحلة ليس لها جدوى سوى إضاعة الوقت فقط !

المبنى من المباني القديمة التي تحظى بحديقة صغيرة وسور حديدي قصير وبوابة حديديه، يجلس أمامها رجل في العقد الخامس من العمر، يرتدي جلباباً من الواضح على ملامحه أصوله الصعيدية، نبهت الأم البنتين إلى أن يتركا الهواتف في السيارة مع التأكيد على "رنا" بعدم التصرف كما تفعل بعدم مسؤولية أو إخفاء الهاتف معها، نظرت لها الأم نظرة ذات معنى، عندما شاهد البواب الأم والبنتين ركض إلى السيارة مرحباً فابتسمت له الأم محيية:

_ كيف حالك يا عم إسماعيل ؟

رد وهو يبتسم ويأخذ من يدها الأكياس المحملة بالطعام ليدخلها إلى البناية:

_ الحمد لله ياست، لقد أطلتِ الغيبة.

_ مشاغل يا عم إسماعيل، هل السيدة عنايات في شقتها؟

_ طبعاً يا ست أين ستذهب؟ إنها لا تغادر المنزل.

@ART_OF_BOOK

نظرت البنتان لبعضهما باستغراب، ومن ثم نظرتا إلى الأم التي وضعت أصبعها على فمها إشارة لهما بالصمت.

مشى إسماعيل أمامهما وتسلق عدداً من السلالم، ودخل بَهوَ المبنى الذي يبدو عليه الفخامة والاعتناء، أواني الزرع على الجانبين وبعض اللوحات الحجرية على الجدران. كان هذا المبنى من بقايا أيام المِلَكية ولكنه مازال في حالة جيدة.

سبقهم إسماعيل ليقف أمام باب في الدور الأول العلوي نظراً لأن هناك قبواً للمنزل من الواضح أنه يحتوي على غرف البواب وأيضاً الجراج على الأرجح.

قرع الجرس فرّن صوته كزقزقة العصافير ، كان هذا النوع شائعاً في فترة ما في التسعينيات على الأرجح فتح الباب، وظهرت من ورائه سيدة أنيقة للغاية من الواضح أنها تخطتِ العقد السادس، صاحت عندما شاهدت الأم:

_ غير معقول ! ما هذه المفاجأة؟!

دخلت الأم وسلمت بحرارة وعديد من القبلات والأحضان على تلك السيدة، وأشارت إلى ابنتيها للدخول والسلام على السيدة عنايات زميلة العمل للأم قبل أن تتقاعد.

دخلت الأم وأفرغت الأكياس من الطعام، وكان هناك بعض الأطباق للسيدة عنايات بالطبع، أما الباقي فقد قالت الأم: إنها للدكتور "عبد العظيم" في الطابق الثاني فهو زميل وصديق زوجها الراحل ولا بُد من السؤال عنه ما داموا بنفس البناية.

التفتت "رنا" ناحية "ريم" قائلة بهمس:

_ ما هذا؟ لقد فعلتها أمك ولا أحسن عميل مخابراتي محترف! كيف واتتها تلك الفكرة؟

@ART_OF_BOOK

نظرت لها "ريم":

الفضل يرجع إلى الأفلام التي تشاهدينها وتجعلينها تشاهدها معك.

ردت رنا بغيظ :

_ فلتتذكري جيداً لست أنا من أحضر تلك المصيبة إلى البيت !

همت "ريم" أن ترد عليها لولا أن نظرت لهما الأم نظرة صارمة لتصمتا على الفور. استأذنت الأم السيدة عنايات ليذهبن للسلام على الدكتور "عبد العظيم" في الطابق العلوي وأخذ بعض الطعام له قبل أن يبرد، وأنهن سَيَعُدنَ على الفور للجلوس معها.

عند صعودهن على درجات السلم سألت "ريم" أمها :

_ فكرة عبقرية يا أمي فعلاً فمن يراقبنا سيعرف أننا ذهبنا لزيارة صديقة، ولكن ماذا كنتِ ستفعلين لو كان الدكتور يسكن بمكان لا تعرفين به أحداً؟!

قطبت الأم بين حاجبيها مفكرة كنت سأجد لها حلاً، هل تشكين بقدراتي وذكائي ؟

وصعدن ضاحكاتٍ على تلك المزحة.

دققن على باب شقة "الدكتور" في الطابق الثاني ولكنهن لم يسمعنَ شيئاً لفترة حتى فتح الباب عن وجه مجعد وشعر فضي كثيف مصفف إلى الجانب، وعويناتٍ سميكة لشخصٍ نحيفٍ محنِي القامة قصيرٍ في نهاية العقد السادس، يرتدي قميصاً وبيبيون كما يرتديه الأساتذة الإنجليز، ومن خلفه خرجت عشرات القطط لتستقبلهن...

عندما شاهد الأم تهلل وجهُهُ وهو يمد يده ليسلمَ عليها سائلاً بطريقة مباشرة:

هل أحضرتِ ما طلبته؟

ضحكت الأم قائلة:

_ كل ما طلبته بحذافيره جميع أصناف الطعام التي طلبتها.

فتح الباب على مصراعيه ليدخلن كانت "رنا" فرحة كالأطفال الذاهبين إلى الملاهي ! أما "ريم" فدخلت على مضض فقد تأكدت من عدم جدوى تلك الزيارة وهي تقول لنفسها: البداية السؤال عن الطعام قبل أن يحيينا أو يدعونا للدخول، فكيف لنا أن تحصل على شيء ذي قيمة من هذه الزيارة وهذا الشخص ؟!

بعد دخولهن حَيته رنا بحرارة وفرحة، وهو أيضاً حياها بابتسامة عريضة كاثنين من الأطفال تلاقيا ليذهبا إلى الملاهي!

بعدها نظر إلى "ريم" وحياها بهدوء قائلاً:

_ مرحباً "ريم" لقد مضى وقت طويل على لقائنا، لقد كنتِ صغيرة وقتها، أما "رنا" فقد كانت رضيعة.

ابتسمت "ريم" بتحفظ قائلة: ولكن من الواضح أن الاتصال مع العائلة مستمر، ونظرت لأمها بطرف عينها.

رد عليها وابتسامته تصل إلى عينيه:

_ نعم، فدائماً ما كنت ألتقي مع أبيكِ وأمكِ في كثير من الأيام؛ فأنا لم أعد أخرج كثيراً منذ ما يقرب من العشر سنوات إلا للضرورة.

كانت الشقة كأنها مكتبة كبيرة، فالجدران مغطاة بالأرفف الخشبية من أعلاها لأسفلها

ممتلئة بالكتب، ومع أن الدكتور يعيش بمفرده مع قططه إلا أنه من الواضح الترتيب الشديد والنظافة الفائقة.

جلس الجميع وبعد فترة سأل الدكتور "ريم" :

ـ لقد قالت لي والدتك في الهاتف إن هناك استفساراً تريدين أن تسألي عنه بخصوص أحد تحقيقات الجريدة!

انبرت "رنا" قائلة بطريقتها المتسرعة:

ـ بل لغز يا دكتور، لغز ونريد منك حله لنا فقد فشلت كل محاولاتنا.

نظرت الأم لها نظرة حادة أن تصمت !

عندها بدأت "ريم" تقول:

ـ دكتور "عبد العظيم" الموضوع أخطر من أن يكون لغزاً، ولكن به من الخطورة ما يجب أن أوضحه لك قبل أن أضع أمامك جميع الحقائق، ويجب أن أحذرك أن هناك ثلاثة أشخاص على الأقل قد قُتِلُوا بسبب ذلك الموضوع ! فلك أن تقبل أو ترفض من البداية.

هز الدكتور رأسه وبدا منتبها لها وقال بهدوء :

ـ فلتشرحي لي من البداية ودعي الحكم لي!

بدأت "ريم" من بداية القصة وزيارتها للقصر، حتى وصلت إلى الورقة التي عثروا عليها بين طيات الغلاف.

صمت الدكتور لبرهة مفكراً وبانت على وجهه علامات الجَدية:

أريني تلك الورقة.

أعطته "ريم" النسخة الموجودة معها فأخذها وأطال النظر فيها بصمت حتى ظن الجميع أن هناك شيئاً خاطئاً بالدكتور، ثم فجأة هب واقفاً وقال لهن:

ـ اتبعوني إلى غرفة المكتب.

عندها قالت والدة "ريم":

ـ حسناً فلتذهبوا أنتم وسوف أنزل لقضاء بعض الوقت مع الأستاذة عنايات حتى تنتهوا من الموضوع، فمن المفروض أن تكون تلك الزيارة لها أليس كذلك؟

وانصرفت.

عندها قامت البنتان وتبعتا الدكتور "عبد العظيم" إلى غرفة تحتوي مكتباً، وكما حال باقي الشقة العديد من الأرفف والكتب جلس خلف المكتب ونظر مرة أخرى إلى الورقة التي بين يديه، وفتح أحد أدراج المكتب ليخرج كتاباً متوسط الحجم، فتحه ليبحث به ثم قال :

ـ عندنا الآن في هذه الورقة ثلاث فقرات، كل منها ليس له علاقة بالآخر كما هو الظاهر.

أول فقرة من أنشودة "إخناتون" للإله آتون، ثاني مقطع من التوراة من سفر الخروج، أما الأرقام فيجب أن نجد نقطة بداية لفك شفرتها.

نظرت له "ريم" بحيرة ثم قالت:

ـ جزء من نص فرعوني وجزء يهودي، ماذا يعني ذلك يا دكتور ؟!

ـ يعني أن مَن كتب ذلك يريد أن ينبهنا إلى أن الموضوع له علاقة بين اليهود والفراعنة

ببساطة.

ردت "رنا" بحماس :

ـ وهل هناك علاقة يا دكتور بين "إخناتون" واليهود، فالعلاقة كانت بين فرعون وموسى كما ذكر القرآن الكريم، ولكن ما العلاقة بين "إخناتون" واليهود في مصر ؟!

اعتدل الدكتور عبد العظيم على كرسيه وقال:

ـ هناك نظريات تؤكد على أن فرعون موسى لم يكن مصريا ولكن كان من الهكسوس المحتلين للشمال والهكسوس هم مجموعة من البدو المهجنين من العديد من الأجناس؛ مثل الكِلدانيين والكنعانيين.. وغيرهم، الذين أتوا من الشمال وكانوا يلقبوا بقبائل الرعاة، وزادت قوتهم في فترة ضَعُفَت فيه الدولة المصرية فاستطاعوا احتلال شمال البلاد بالاستيطان وليس الغزو، ولكن بعد مرور الوقت عظمت قوتهم وزاد نفوذهم حتى أصبحوا تهديداً لمصر وملوكها، وما أغراهم بذلك أن الدولة المصرية كانت تمر بمرحلة ضعف وقتها ولكن بَقِيَت الدولة المصرية بالجنوب حتى استطاع أحمس بعد وقتٍ طويلٍ من إنشاء جيش قويٍ وهزمهم وطردهم من مصر، هناك العديد من التساؤلات: لماذا لا يوجد أي ذكرٍ لقصة سيدنا موسى في الأثر فقد اعتاد المصريون القدماء على تسجيل كل أمورهم الحياتية في البردِيات وعلى جدران المعابد وقد تشبه بهم الهكسوس في ذلك، ولكن حضارة الهكسوس كانت طينية وليست حجرية بمعنى أنها لن تصمد على مَر السنين كما فعلت المعابد الحجرية؛ ولكن هناك برديات أليس كذلك؟ فأين ذهبت؟ لا يُعقل ألا يكون هناك أيِ تدوين لغرق كتيبة جيش بكاملها مع الملك بدون أن تُذكرَ في الكتابات أليس كذلك؛ أو أنها أخفيت بطريقة ما؛ أو دمر المصريون أي شيءٍ يتعلق بالهكسوس بعد أن هزموهم وطردوهم من الشمال؛ الشيء الوحيد الذي عثر عليه هو بردية اكتشفت سنة 1828 وهي تعرض الآن في هولندا تسمى

@ART_OF_BOOK

بردية (أيبوير) ذكر فيها الكاتب الأوبئة التي مرت بمصر وقتها من الجراد والقمل والضفادع، وتحول مياه النيل إلى دم، وفي نهايتها ذكر أن الملك مات بطريقة غريبة عجيبة، من الواضح أن الكاتب القديم كتبها عن السمع بعد فترة طويلة من حدوثها ولم يحضر تلك الأحداث بنفسه، وإلا كان كتب بها أحداث يوم الزينة وسحرة فرعون.

أما "إخناتون " فقد كان بعد ذلك بفترة ليست طويلة، وكانت الدولة المصريه قوية وقتها، ولكن بدأت الانقسامات تحدث عند دعوته لدينٍ جديدٍ وعقيدة التوحيد للإله آتون، وبعدها بدأت المشاكل والتفكك في الدولة، وما زال هناك بعض النظريات تزعم أن الدولة المصرية كانت موحدة الإله وهو "آمون" وهو رمز للإله الواحد أما "إخناتون" فقد كان مُهَرطقاً! ودعا إلى عبادة قرص الشمس وهو ما رفضه المصريون، أنا لا أجزم أنها حقيقة ولكنها نظرية .

ردت "رنا" باندفاع:

_ أليس "إخناتون" هو أبو "توت عنخ آمون" كما يقال؟

نظر لها الدكتور وابتسم ابتسامة واهنة ورد عليها :

_ هناك أقاويل تقول : إنه الأخ غير الشقيق لإخناتون من إحدى مَحظِيات أبيه "أمنحتب الثالث"، ومؤخراً عززت مقولة إنه ابن "إخناتون" من زوجته "كايا" نظراً لتطابُق الحمض النووي للاثنين ومهما كانت القرابة فقد كان "توت عنخ آمون" هو ولي عهده في كل الأحوال، وحامل لواء الدعوة إلى الوحدانية وعبادة آتون ولكن لصِغَرِ سنه وفساد من حوله تراجع إلى عبادة آمون وهجر عاصمة والده.

قاطعته "ريم" وقد أحست بأن الموضوع في شرح تاريخ "إخناتون" و "توت عنخ آمون" سيطول وهي لم تأتِ لتسمع محاضرة في التاريخ.

@ART_OF_BOOK

ولكن يا دكتور ما زلنا لم نصل إلى الهدف من كتابة فقرتين من أوقات وديانات مختلفة!

- صبراً يا "ريم" لا بُد لنا من أن نحللَ خطوة خطوة لنصل.

ردت "رنا" بحماس :

- ولكن يا دكتور لماذا لم تصل قصة سيدنا موسى إلى المصريين القدماء ليدونوها كتاريخ؟

- ومن قال إنها لم تُدون وتُحفظ ؟ ولكن قبل أن نكمل لا بُد لنا من أن نأكل الطعام الذي أحضرته والدتك قبل أن يبرد.

تنهدت "ريم" بنفاد صبر ووضعت يدها على وجهها بمعنى أنه ليس هناك فائدة من كل هذا، فالرجل غريب الأطوار !

أما "رنا" فقد قفزت من مكانها وذهبت مع الدكتور ليعدا المائدة سوياً وهما يتحدثان ويضحكان كالأطفال ويلهون مع القطط، لم تستغرب "ريم" من سلوك "رنا" فربما تجد في الدكتور شخص والدها المتوفي، أو هي مجنونة وتنجذب لأمثالها من غير المتزنين ببساطة، بعد مُضِي ساعة في الأكل وشرب أكواب الشاي، ومناقشات غير مجدية، وأسئلة غريبة لرنا عن التاريخ حضرت الأم وأخبرتهم بأن الزيارة انتهت وأن عليهن العودة، عندها طلب الدكتور من "ريم" أن تترك معه نسخة الرسالة وسيبذل جهده في إيجاد حل لها.

نزل الثلاثة من البناية، كانت الأم هادئة أما "ريم" فكانت تغلي كالبركان وتريد أن تنفجر بأمها، لماذا أدخلوا هذا "العبد العظيم" بالموضوع؟ فهو لم يفدهم بشيءٍ حتى أنها تراه شخصاً ليس في كامل قواه العقلية أصلاً !

@ART_OF_BOOK

أما رنا فكانت فرحة وسعيدة بشكلٍ غريب، من الواضح أنها وجدت لها صديقاً آخر غريب الأطوار غير نهى !

***

وصل النقيب "علاء" إلى مكتب المقدم أحمد الخشاب في اليوم التالي، بادر بالقول:

ـ صباح الخير يا سيدي.

ـ صباح الخير يا "علاء" لقد كنت في انتظارك.

ـ في طريقي إلى هنا سمعت أخباراً جديدة.

رد المقدم أحمد:

ـ أجل، أتعني القبض على التشكيل العصابي لسرقة السيارات ؟

ـ أجل يا فندم والغريب وجود اسم "فايز" في الموضوع !

ـ أتعرف أن جريمة القتل هي ما قادنا إلى تلك العصابة؟

انحنى علاء مستنداً إلى المكتب في اهتمام:

ـ كيف يا فندم؟

ـ هل تتذكر بصمات "فايز" في القَبو والغطاء النظيف في القَبو الذي عثرنا عليه ؟

رد علاء

ـ أجل بالطبع رغم أنه ذكر أنه لا ينزل إلى هناك!

@ART_OF_BOOK

بعد مراقبته اكتشفت أن هناك ثلاثة على ثقة وثيقة به منهم شخص له تاريخ في بيع أشياء مسروقة، وقد كلفت الملازم أول "عمر" بتتبع "فايز" والعصابة حتى عثرنا على سيارات مُبَلغ عنها أنها سُرِقَت وكانت مخبأه في مكان في الجبل يتردد عليه "فايز" وبقية العصابة. وكان "فايز" يقوم بتخبئة قطع الغيار في قَبوِ القصر حتى بيعها.

ـ وهل كانت أمه على علم بهذا الموضوع؟

ـ لا أعتقد أنها كانت تعرف بالقطع المسروقة، ولكنها كانت تعرف بوضعه أشياء في القَبو ولكنها لم تصرح بذلك خوفاً عليه بعد الجريمة.

ـ وهل هناك جديد في جريمة القتل؟ أعنى هل ظهر أي مشتبهٍ بهم أو أي طرف الخيط ؟

ـ حتى الآن الموضوع غامض للغاية ولكن أنا مَن ينتظر منك الأخبار، ماذا فعلت مع "حماصة بالتفصيل وليس كما أخبرتني على الهاتف.

ـ إبراهيم الشهير بـ "حماصة" ليس مشتبهاً به على الإطلاق، ولكن هناك موضوع أكبر من ذلك وأعتقد أن جريمتنا مرتبطة بجريمة حدثت بالقاهرة.

قص علاء من البداية عن جريمة قتل "سعيد المنزلاوي" وعدم الوصول إلى أي مشتبه به وعما اكتشفته "رنا"، وأراه الورقة التي أخذها من "ريم"، وبعد أن انتهى من سرد ما حدث نظر إليه المقدم "أحمد" ثم وضع يديه على وجهه كمن يحاول أن يستوعب ما قيل له، وتنهد قائلاً بغير تصديق:

ـ يا إلهي أتعرف معنى ما تقوله يا علاء؟ إننا نواجه شيئاً أكبر من قدراتنا بكثير، هذا يعني أننا لن نجد الجاني في قضيتنا !

@ART_OF_BOOK

نظر إليه "علاء" وهو يهز رأسه بصمتٍ مؤكداً على كلامه.

***

كانت الساعة الخامسة عندما عادت "ريم" من الجريدة وفتحت باب الشقة حتى رن هاتفها نظرت فوجدت رقم الدكتور "عبد العظيم"، تنهدت قائلةً في نفسها :

ـ من الواضح أننا لن ننتهي سامحكِ الله يا أمي !

أجابت على الهاتف بنفاد صبر قائلة وصوتها ينم عن مللها الشديد :

ـ مرحبا يا دكتور .. كيف الحال ؟

لم يهتم أن يرد على تحيتها ولكن قال بسرعة:

ـ قلت لي إن من كتب الرسالة كتبها في أية سنة؟

ـ أعتقد في الثلاثينيات يا دكتور لماذا ؟!

للمرة الثانية يتجاهل الرد عليها وإنما فوجئت به يصيح:

ـ غبي غبي غبي !

ثم أغلق الهاتف !

فكرت "ريم" يا إلهي ! أعتقد أننا لن نتخلص من هذا الجنون الذي أدخلتنا إليه أمي.

ولكنها كانت مخطئة إذ أنه بعد ساعة تلقت اتصالاً منه مرة ثانية جعلها في حيرة ودهشة!

بمجرد أن ردت عليه قال بدون أن يعطيها الفرصة لتتكلم:

@ART_OF_BOOK

فلتحضري غداً عصراً وأحضري معك صينية "مكرونة باشاميل"، وأغلق الهاتف على الفور !

يا إلهي ! لقد أعادنا الدكتور إلى زمن المقايضة وما قبل اختراع العملات !

أيكون قد توصل إلى شيءٍ فعلاً أم أنه قد أعجبه أن تقوم والدتها بطبخ الطعام الذي يحبه؟ الآن ليس أمامها حل غير أن تستمر مع هذا الدكتور المجنون لعل وعسى فليس أمامها خيار آخر، فلتقم الآن وتخبر والدتها بأن عليها أن تعد صينية مكرونة غداً للدكتور "عبد العظيم"!

عند الساعة الرابعة عصراً في اليومِ التالي كانت "نهى" تقف عند مدخل البناية وهي تودع خالتها وابنة خالتها المنقبتين، وتحاول أن تجد سيارة تاكسي لتقلهما وعندما وجدتها وقفت تودعهما بالقبلات والأحضان وتحمل معهما أغراضهما، وعندما غادرت سيارة التاكسي وقفت لدقيقة تلوح لهما وهي تنظر يميناً ويساراً وبعدها أدارت ظهرها ودخلت إلى البناية وعلى وجهها ابتسامة خبيثة.

نزلت "ريم" و "رنا" في الزي الطويل والنقاب قبل بناية الدكتور "عبد العظيم" بعدة بنايات وقررتا أن تمشيا المسافة الباقية على الأقدام، وقفتا خلف شجرة مقابلة لباب البناية نظرت " ريم" لرنا قائلة :

_ ماذا نفعل الآن؟ إن "إسماعيل" البواب يجلس أمام باب البناية كيف سندخل الآن؟

ابتسمت رنا قائلة:

عندي الحل وقامت بإخراج هاتف من جيبها وهي تتصل برقم الدكتور الذي خزنته في وقت سابق نظرت لها " ريم" قائلة بغضب :

_ ألم نقل ألا نحضر الهواتف معنا حتى لا يتعقبونا عبرها ؟!

نظرت لها "ريم" وهي تضع الهاتف على أذنها :

وهل هذا يفوتني ؟ إنه تليفون خاص بـ "نهى" لا تقلقي.

ثم أشارت لها بيدها أن تصمت فقد أجاب الدكتور على الناحية الأخرى.

ـ ألو دكتور "عبد العظيم" أنا رنا .. نحن نقف أمام البناية ولكن البواب جالس بالمدخل فكيف ندخل.

صمتت لتستمع للرد ثم قالت :

ـ لا تلك المرة لا يصلح أن نقول إننا ذاهبتان للسيدة عنايات، وعندما ترانا ستعرف لِمَ !

صمتت مرة أخرى لتستمع ثم قالت:

ـ حسناً ومن ثم أغلقت الهاتف وأعادته الجيبها.

نظرت لـ"ريم" وقالت:

ـ سوف يرسله لشراء أغراض الآن فما علينا سوى الانتظار حتى يغادر.

وفعلاً بعد دقيقة شاهدتا البواب وهو يرد على الهاتف ثم يغادر على الفور، عندها هُرِعَتِ الاختان ليدخلا المبنى ويركضا على السلم حتى وصلتا إلى شقة الدكتور الذي وجدتاه على الباب ينتظرهما، نظر إلى الأكياس المليئة بالطعام وقال بابتسامة لرنا :

ـ أدخليها إلى المطبخ، ودخلتا وأغلق الباب.

بعد دقيقة جلس الثلاثة وبدأ الدكتور الكلام

ـ نبدأ من البداية، كانت المشكلة عندنا الأرقام مع الجزئين من التوراة وترانيم إخناتون،

@ART_OF_BOOK

وطبعاً الحل كان في الأرقام فهي ما سوف يفسر علاقة الكلام ببعضه، حاولت بكل الشفرات والتوافيق والتباديل المعقدة بلا جدوى حتى تنبهت إلى أن كاتب الرسالة كتبها لأولاده وحسب ما ذكرتِ لي عن شخصيته، مات وأولاده صغار في السن أي أطفال أو مراهقون فهل سيستخدم شفرة معقدة بالطبع لا.

واكتشفت أن كثيراً من الناس في الوقت الذي ذكرتِهِ لي لا يستخدمون الترتيب الأبجدي الذي نستخدمه الآن فماذا كانوا يستخدمون؟ أغنية ليلى مراد طبعاً، وضحك!

نظرت البنتان إلى بعضهما وتباين رَد فعل كل منهما، فقد كانت "ريم" تتميز غيظاً أما "رنا" فتضحك بسعادة على جملة الدكتور.

نظر لهما وتدارك الوضع قائلاً :

ـ كانت مزحة أنا آسف ولكن جَديا الشفرة كانت من ترتيب الحروف حسب أبجد هوز حُطي كَلِمُن كما في أغنية ليلى مراد، فهناك جدول الأعداد التي تقابل الأحرف حسب ترتيب الجملة، وبالتالي إذا وجدنا العدد من جدول الأوفاق سنحصل في مقابله على حرف وهكذا ...

نظرت له "رنا" مستغربة وسألته :

ـ ولكن ما هذا الترتيب؟

ـ هو ترتيب يختلف عن الترتيب الهجائي المتعارف عليه وقد استُخدِمَ قديماً، ويقال إن مَن استخدمه هم اليهود قديماً، ويقال أيضاً إنهم وضعوا مقابلاً عدديا له حتى يستخدموه في التنجيم والترتيب هو :

"أبجد هوز حُطي كَلِمُن سعفص قرشت ثخد ضظغ" ويقال إن هذه الكلمات هي أسماء ملوك مدين القدماء أو أسماء الأيام الستة التي خلق الله بها الدنيا، ولكن ليس هذا ما يهمنا الآن يا رنا" ولكن المهم ترجمة الرسالة، ولقد قمت بذلك...

نظرت له "ريم" غير مصدقة :

_ فعلاً يا دكتور ؟ ترجمت الأرقام وحصلت على معنى؟

لمس الدكتور نظارته بإصبعه وتنحنح قائلاً بهدوء:

_ لم أحصل على معنى فقط، ولكن من الممكن أن أقول لك عم يبحثون أيضاً.

قفزت "رنا" من مكانها من فرط الإثارة قائلة:

_ هيا يا دكتور لا تشوقنا أكثر !

نظر لها بحب أبوي وابتسم قائلاً: نص الرسالة يقول:

علبة السيجار.

تحت الشعار.

تكمن الأسرار .

يحميها الملك الذهبي.

احذر الأشرار.

عندما انتهى من سرد ترجمة الرسالة نظرت له "ريم" بحيرة:

@ART_OF_BOOK

الآن لقد ضعنا يا دكتور ، أنا لا أفهم شيئاً الترجمة غامضة للغاية ولم تكشف لنا عن الحل، ولا أعرف كيف تقول إنك تعرف عم تتكلم وما هو المخفي في الأساس...

ـ المخفي هو برديات سفر الخروج يا عزيزتي التي تحصد المنظمات اليهودية أو بالأحرى المنظمة الكبرى الأرواح كالذباب في سبيلها وعلى مر التاريخ.

ابتلعت "ريم" ريقها في خوف وسألته بصوتٍ مرتعش:

ـ هل تقصد ... دكتور هذا ليس مزحاً هل أنت فعلاً جاد فيما تقوله ؟

نظر لها بتأنيب ولم يرد على سؤالها ولكن انطلق يشرح كفنان يلقي بمنولوج على خشبة المسرح في مشهد الفاينال وهو يعي أن الأنظار معلقة به وحده.

ـ البداية اكتشاف مقبرة "توت عنخ آمون" أو الملك الذهبي الابن والوريث للملك المُوَحد "إخناتون"، منذ قدوم نابليون إلى أرض المحروسة مع الحملة الفرنسية كما يطلق عليها خطأً، فهي احتلال مستعمرين لأرض مصر، وكان يصاحبه في حملته العديد من علماء الآثار للتنقيب عن الآثار وخصوصاً المقابر التي لم تُكتشف وليست الموجودة بالفعل فلم تُثِر اهتمامهم البتة، وقاموا بإجراء عمليات مسح وتسجيل لكل ما يعثر عليه، بعد ذلك يبزغ نجم المدعو "بلزوني" السارق والنصاب البهلوان، فهذا الرجل أتى إلى مصر للنصب على "محمد على" بماكينة هيدروليكية لرفع ماء النيل، ولكن الباشا كان حويطاً فرفض المشروع، ولكن "بلزوني" لم يعد لبلاده وبَقِيَ وبدأ في التنقيب عن المقابر الملكية، وهنا أقول : مقابر وليس آثاراً أي أنه كان يبحث عن شيءٍ بعينه، ولكن من أين أتى بالتمويل ؟ لا نعرف وبعد فترة اعتزل التنقيب بعد أن فقد الأمل في إيجاد ما يبحث عنه وسافر، بعدها ظهر "كارتر" في الصورة وظهر معه اللورد المفلس "كارنافون" واستمرت الأحداث حتى اكتشاف المقبرة

بشهادة كل من عاصروا فتح المقبرة، "كارتر" قام بفتحها سِراً قبل افتتاحها رسمياً، سنقول إنه لم يستطع الانتظار حتى التصريح له، محتمل ولكن لماذا حصل "كارتر" بعدها على امتيازات لم يحصل عليها غيره، وأطلقت يده في كل شيء، فذلك لأن المندوب السامي البريطاني تعرض للابتزاز من "كارتر" بواقعة مثبتة قام فيها المندوب بالاعتداء عليه بالضرب وقتها ...

بعدها طلب خبيرَ لغات للحضور على وجه السرعة لترجمة بردِيات، وعند حضوره اعتذر له بأنه كان على خطأ وأن ما عثر عليه لفائف كتان وليس ورقَ بردي، أتصدقون أن يحدث هذا الخطأ من منقب قديم كـ "كارتر "؟

حتى أنه شوه تابوت "توت عنخ آمون" بوضعه في الشمس ليفك الغراء وقام بتكسيره لفتحه !

ردت "ريم" بعصبية:

ـ يا دكتور أرجوك ثانية، لسنا بحاجة إلى محاضرة في التاريخ! أنا في أزمة .. هناك من يراقبني وأحس بالخطر على نفسي وأمي وأختي؟ ما هو المِخفِي الذي يريدونه؟!

وضع الدكتور يده على وجهه ونظر لها لبرهة ثم قال بهدوء :

ـ بردِيات سِفر الخروج يا عزيزتي، قلت لكِ من قبل...

نظرت "ريم" و "رنا" إليه بعدم فهم :

ـ نعم! لا تستغربا، إنه شيء كالأسطورة نسمع عنه ولكن لا نعلم إن كان حقيقياً أم لا. ولكن هناك شائعات أن كارتر وجدها في مقبرة "الملك الذهبي" وأخفاها هو واللورد ولكنها اختفت ولم يسمع عنها مرة أخرى، وبعدها تُوُفيَ اللورد وتبعه الكثير ممن لهم صلة بالمقبرة،

حتى أنها المقبرة التي أطلقت خرافة "لعنة الفراعنة" بسبب كثرة من ماتوا بعد اكتشافها !

ردت "رنا" باستغراب:

ـ كيف يا دكتور ؟ هل لعنة الفراعنة خرافة ؟

ـ بالضبط، أكثر من عشرين مقبرة اكتُشِفَت قبل مقبرة "توت عنخ آمون" هل سمعت أن أحداً مات بلعنة أو بطريقة غريبة غير هذه المقبرة؟ لو تكلمنا عن عمال الحفر أجل ظروف الحفر ودرجة الحرارة وقلة الأكسجين والحوادث الناتجة عن أدوات الحفر البدائية، فنعم هناك نسبة وفيات متوقعة في هذا الوقت حتى لبناء مَبنًى عادي، أما وفيات بين المنقبين والممولين الأجانب لم تحدث إلا في هذه المقبرة، لماذا ؟

لأن هناك من كان يبحث عن شيءٍ وكل مَن عرف بسر هذا الشيء قُتِلَ بدءاً من "كارنافون".

قاطعته "رنا" للمرة الثانية :

ـ ولكن "كارتر" بَقِيَ على قيد الحياة حتى مات من الشيخوخة، أليس الأحرى أن يموت هو أولاً؟!

عدل الدكتور من وضع نظارته ونظر لها قائلاً:

ـ هذا هو اللغز الذي لم يُحَل للآن، ولكن المتوقع أنهم كانوا يتوقعون أن لدى "كارتر" شيء يريدونه أو أنه كان يساعدهم للعثور عليه، لا تدري.

انبرت "ريم" مقاطعة هذه المحادثة التي لا تهمها في شيءٍ :

ـ ولكن ما أهمية ما فيها ليستمر البحث عنها طوال مائة عام، نحن في عصر أصبحت

@ART_OF_BOOK

التكنولوجيا هي السائدة وليس المعرفة القديمة.

الموضوع معقد للغاية، ولكن عند البعض فالمعرفة مقدسة، والأسرار لا بُد من أن تحفظ. لنترك تلك المناقشة حالياً لأن الموضوع طويل لشرحه.

لكن "رنا" لم تقتنع بإنهاء المناقشة مع الدكتور قائلة:

ـ ولكن الرسالة لم تقل أين يمكن أن مخبأ تلك الأوراق، هل حجمها صغير لدرجة إخفائها في علبة سيجار مثلاً.

قطب الدكتور بين حاجبيه قائلاً :

ـ لا أعتقد ذلك، فحجم بردِيات السرد يكون كبيراً نوعاً ما، أعتقد أنه لغز يقود للغزٍ، من الممكن أن تجدوا رسالة أخرى تدل على مكان البردِيات ولكن أولاً يجب أن تجدوا علبة السيجار التي عليها شعار عائلي على ما أظن، أما الآن فقد جعت ولا بُد من أن نأكل المكرونة قبل أن تبرد.

ضحكت "رنا" وقامت تُعِد معه طاولة الطعام وتركا "ريم" واجمة تفكر فيما هي فاعلة وكيف لها أن تخرج مع أسرتها من تلك الدائرة الخطرة.

بعد ساعة نزل الاثنان من عند الدكتور يتمشيان في شوارع مصر الجديدة باتجاه ميدان روكسي كانت "ريم" صامتةً مطرقةً منذ أن أفضي الدكتور بمحتوى الرسالة وما وراءها، أما "رنا" فلم تكن قدماها تلامسان الأرض من فرط الإثارة، ولم تصمت منذ أن غادرتا البناية في تساؤل عن كيفية العثور عن العلبة وماذا سيفعلان وأين ومتى وكيف ؟

نظرت لها "ريم" صارخة:

فلتصمتي لثانية لا أستطيع أن أفكر !

نظرت لها "رنا" بذهول فلم تتوقع رِدة الفعل تلك.

سحبت "ريم" نفساً طويلاً ومدت يدها إلى "رنا" قائلة:

_ أريد تليفون نهى لا بُد من أن أتحدث مع علاء يجب أن يعرف!

كانت تحفظ رقمه عن ظهر قلب، لا تدري لِمَ تفكر به طوال الأيام التي مضت والتي غاب عنها فيها، هي لم تعرفه إلا لمدة قصيرة ولكن عندما تنظر إلى وجهه كأنها كانت تعرفه طوال عمرها .

رَن جرس الهاتف على الطرف الآخر لمدة طويلة كانت على وشك أن تغلق الهاتف، ولكن سمعت صوته يرد بتمهل :

_ مساء الخير.

قالت:

_ علاء بيه أنا "ريم".

رد بتساؤل وكانت الابتسامة تظهر في كلماته:

_ علاء بيه؟ ألم نتخط تلك المرحلة؟ وطبعاً عرفت صوتك يا "ريم" بدون آنسة ولكن رقم من هذا؟

_ - إنه رقم يعود إلى نهى جارتنا، لَدَي أخبار مهمة لك ولكن لا أستطيع الكلام عنها في الهاتف، لا بُد من حضورك.

لقد أقلقتِني يا "ريم".. ماذا حدث؟ هل أنتِ ووالدتك ورنا بخير ؟!

_ أجل أجل كلنا بخير لا تقلق ولكن ...

صمتت قليلاً ثم قالت :

_ لقد قمنا بحل اللغز وعليك القدوم.

رد بذهول :

_ ماذا؟ فعلاً؟ سأكون عندك في أقرب وقت، أنتِ تعلمين ما يحدث في البلاد من اضطرابات طالت الصعيد بالفعل لذلك سأحاول أن أكون عندك في أقرب فرصة.

صمت قليلاً ثم أردف:

_ انتبهي على نفسك وأغلق الهاتف.

أنزلت الهاتف من على أذنها بهدوء وزفرت، فقالت "رنا" وهي ما زالت في حالتها الغريبة:

_ ماذا قال؟ أخبريني.

_ لا شيءَ سيحاول أن يحضر قريباً.

نظرت أمامها إلى الشوارع المزدحمة وأعمدة الإضاءة التي بدأت في العمل مع بداية غروب الشمس وهمست في داخلها : " فليكن الله معنا فيما سنواجهه".

***

قصر توت عنخ آمون بعد مرور تسع سنوات على تنصيبه ملكاً على مصر ... طيبة.

ركضت "عنخسن آمون" بقامتها الضئيلة ونحافتها المفرطة في ممرات القصر وهي تشعر بفزع بعد أن وصل إلى أسماعها خروج الملك مع قائد الجند لتفقد الحملة المتجهه المحاربة "الحيثيين"، كانت الرياح تحرك ستائر الشرفات بعنف، وتغطي السحب صفحة السماء بلونٍ رمادي كئيبٍ.. تخفي وراءها وجه الشمس المضيء الذي اختفى نورُهُ وحل مكانه ظلام غريب، ومن خلفها ركضت وصيفتان عنبريتا اللون اختلط صوت قرقعة الحُلِي في أيديهما مع زمجرة الرياح في الخارج.

دخلت غرفة التجهيز لتجد زوجها الملك على وشك الانتهاء من وضع الزي الملكي الخاص بالزيارات الرسمية للجيش، لم يتبق غير وضع التاج الذهبي على رأسه....

كان الملك شاحباً للغاية تبدو على محيّاه أمارات المرض وهو يستند إلى عصاه التي لا تفارقه !

هُرِعَت إليه "عنخسن آمون" تمد يدها إليه قائلة بتضرع:

ـ مولاي ومليكي أستحلفك بالإله الأعظم أن لا تخرج لتلك الزيارة اليوم.

نظر لها "توت عنخ آمون" محذراً لتصمت، وأمر بصرف الخدم جميعاً بما فيهم وصيفات "عنخسن آمون".

نظر لها بحنان فخلال سنوات زواجهما التسع نمت رابطة الحب بين قلبيهما على الرغم من أن زواجهما كان مرتباً ليعتلي "توت عنخ آمون" العرش إلا أن الحب نما في قلبه لها لما وجد فيها من النقاء والبراءة الذين نادراً ما يتواجدا في القصور الملكية أو بين الأميرات.

رد عليها وهو يحتضنها :

@ART_OF_BOOK

ما بكِ أيتها الحبيبة؟ ما لي أراكِ فزعة كرياح أمشير، حتى أنك نسيت حرصكِ وتكلمتِ أمام الخدم!

خفضت نظرها خجلة مما فعلت قائلة :

ـ فليعذرني مولاي ومليكي فقد فقدت عقلي عندما علمت أنك ستخرج اليوم لتفقد الحملة العسكرية، مولاي ألا ترى أن آتون العظيم يخفي وجهه اليوم وهذا نذيرُ شؤمٍ يا مولاي؟

ابتسم "توت عنخ آمون" ونظر لها بحب.

ـ فلتحذري يا حبيبتي من التفوه بتلك الكلمات حتى لا تخطئين يوماً أمام أحد من القصر ويشك بنا أحد من الكهنة فينكشف سر عبادتنا لآتون، وأننا ما زلنا على عهد أبينا "إخناتون" الموحد.

ردت بصوت خافت:

ـ إن مولاي على حق وأعتذر عن اندفاعي، ولكن أرجع عدم حرصي هذا من خوفي على زوجي، لكن مولاي أخشى عليك من غدرهم وخصوصاً "حور محب" فأنت تعرف ما فعل والشكوك التي تحوم حوله في أن له يداً في قتل أبينا، فليس هناك مبرر أن تخرج معه لتفقد الحملة الحربية في هذا اليوم شديد الرياح.

تنهد بحزن فهو يعلم أنها على حق فيما تقوله ولكن لم يستطع أن يظهر خوفه أو توجسه من دعوة "حور محب" له منذ يومين؛ لتفقد الحملة وخصوصاً أن الكاهن الأكبر "آي" الذي أصبح كبير كهنة "آمون" الآن قد وافق على أن يصحبهم لمباركة الحملة هو الآخر عندها لم يستطع الرفض أو التنصل، لقد أصبح يعد العُدة لأن يجعل "آتون" إلهاً أكبر وله المعابد

في طيبة جنباً إلى جنب مع "آمون"، ويسمح بحرية العبادة والاختيار للشعب وبذلك يتخلص من تسلط كهنة "آمون" بمفردهم على أفكار وحياة العامة فهم من يحللون ويحرمون ويمنعون ويعطون ويعاقبون ويكافئون، هو يعلم مقدار قوتهم بعد أن انهزم أمامهم أبوه في حربه ضدهم. ولكن خطأ أبيه أنه قد عاداهم في العلن قبل أن يمسك جميع مقاليد الدولة في يده، ويسيطر على كل أركانها ؛ فمثلاً الجيش لم يستطع فرض سيطرته عليه، وكذلك حراس الأمن وإدارة الصوامع والضرائب كلها كانت تحت أيدي الكهنة ومن يعمل بها يدين بالولاء لهم، وهكذا أهمل الكثير من الجوانب التي كانت سبباً في أضعافه لذلك منذ أن وعى وأيقن ما كان يحاك بين رجال الدين ورجالات الجيش أقر في نفسه التماشي معهم في خططهم، وإقناعهم بالانسلاخ عن عبادة "آتون" إلى عبادة إلههم "آمون" وغير اسمه حتى يتولى حكم البلاد بعد أن أعطوا الحكم لعمه "سمنخ كارع" ولكن بإيعاز من "نفرتيتي" التي كانت لها أطماع أكبر من أن تكون أم زوجة "سمنخ كارع" فقط، جعلته هو الملك المتوج ابن زوجها وزوج ابنتها الصغرى، وقتها عاهد نفسه عندما يستتب له الحكم فسوف ينتقم منهم جميعاً شر انتقام.

تزوج من حبيبته بعد أن أقنع زوجة أبيه "نفرتيتي" في إخلاصه نحو مصلحة البلاد وأنه سيكون الداعم الأكبر لـ"آمون" وكهنته وأنها ستصبح المتصرفة في البلاد بصفتها الملكة الأم التي لا ترد لها كلمة، كان لصِغَرِ سِنه وقتها العامل الأكبر في تصديقهم له والاستهانة بذكائه أمام خبثهم ومؤامراتهم البشعة، أما الآن فهو أصبح قريباً من تحقيق أهدافه لقد استبدل الكثير من كبار الموظفين العاملين على خزائن المال وصوامع المحاصيل ضمن ولاء كثير من قادة الكتائب للجند، حيث إنه ما زال أمامه طريق طويل لضمان ولاء جميع كبار القادة حتى يستطيع أن يتخلص من "حور محب" عن قريب الذي أصبح مكروهاً بين أفراد الجيش. أما بالنسبة للكاهن "آي" فقد أغرى "توت " كثيراً من كهنة "آمون" الصغار بوعود بمناصبَ كبيرة وامتيازاتٍ عظيمة وذلك بعد التخلص من "آي"، أما "نفرتيتي" فقد استطاع أن يؤججَ

الخلاف بينها وبين "حور محب" وذلك بإهداء المِحظِيات والجواري لـ "حور محب " من السبايا حتى زهد في "نفرتيتي" فاشتعلت غيرتها وأصبحت مصدرَ تهديد له فتخلص منها قائد الجند كما تخلص من أبيه بإغراقها في النهر ! عندما كانت تقوم بنزهتها الصباحية مع جواريها، وهكذا بدأ انتقامه بنفرتيتي" ولسوف يحين موعد البقية... أما العامة فلم يكن يوليهم أي اهتمام؛ فهم يتبعون من يملأ بطونهم بالطعام والجعة، ويسرد على مسامعهم بطولات المعارك ألم يتخلوا عن والده، ملكهم ؟ بعد أن خانوه جميعاً وتركوه وحيداً في عاصمته التي أصبحت أطلالاً خَرِبة، إنهم لم يهتموا بمقتل ملكهم وعدم إقامة جنازة تليق به كملك وليس بمارقٍ كما أشاع عنه الكهنة بينهم حتى أنه لم يدفن بمقبرة ملكية تليق به، وأيضاً جبنهم وخضوعهم لبطش جنود "حور محب".

انتزعته "عنخسن آمون" من أفكاره وهي تضع يدها على صدره وتهتف:

ـ فلتستمع لي يا مولاي ولا تذهب، فلتعتذر لهم بالمرض أو أي شيءٍ كان لكن لا تذهب !

نظر لها وهو يقول:

ـ لا أستطيع الآن يا حبيبتي، لكن كلها بضع سويعات وأعود لكِ قبل الظلام، لا تخشي شيئاً سأكون محاطاً بالجنود والقواد فلن يستطيع "حور محب" أن يفعل شيئاً.

قالها ووضع تاجه الذهبي وحمل صولجانه في يد وفي اليد الأخرى كان يتكئ على عصاه التي كان لا يستطيع المشي إلا بها؛ لهذا الضعف اللعين في إحدى قدميه والذي عانى منه منذ ولادته.

انطلق الموكب من أمام القصر بعرباته الحربية تتقدمه عربتان حربيتان يقودهما أربعة من

الجنود يتبعهما عدد من الجنود المشاة حاملي الرماح بخوذهم الذهبية اللامعة على الجانبين، ومن ثم عربة الملك الحربية الذهبية التي تزينها نقوش تمثل الألهه إيزيس بأجنحتها الحامية للملك، يجرها حصانان ازدانت جِيادهما بالدروع الذهبية، يقودها "حور محب" قائد الجند وبجانبه الملك يستند على عصاه ومن خلفهما خمس عربات حربية تقل قادة الكتائب. وفي المؤخرة عربة الكاهن الأكبر ذات السقف والجوانب القماشية لحمايته من الشمس والرياح الأمطار.

أخذ الموكب الطريق المُعَبد الواصل بين القصر وثكنات الجنود، حيث كانت الرياح تضرب الوجوه بقسوة مع سرعة العربات، مر الموكب بالجنود المصفوفة على الجانبين مدججين بالأسلحة في تحية رسمية للملك والقادة، وعند الاقتراب من نهاية المرور عصفت الرياح بقوة وفتحت السماء أبوابها وانهمر المطر بشدة، اقترح"حور محب" على الملك العودة إلى القصر حفاظاً على صحته من تقلبات الجَو، وانطلقت عربة الملك يقودها "حور محب " بمهارة، صهلت خيول عربة الملك مندفعة بشدة تسابق الرياح كمن أصابها مَس من الجنون وهي تخترق الصفوف ورأى القادة القائد "حور محب" وهو يصارع لجام الخيول للسيطرة عليها ولكن دون جدوى، انطلقت الخيول تعدو بأقصى سرعة حتى سبقت العربات الأخرى التي كانت تحاول أن تساعد لإيقافها، وانطلق وراءهم عدد من القادة بالعربات ولكن على حين غفلة شاهد الحراس في العربات الأخرى عن بُعد انقلاب عربة الملك وجسد الملك يسقط من العربة ويتدحرج على الطريق ومعه القائد "حور محب"، بعدها بدقيقة استطاع القائد "حور محب" الوقوف بسرعة واتجه ناحية الملك "توت" وهو يصرخ وانحنى جاثياً بجانب الملك ووضع رأسه على حجرة وهو يحاول بيده إيقاف شلال الدم المنبثق من الرأس الملكية وسط الأمطار الغزيرة، ولكن نظر له الملك "توت عنخ آمون" نظرة طويلة حملت الكثير من المعاني ثم انطفأ بريق الحياة من عينيه وأغلقهما للأبد.

كان قائدا العربة القريبة من عربة الملك يكادان أن يقسما أنهما شاهدا قائد الجند وهو يرفع يده بعصاه المعدنية فوق رأس الملك ويهوي عليها قبل أن يسقط الملك من العربة جثة هامدة ! ولكن لم ينبس أي منهما ببنت شفة، فقد كانت الأمطار الغزيرة وبعد المسافة تجعلهما يشكان فيما رأياه هل بالفعل قتل قائد الجند الملك ؟ شيء صعب التصديق خصوصاً أنهما كانا في العربة الوحيدة التي كانت على مسافة قريبة نوعاً ما إلى عربة الملك، فآثرا الصمت وعدم البوح بما رأوه.

حُمِلَ الملكُ إلى القصر وسط دمائه ووسط نهرٍ من الدموع الحقيقية والكاذبة من خلصائه! ومن أعدائه في الجيش، وكان يمشي بجوار الجثمان الكاهن "آي" الذي كان يبدو على وجهه التأثر وكأنه لم يتآمر هو وحورر محب على قتل الملك.

هُرِعَت "عنخسن آمون" عندما علمت الخبر إلى قاعة العرش التي سُجيَ بها جسد الفرعون قبل نقله إلى "بيت التحنيط"، حيث يُغسل جسده الشاب ويُفرغ من أحشائه ومخه استعداداً لِلَفهِ بمواد الحنوط ولفائف الكِتان، حاول الكاهن الأكبر منعها ولكنها دفعته حتى ترى زوجها لآخر مرة قبل انطلاقه في رحلته السرمدية، وسط صرخاتها ونحيبها انتبهت للجرح العميق في رأسه والتي يبست عليه الدماء، وقتها عرفت أن ما كانت تخشاه قد حدث: فقد علموا نواياه وقرروا التخلص منه قبل أن يتخلص منهم، ولكن الآن ماذا سيكون مصيرها فهي تحت رحمة اثنين سيفعلان كل شيءٍ في سبيل السلطة والعرش: سيحاول كل منهما الاستيلاء على الحكم وليس هناك من سبيل أفضل من الاقتران بالملكة أي هي فما السبيل إلى الخلاص؟

بعد عدة أيام جلست "عنخسن آمون" في حجرتها تبكي وبجانبها وصيفتاها وقد وهن جسدها الصغير وغارت عيناها جلست الوصيفتان تحاولان أن تخرجاها من حزنها بلا جدوى وتقنعاها بأن تضع بعض الطعام في فمها ولكن هيهات، ولكن فجأة هبت واقفة كمن تذكر

شيئاً خطيراً وقالت:

يا إلهي العظيم! لقد أنساني الحزن على مليكي المعلم "آني" والمخطوطات، لا بُد من ألا يظهر بهم الآن، كل ما كان مخطط له قد انتهى، كان الملك "توت" ينوي أن يحضر مخطوطات أبيه وجدّ أبيه وكتابات القدماء من العبرانيين بما فيها من معجزات الرب على أرض مصر، وتعاليمه التي أرسلها إلى رسله، حيث تعرض على العامة وتصبح نواة لعبادة الله الواحد الأحد، كانت النهج الذي ينوي الملك "توت" أن ينتهجه في المعابد وينشره ليقضي على عقيدة آمون الوثنية وكهنته، وتلك الأوراق هي الإثبات الذي تركه "يويا" وأبوه ومن بعدهم "إخناتون"، إنه كان يعلم أن التغيير لن يكون سهلاً.. وإنه سيواجه حرباً عاتية منهم، ولكن أن يقتلوه وهو الملك الشاب المحبوب من الرعية فلم يتوقع أن تصل بهم الجرأة إلى ذلك.

فكرت لحظة.. لا لا بُد من أن يكون ذلك الإرث مع حبيبها ومليكها في مقبرته تؤنسه في رحلته الأبدية؛ لتكون الدليل في محاكمته على نقاء قلبه وروحه ورفضه شركهم، فهو لم يعبد آمون يوماً لا بُد من أن تجد طريقة لترسل إلى المعلم "آني" حتى يجد طريقة ليخفي المخطوطات إلى الأبد حتى لا يدمروها ويتخلصوا من كل الإثباتات، وأن تجد هي طريقة للتخلص من سيطرة الكاهن الأكبر وقائد الجند.

دخل "حور محب " قاعة العرش وهو يتصبب عرقاً على الرغم من برودة الجو في هذا الوقت، ولكن لم تكن حرارة الجو هي السبب فقد تلقى رسالة من مجلس كهنة آمون موقعة من كبير الكهنة "آي" بوجوب استكمال الحملة وشَن الحرب على الحيثيين في الشمال كما كان مخططاً في حياة الملك؛ لحماية حدود البلاد وأمنها، وجد الكاهن الأكبر وهو يرتدي زِيهُ الكتاني الأبيض ويغطي كتفيه بجلد النمور الحبشية جالساً على كرسي العرش في هدوء كمن استحوذ عليه واطمأن لسيطرته على مقاليد الحكم.

قال "حور محب" وهو يصِر على أسنانه:

ـ أراكَ جلست على كرسي العرش أيها الكاهن الأكبر قبل أن يبدأ الملك رحلته ويوارى جسده في قبره ! أليست السياسة والحكم بعيدة عن نطاق الدين والعبادة أم تراني مخطئاً؟

نظر له الكاهن بسخرية قائلاً:

ـ وهل الحكم بعيد عن الدين أيها القائد؟ فكل منهما يكمل الآخر، أما من حيث جلوسي على العرش فهو حق لي، فأنت تعلم أنه عندما لا يكون هناك ولي للعهد أو وريث للملك يتولى الكاهن الأكبر للمعبد مقاليد الأمور حتى يتم تنصيب ملكٍ على البلاد، وفي هذه الفترة له الحق في اتخاذ أي قرارٍ في مصلحة البلاد.

رد "حور محب" وقد احمر وجهه من الغضب:

ـ أترى في مصلحة البلاد الآن إرسال حملة عسكرية لمحاربة الحيثيين في الشمال؟! ولم يمر أسبوع على وفاة الملك، ألا يدل ذلك على قلة الاحترام؟ ألا يجب أن ننتظر حتى توديع الملك ودفنه في مقبرته قبل أن نفكر في أن نرسل الجيش خارجاً؟ فليس هناك تهديد قوي من الحيثيين فلقد سمعت أنهم يحاولون توسيط بعض القبائل لعقد صلح معنا فلِمَ العجلة الآن؟!

ابتسم الكاهن باستهانة ونزل من كرسي العرش واتجه إلى القائد ووضع يده على كتفه قائلاً:

ـ أترى يا "حور محب"؟ ذلك هو الفارق بين الحكم بالسياسة والحنكة والحكم بالقوة. لا بُد أن تفكِرَ بعقلك أولاً وليس عضلاتك؛ لذلك فالكهنة هم أفضل الناس للحكم وللقيادة؛ لا تنظر إلي هكذا فإدارة المعابد كإدارة البلاد، وكيفية التعامل مع الرعية واحدة بالترهيب تارة والترغيب تارة أخرى، وليست كل الأمور بالشدة والحزم لا يا عزيزي؛ لكن في بعض الأحيان

@ART_OF_BOOK

يجب أن ترهب الخصم وتظهر قوتك أمامه حتى لا يستهين بك.

التفت عائداً إلى كرسي العرش تحت أنظار "حور محب"الغاضب وقال بهدوء:

ـ لا بُد من إرسال تلك الحملة في هذا التوقيت لسببين؛ أولاً: حتى نظهر لأعدائنا أننا أقوياء ولم يفت في عضدنا وفاة الملك، وأن الجيش على عهده من القوة، وأن البلاد في خير حال خصوصاً أن الأعداء في الخارج متوقعين التفسخ والخلافات الداخلية نظراً لعدم وجود وريث للملك أوولي عهد.

ثانياً : وهو الأهم سوف نرسل القادة المشهود لهم بحبهم وإخلاصهم للملك "توت" حتى يدافعوا عن بلادهم ويفدوها بدمائهم.

ونظر نظرة إلى القائد كمن يقول له: أنت تعرف ما أعني جيداً أيها القائد.

ـ نحن لا نريد أي انقسامات داخل الجيش أو أي لغطٍ، وخصوصاً بعد انتشار الكثير من الأقاويل بين القادة والجنود.. إن حادثة موت الملك لم تكن حادثاً عرضياً ولكنها حادثة قتل مدبرة، لكن كما هي الحال دائماً بعد فترة ستهدأ الشائعات والأقاويل أو تقتل في مهدها وأنت خير من يعرف ذلك.

وابتسم ابتسامة لم تصل إلى عينيه ذكرت "حور محب" بابتسامة الكوبرا قبل الانقضاض على فريستها.

أحس "حور محب" بمن وقع في بئر عميقة مظلمة ليس لها قرار وهو يسمع كلام الكاهن "آي".. هل كان من الغباء ليسير إلى الفخ الذي نصبه له هذا الداهية بعينين مفتوحتين والآن يقوم بتهديده بطريقة مفضوحة، ولكنه يعلم جيداً أن مقاليد الجيش في يده ويستطيع بالقوة إزاحة كل كهان آمون بضربة واحدة والاستيلاء على الحكم في طرفة عين، كما فعل من قبل

مع الملك "أمنحتب الثالث" عندما استخدمه الملك للإطاحة بالكهان الذين ازداد نفوذهم وقوتهم وفرضوا مطالبهم على الملك.

عندها كان "حور محب" قائد إحدى الكتائب ولكن بقوته وعزيمته استطاع تخليص الملك من أولئك المتمردين واكتسب وقتها بكل جدارة منصب قائد الجيش على صغر سنه وقتها.

فطن الكاهن إلى ما يدور بخلد "حور محب" من أفكار فتنهد قائلاً بصوتٍ ناعمٍ كانزلاق الأفاعي:

ـ ونصيحتي لك أيها القائد أن تكون أنت على رأس تلك الحملة حتى تصل أخبار انتصاراتك إلى الشعب ليتغنوا بها وينسوا موت الملك وهو في العربة الحربية نفسها معك ! أو شائعات مقتل الملك على يد قائد الجند كما يقولون !

نظر له "حور محب" والشرر ينطلق من عينيه وقال بصوت مسموع:

ـ إذا كنت تعتقد أن العرش أصبح بين يديك فأنت مخطئ؛ فالشعب لن يقتنع بحاكم ليس من دماء ملكية أو حاكم قوي يستطيع حمايتهم وإعطاءهم الأمن والأمان داخلياً وخارجياً ضد الأعداء ، يا " آي" فلتعلم جيداً أنه مهما كان سلاح الدين في يدك قوياً فسلاح الخوف أقوى!

رفع الكاهن حاجبيه ونظر إلى القائد ساخراً:

ـ لا أدري يا صديقي من أين أتيت بهذه الفكرة؟ ولكن أتدري فعلاً لديك حق؛ فسلاح الخوف هو أقوى الأسلحة، ولكن فلنقارن خوف عامة الشعب من اللصوص أو الغزاة بخوفهم من الجوع أو غضب الإله أو جفاف "حابي" أو عدم تطهير الكهنة لهم من الآثام حتى

يستطيعوا العبور بسلام إلى الحياة الأبدية مع "أوزوريس" عند الموت ماذا تعتقد أن يكون الاختيار ؟! تغير الحاكم الذي لا يعنيهم ما داموا يأكلون ويشربون ويعيشون حياتهم، وعند مماتهم سيذهبون إلى يارو مع أوزوريس في حياة نعيم أبدية، أية كِفة سترجح أيها القائد ؟ هل يغامر العامة بمعاداة الدين وهو سبيلهم إلى رحلة أبدية سعيدة سرمدية مع آلهتهم أم يغضبون الرب وكهانه في سبيل حاكم؟

رد "حور محب" بعِند يدري جيداً عدم جدواه:

ـ ولكن يمكن تغيير العقيدة أيها الكاهن كما فعل "إخناتون" ألا تذكر؟ فقد كنت بجانبه.

وابتسم بسخرية.

ـ لا بل كنت كبير كهانه ووزيره المقرب!

جلس الكاهن على كرسي العرش ووضع يده على خده وهو ينظر إلى "حور محب" بلؤم:

ـ عظيم وماذا حل به في النهاية؟ لقد سئم الشعب من تعاليم إلهه الجديد، فكيف لشعب عاش مئات السنين يعبد العديد من الآلهة لكل مناسبة ووقت إله أن تحكمهم بإلهٍ واحد لكل الأوقات والأحداث ؟ وتعاليم جديدة متشددة لم يكن الشعب مستعداً لها حتى هجروه في النهاية وعادوا إلى آمون بل وأصبحوا حانقين عليه، وهكذا عندما مات لم يحزن عليه الشعب ولم يهتم بظروف موته أو حتى جنازته !

رد "حور محب" بهدوء :

ـ ولكن هناك نقطة ضعف لكل منا يا "آي" ولا تعتقد أنني لا أعلم عن مخطوطات "يويا"

@ART_OF_BOOK

التي كنت ترجو أن تحصل عليها من "إخناتون" وكيف أنك قلبت القصر رأساً على عقبٍ عَقِبَ وفاتِهِ للحصول عليها؛ لأنها ستفني معبودك آمون للنهاية لو ظهرت للعامة ونسخها الكتاب وحفظها المنشدون ستغلق المعابد وتصبح خراباتٍ ينعق بها البوم ! كان "إخناتون" غبيا عندما كنت تجعله يتريث في الإفصاح عن تلك المخطوطات بحجة أن الشعب لن يفهمها وأنه يجب أن يدعُوَ إلى عبادة التوحيد في بساطة، ولكنه كان أذكى منك وخدعك هو الآخر وأخفاها عنك وما زال الخوف يسكنك من ظهورها يوماً ما ؛ لأنها ستُعريك أنت وكهنتك أمام العامة والخاصة وستقلب كل الموازين، وخصوصاً أنه بين الشعب نسبة كبيرة من الموحدين حتى وإن كانوا مخفيين سيتبنونها وستنتشر وعندما تمتد النار في الهشيم لن تستطيع أن توقفها.

نظر له الكاهن بسخرية وابتسم بجانب فمه:

ـ صديقي "حور محب" هل لا تزال تؤمن بتلك الإرهاصات ؟ كلها أقاويل يا عزيزي، هل شاهدت يوماً بأم عينيك مخطوطة كتلك؟ هل سمعت من يتلو ما فيها يوماً؟ كلها كانت أوهاماً في رأس "إخناتون" ليقنع البسطاء من العامة والمذبذبين ممن نالوا قسطاً قليلاً من العلم، كل الأقاويل عن تلك المخطوطات خرافات يا عزيزي وأؤكد لك ذلك، كم من عام مر على موت "إخناتون" ولم يظهر شيء مما قال عنه ! فلتسترح أيها القائد ولتجهز نفسك لقيادة الحملة العسكرية وتغادر بها في غضون يومين من الآن.

نظر له "حور محب" مفكراً لقد خسر المعركة هو يعلم ذلك، ولكنه لم يخسر الحرب بعد، وأدار له ظهره وانصرف بخطىً غاضبة ! تراجع الكاهن بظهره إلى الوراء قاطباً حاجبيه بشدة، إن "حور محب" على حق، وفي هذا الوقت لا تستطيع أن تضمن ولاء أي كان، فلا بُد من أن يجمع كل الخيوط في يده ليضمن لنفسه الأمان، ولا بُد من أن يضرب بيدٍ من حديد

مَن يتفوه بكلمة عن مخطوطات "يويا" أو كلماته إذا أراد أن يستتب له الملك ويحكم قبضته على العرش.

***

توقف القطار القادم من الأقصر في محطة القاهرة، ونزل منه شابان يرتديان الجلباب الصعيدي والعِمة، يحمل أحدهما حقيبة جلدية قديمة والآخر يحمل سلة من الخوص. وكانت ملامحهما تحمل سمارَ مَن يعمل تحت الشمس لفترات طويلة.

مشي الاثنان داخل المحطة وهما يتلفتان حولهما كمن يشاهد هذه المناظر للمرة الأولى، خرجا خارج المحطة وبدءا يبحثان عن وسيلة نقل تقلهما إلى منطقة مصر الجديدة حتى وجدا ضالتهما في سائق تاكسي كان يجلس في سيارته ليتناول وجبة غداء متأخرة ويشرب معها كوباً من الشاي، وعندما شاهد الاثنان يتلفتان حولهما بحيرة حتى هُرِعَ ناحيتهما محيياً بوُد وبابتسامة سائقي التاكسي عندما يشمون رائحة فريسة سهلة محتملة !

قال لهما ببشاشة:

ـ إلى أين تريدان الذهاب يا بلدياتنا؟

رد عليه الأكبر في السن منهما :

ـ إلى شارع مصر الجديدة يا خال.

ضحك سائق التاكسي قائلاً:

ـ مصر الجديدة منطقة وليست شارعاً يا بلدينا !

وقف الثلاثة برهة كمن يتفقون على أجرة التوصيل، ومن يشاهدهم يعرف أن سائق التاكسي

يحاول جاهداً أن يحصل على أقصى ما يستطيع من النقود من تلك التوصيلة. وبعدها ركب الثلاثة التاكسي وانطلق بهم بعد دقيقة التفت سائق التاكسي إلى الشخص الأكبر هاتفاً:

ـ الحمد لله على السلامة يا "علاء باشا"

والتفت إلى الشاب الآخر قائلاً:

ـ القاهرة نورت.

التفت إليه "علاء" الذي كان متنكراً في زِي الشاب الصعيدي الذي يحمل الحقيبة.

ـ سلمك الله يا شاويش حسين كيف الأحوال؟ وأحوال سمير بيه؟

ـ بخير الحمد لله.

ـ سنتجه مباشرة إلى العنوان الذي تعرفه، وأرجو أن يكون أفراد المراقبة متواجدين بالفعل.

ـ كله تمام يا فندم وأخبروني منذ برهة بأن الآنسة "ريم" وأختها قد وصلتا بالفعل عند شقة الدكتور.

نظر علاء إلى الشاب الذي معه قائلاً:

ـ أعرفك بالملازم أول "عمر الصيرفي" يا شاويش حسين، لقد أصر أن يصحبني في هذه الرحلة حتى إذا جَدت في الأمور أمور يكون متواجداً بجانبي.

تمتم الشاويش حسين مرحباً بالملازم الشاب فرد عليه الشاب بابتسامة هادئة.

نزل الاثنان من التاكسي ووجدا إسماعيل البواب في مقابلهم يسألهما إلى أين؟ فردوا أنهم أقارب الدكتور "عبد العظيم" من البلد، فلم يتركهم ليصعدوا حتى تحدث مع الدكتور وأخذ

موافقته.

صعد الاثنان ودق "علاء" الجرس ففتح الدكتور بقامته الضئيلة الباب مرحباً بهم فقد أخبرته "ريم" عن النقيب علاء وعلاقته بالقضية من أولها وبعدها أرسلت له "ريم" رسالة مقتضبة من هاتف "نهى" بعنوان شقة الدكتور ، ورد عليها بميعاد وصوله ومقابلته لها هناك، عندها اتصل مع الرائد سمير وقام بترتيب جميع الأمور الأمنية معه.

قابلتهم عند دخولهم الشقة رائحة الطعام الشهي الذي تضعه رنا" على مائدة الطعام بمساعدة الدكتور و"ريم"، جلس الشابان وجلست معهما "ريم" مبتسمة قائلة:

ـ الدكتور عبد العظيم يقطن بمفرده، وعندما نزوره تصر أمي على أن تعد له بعض الطعام المنزلي الذي يحبه.

بعد الانتهاء من تناول الطعام جلس الخمسة يحتسون أكواب الشاي الساخن وعندها نظر علاء إلى ساعته قائلاً:

ـ أرجو منك يا دكتور أن توضحَ لنا ما اكتشفته من الرسالة؛ لأن الوقت تأخر ويجب أن ننصرف.

أحس دكتور "عبد العظيم" بأن الأضواء مسلطة عليه فاعتدل في جلسته وبدأ في شرح ما أخبره لـ"ريم" من قبل حتى انتهى، كان كل من علاء وعمر فاغِرَي فاهَيهما من الدهشة لكل كلمة قالها الدكتور في كلامه !

ابتلع علاء ريقة قائلاً :

ـ كلامك يا دكتور يأخذنا إلى منطقة مختلفة ! ليست عصابة تجار آثار أو لصوص

عاديين.. الموضوع هنا يُقصد به منظمات خارجية

نظر له الدكتور بامتعاض :

ـ ماذا كنت أقول منذ ساعات ؟ لا بُد من أن تعرف عم يبحثون في البدء لتفهم.

انبرت "رنا" باندفاعها المعتاد:

ـ ولكن لا أحد منكم فكر كيف بدأ الموضوع الموضوع بدأ عندما أخذ رئيس التحرير المذكرات من "ريم"، ومن هنا أجزم أنهم علموا منه بوجود دليل على وجود تلك المخطوطات.

ردت "ريم":

ـ ولكن ما يحير أن المذكرات موجودة منذ وقت طويل لماذا الآن؟

رد عمر بسرعة:

ـ بعد التحريات اكتشفنا أن المذكرات مع عدة أشياء أخرى كمجوهرات شخصية قليلة القيمة كانت محفوظة في خزينة بنك، ولم تحضرها السيدة "ماري" إلا منذ بضعة أشهر قبل الوفاة، فقامت ببيع المجوهرات والتبرع بثمنها لملجأ أيتام، أما المذكرات فظلت في حَوزَتِها.

فردت "ريم":

ـ ولكن لماذا أعطتني إياها؟ لماذا أنا بالذات ؟!

هذه المرة رد علاء :

ـ ليس بالضرورة أن تكوني أنتِ، ولكنها على الأرجح وجدت فيكِ ضالتها، لا أدري على

@ART_OF_BOOK

وجه التحديد فيمَا كانت تفكر .

تابعت:

_ وكيف عرفوا أنها لدى الأستاذ سعيد أساساً؟!

أجابها علاء:

_ لأنه هو من أخبرهم عنها حسب التحريات بتتبع الأرقام التي اتصل بها سعيد قبل مقتله، هناك رقم تليفون بأمريكا اتصل به وهو يخص بروفيسور أمريكي مختص بالتاريخ المصري بجامعة في "نيويورك"، ومن المرجح أنه أخبره عن المذكرات بل أعتقد أنه حاول بيعها لهم وبالتالي فتح باب كان مغلقاً منذ سنين.

تكلم الدكتور عبد العظيم" بعد أن كان صامتاً يسمعهم لفترة.

_ وهكذا يحل لغز لعنة "توت عنخ آمون" الذي ظل الجهلاء يرددونه لليوم.

اتجهت إليه أنظار الأربعة منتظرين تفسيراً لما قال.

_ فلنقل إن هناك عدداً مِمن كانت له صلة بالمقبرة قد مات في ظروف غامضة ويجمع بينهم السبب الشائع للوفاة، أو ما يشخصه الأطباء بهبوطٍ في الدورة الدموية وبالطبع لا نريد أن تلفت الأنظار إلى ما يحدث أن هؤلاء قد قتلوا نبدأ في نشر سببٍ غامضٍ وحسب ولع الغرب وقتها بسحر الشرق فلِمَ لا نجعله سحراً؟ أو الأفضل فلنجعله لعنة.

كالعادة هتفت "رنا" في إثارة:

_ فلتشرح لنا أكثر يا دكتور، نريد التفاصيل فجميع المواقع تذكر "لعنة الفرعون توت" على كل مَن أقلق نوم الملك! فهل كل ما كان يذكر من وقتها خطأ، وكل ما نعرفه عن "لعنة

@ART_OF_BOOK

الفراعنة" وسحرهم لا وجود له؟!

عدل الدكتور من وضع نظارته ونظر لها:

ـ أولاً: أود أن أقول إنهم اسمهم "المصريون القدماء" وليس الفراعنة يا "رنا" ففرعون اسم لملك وقد ذُكِرَ في القرآن الكريم وليس لقباً لملوك مصر، أوَ تعرفين أن فرعون لم يكن مصريا من الأساس؛ بل كان من ملوك الرعاة أي الهكسوس، ولذلك لم نجد لهم أثراً لأن حضارتهم كانت في شمال مصر وكانت حضارة طينية وليست حجرية فاندثرت، ولم يكن لديهم علم التحنيط كما كان لدى الكهنة المصريين في الجنوب، ولذلك لم نعثر على مومياوات من عهدهم؛ وبعدما طردهم "أحمس" من مصر بعد مرورهم بمرحلة ضعف، ويقال إن ذلك بعد عهد "سيدنا موسى" بقليل، دمر المصريون أي أثرٍ لهم في البلاد وبدؤوا في إعادة ترسيخ العمارة المصرية والمعابد كأي بلد ذو حضارة يطرد المحتل من أرضه فيمحي كل أثر له؛ وخصوصاً أن المصريين كانوا معتزين للغاية بالفن المعماري لديهم وعلمهم وحضارتهم فلن يتركوا أي شيءٍ مهما كان ضئيلاً يدل على احتلال الهكسوس إلا تسجيل انتصاراتهم في المعارك عليهم على جدران المعابد والبرديات وجدران المقابر للملوك.

فلنعد إلى موضوع اللعنة ... البداية كانت "كارنافون" والذي يقال إن النقود التي استخدمها لتمويل التنقيب قد هبطت عليه من السماء! ألا يكون الطمعُ هو سببَ موته وبعده إخوته، من الممكن أن يكونوا على علم بما كان يفعله، وكل منهم مات بطريقة غامضة، ومن بعدهم سكرتير كارتر، ومصور تابوت "توت عنخ آمون"، الغريب أن الأسرار في حملات التنقيب تكون معروفة ومتناقلة بين بعضهم بعضاً، ولكنها تبقى سراً عمن خارجها فلِمَ لا نعتبر أن كل مَن مات في تلك الفترة قد قتل بطريقة ما سم مثلاً أو تسمم بكتيري في الدم؟ كما يقال عن "كارنافون" وذلك عمداً بالطبع، فبذلك نتخلص من كل مَن لديه صلة بالمخطوطات أو

@ART_OF_BOOK

يعرف عنها.

ردت "رنا" مستفسرة بذكاء :

ـ ولكن "هوارد كارتر" بَقِيَ على قيد الحياة وهو من كان أقرب للسر من أي أحدٍ آخر !

ـ ولِمَ لا تقولين إنه كان واحداً منهم أو انضم إليهم بعدها؟ لا تنسيَ أنه كان لديه المخطوطات ولكنها اختفت بطريقة ما فاستمر يبحث عنها.

ردت "ريم":

ـ واحد ممن يا دكتور ؟! وقبلُ ذكرت أن منظمة كبرى تريد تلك المخطوطات فمن هم؟

ـ ما هذا يا "ريم"؟ أيُعقل أن تكون صحفية مثلك ولم تسمع بهم أو مَر عليها قصة متعلقة بهم، إنهم "الماسونية" يا عزيزتي فماذا كنت تتوقعين ؟ عصابة لسرقة الآثار؟ أم تجار آثار من الغرب يسعونَ وراء أوراق بردي يبيعونها بالمزاد أو للأثرياء جامعي التحف مقابل بضع مئات من الألوف ؟!

صمت الأربعة من صدمة ما سمعوا، فالموضوع أخذ منحنى آخر، فلم تكن تلك جرائم قتل على مستوى محلي، ولكن لغز تاريخي قُتِلَ في سبيله كُثر من قبل وقد وصل إليهم الآن، حتى الضابطين جلسا في حيرة لا يعرفان أية خطوة أو اتجاه سوف يأخذانه بعد الخروج من هنا.

وأخيراً تكلم عمر الذي كان صامتاً طوال النقاش:

ـ ولكن هل ما تحتويه تلك المخطوطات خطير لهذه الدرجة؟ نحن الآن في وقت لا أعتقد أن بضع كلمات على أوراق قديمة قد تقلب العالم حتى تُسفَكَ من أجلها كل هذه الدماء،

@ART_OF_BOOK

فالبشر الآن أصبحت في عصرٍ لا اهتمام بأي شيء سوى الماديات فليس الماضي الآن ما يشغل بالهم.

نظر إليه الدكتور "عبد العظيم" بأسف قائلاً:

ـ تلك نظرة لا مبالية يا عمر ! أنت تقول هذا لأنك تأخذها من منظور سطحي، ولكن لو تعمقنا تجد أننا موجهون من تلك القوى الخفية، الاقتصاد تجدهم المتحكمين في رفعه وخفضه في أوقات معينة ولدول معينة الأغراضٍ لديهم، الحروب تُشَن بمعرفتهم وترتيبهم، حتى الأوبئة والأمراض واللقاحات هم المتحكمون فيها، أتعرف أن ميولك السماع موسيقى معينة لهم تأثير فيها ؟ الموضة وما تلبسه لهم فيها أيضاً يد، لا تستَهِن يا عمر فالشعوب بيدهم كالقطيع يوجهونه أينما يريدون حتى أن معظم حكام الدول تحت سيطرتهم!

رد عمر مستمراً في تساؤلاته:

ـ ولكن يا دكتور مع احترامي فأنت لم تخبرني بما يوجد في هذه المخطوطات ومهم لهذه الدرجة؟

ـ لا أستطيع أن أؤكد لك بالضبط ما فيها ولكن أكيد أنك سمعت عن ألواح "موسى" التي هي نواة التوراة الأصلية التي تحوي الوصايا العشر أليس كذلك؟

هَز عمر رأسه بالموافقة دون أن يتكلم.

ـ عندما تكون التعاليم القادمة من الرب والمسجلة بيد نبيه موثقة على تلك المخطوطات بدون التحريفات التي تمت على مَر القرون على التوراة وحذفهم لما لا يريدونه وإضافتهم لما يتماشي مع مصلحتهم؛ فلا بُد من أنك تريد أن تحصل على تلك الوثائق بأية طريقة كانت وخصوصاً أن ألواح التوراة كانت في "تابوت العهد" المختفي حتى الآن، ولكن يقال إنه في

حوزة الماسونيين أيضاً.

ثانياً: إن خط سير الرحلة لموسى مع بني إسرائيل موثق أيضاً في تلك الأوراق، مما يجعل أرض الميعاد كما يقول الكثير ليست هي كما يدعون الآن، فأعتقد التخلص من كل شخص يقف في طريقهم للحصول على تلك الأوراق هو أبسط شيء.

عاد عمر يسأل والباقي جالسون يستمعون لتلك المناقشة وكأن على رؤوسهم الطير .

ـ ولكن يا دكتور كما قلت إنه تم اكتشاف تلك الأوراق في العشرينيات فلِمَ لم يحصلوا عليها للآن بكل تلك القوة والنفوذ التي لديهم؟

تنهد الدكتور "عبد العظيم" وعدل من وضع نظارته قائلاً:

ـ ومن قال لك إنهم لم يكونوا وراء تلك الأوراق منذ زمن، لو قرأت مذكرات "توفيق باشا" لعرفت جيداً أنه كان مطارداً منهم ومهدداً هو وكل عائلته لمجرد شكهم.. فقط شكهم في معرفته لمكان تلك الأوراق وليس أنه خبأها، وأعتقد أن هذا ما دفعه للنهاية للانتحار للتخلص من ضغوطهم عليه وإنقاذ عائلته من أيديهم بموته أو كما يقال أنه قتل، وتم إنهاء القضية على أنها حادثة انتحار ولكنه لم يستطع أن يجعل تلك الأوراق تختفي مع الزمن بلا أثر لأهميتها، فترك تلك الرسالة المِخفية لعل أحداً من أبنائه أو أحفاده يجدها ويكون الزمن قد تغير عندها.

ردت "رنا" قائلة بهمس:

ـ لم يكن يعرف أن الأمور سوف تنقلب للأسوأ وتصبح لهم يد وسيطرة في كل مكان وتقوى شوكتهم.

@ART_OF_BOOK

تدخلت "ريم" قائلة:

ـ ألم يكن من الأفضل أن يضعها في خزانة مثلاً في بنك كما توضع المجوهرات؟

رد الدكتور بابتسامة:

ـ هنا سيكون من السهل لهم الوصول إليها، ففي هذا الوقت كان أصحاب البنوك من اليهود فكيف يرمي بها بين أيديهم.

سكت الجميع لبرهة مفكرين فيما ينبغي لهم أن يفعلوا بعد أن عرفوا ما يواجهونه.

فجأة.. رددت "ريم" على مسمعهم الرسالة مرة أخرى قائلة:

ـ الحل الآن موجود في علبة سيجار أو سجائر لا نعرف، ومميزة بشِعار ما فهل نجد فيها مكانَ المخطوطات أم ماذا؟ وأين نجد تلك العلبة الآن؟

رد علاء وكان صامتاً طوال الوقت يستمع لما يقال:

ـ أكيد ستكون بالقصر، وهل تعتقد أن المرحوم "توفيق باشا" سيغامر بترك الجزء الآخر من الرسالة بعيداً عن القصر، بالأخير هو تركها لعائلته.

رد عمر باندفاع واقفاً.

ـ إذاً لِمَ نحن جالسون؟ دعنا نذهب على الفور إلى القصر للبحث عن علبة السيجار تلك.

هدأ النقيب علاء من اندفاعه قائلاً:

ـ صبراً يا عمر لقد حللنا لغز الجريمتين الآن الدافع والفاعل وحسبما أرى أن التصرف بعدم

@ART_OF_BOOK

حذر لَهُوَ شيء خطير، وخصوصاً أنهم يشكون أن لدى "ريم" ما يدلهم على المخطوطات بدليل مراقبتهم لها، وذلك يدل على التعذيب الذي حدث للضحيتين في الأقصر، فقد كانت محاولة لجعلهم يعترفون بمكان الأوراق وخصوصاً بعد ما حصلوا على النسخة الأصلية من "سعيد المنزلاوي"، وأكيد اكتشفوا الفراغ في الدفتر مكان الرسالة السرية، فكروا أولاً أنها قد تكون بحوزة سعيد لذلك عذبوه محاولين الحصول على معلومات، وعندما تأكدوا أنه لا يعرف شيئاً قتلوه ومن ثم حاولوا مع الأختين فحاولوا تعذيبهما للحصول علي شيء، وعندما لم يحصلوا على بغيتهم شكوا في أن تكون اكتشفتها "ريم" ولذلك حاولوا أن يحصلوا على معلومات منها بإرسال ضابط مزيف وبعدها مراقبتها جيداً ربما يصلون إلى شيء، كل من كانت له صلة بالمذكرات سوف يضعونه تحت أعينهم.

رد عمر بضيق :

ـ ولكن كيف عرفوا بوجود تلك الورقة في المذكرات؟

رد الدكتور "عبد العظيم" عليه قائلاً:

ـ عندما توضع أوراق داخل حاشية مجلد ذي تغليف قديم تترك أثراً يعرف بعد إزالتها لعين خبيرة.

أتت "رنا" بأكواب الشاي ووضعتها أمامهم بصمت، أخذ كل منهم كوبه ما عدا الدكتور "عبد العظيم " فتناول فنجان قهوته، رفع علاء كوب الشاي إلى فمه وفي منتصف المسافة توقف وتجمد كالتمثال لدقيقة بعدها هتف يا إلهي ! لو كان ذلك صحيحاً ستكون مصيبة !

نظر الجميع إلى بعضهم بعضاً ونظروا إليه مستفسرين.

نظر لهم وقال:

@ART_OF_BOOK

احتمال كبير ألا تكون علبة السيجار المقصودة بالقصر الآن لو كان تفكيري صحيحاً.

عندما فتشنا القصر بعد الجريمة وبعد حصر ما فيه من مقتنيات ورفع تقرير للنيابة لم تكن هناك أية علبة سيجار، وخصوصاً أنها شيء غير متعارف عليه الآن، نعم وجدنا علب سجائر فارغة من العادية تعود للأختين ولكن علبة مزخرفة وعليها شعار ما .. لا لم نجد، ولكن هناك علبة سيجار من الصدف والفضة سُرِقَت عام 2006 وأنا أعلم مَن سرقها ولم تُرَد بعد القبض على الفاعلين مع أن المسروقات الفضية أعيدت وقتها.

زفرت "رنا" بضيق قائلة :

_ معنى ذلك أننا وصلنا إلى طريق مسدود فبدونها لن نستطيع أن نكمل حل اللغز !

نظر لها علاء مبتسماً :

_ لكن ألم تلاحظي أنني قلت إنني أعرف مَن سرقها؟ ولحسن الحظ قد قابلته منذ فترة قصيرة خلال التحقيقات، ولكن لا أستطيع أن أؤكد أننا سنحصل على تلك العلبة.. من الممكن أن يكون قد باعها منذ زمن ومن الصعب الوصول إليها بعد 6 سنوات، لقد تم رد أغلب المسروقات وكانت أشياء بسيطة بعد القبض على التاجر الذي باعوها له، أما العلبة هذه والنقود فلم يُعثَر عليها حتى التاجر أنكر شرائها منهم !

وضعت "ريم" يدها على وجهها قائلة:

_ يا إلهي! الوضع الآن في غاية التعقيد، من الممكن ألا نحل لغز الأوراق المخبأة وفي الوقت نفسه لن نستطيع معاقبة الجاني في جريمتين لأننا لن نصل له!

رد علاء في ثقة:

من الممكن أن يكون كلامك صحيحاً ولكن لا بُد لنا من المحاولة، هذا البحث في نطاق حل لغز الجريمة التي حدثت في نطاق خدمتي كضابط شرطة فواجبي البحث عن حلها وتتبع جميع الخيوط حتى لو لم نقبض على الجاني، مجرد معرفته هو نوع من حل اللغز حتى لو كان بعيد المنال، الضحايا يستحقون ذلك.

ثم نظر إلى الملازم عمر في حزم:

ـ من الغد لا بُد لنا من مقابلة إبراهيم حماصة ومعرفة أين ذهب بتلك العلبة مهما كان الثمن، ثانياً : الوقوف على ما توصل له الرائد سمير في قضية "سعيد المنزلاوي" والذي أصبحنا على يقين من أن الجناة هم أنفسهم في قضيتنا وأرجو من الله ألا يكون ما نسعى وراءه سراب.

***

نزل الكاهن "آي" درجات السلم الحجري بحرص متلمساً طريقه على ضوء المشعل في يده إلى الكهف الصخري الذي يحتوي على جسد الملك "توت عنخ آمون"، كانت رائحة مواد الحنوط تنتشر في الهواء وتزكم الأنوف، كان بمفرده لم يرافقه أحد من الحراس أو الكهنة المحنطين نزولاً على أوامره، وصل إلى حيث يقبع الجسد فقد أتى في خفية عن الجميع ما عدا اثنين من الكهان هما من أخلص أتباعه ليكونا شاهدين على ما يحدث، قاما بانتظاره خارج الكهف، لقد مَر الآن أربعون يوماً على وجود جثة الملك بذلك الكهف الصخري بعد وضع ملح النيترون وشمع العسل وتركها لتجف وتتخلص من سوائلها قبل أن تُلَف في رقائق الكتان، لقد أتى ليفتح فم الملك لتخرج روحه في رحلتها وتتيه في الدروب الأبديه حتى يستقر لتعود للجسد داخل المقبرة وتنعقد محاكمة "أوزوريس" للميت، وعندها تتعرف الروح على الجسد لتعود له ليقف بين يد الإلهه ويوزن قلبه بريشة "ماعت"، ثم تبدأ رحلته

إلى "يارو" أو إلى "الدوات" ذات بحيرات النار في العالم السفلي، كانت نيته أن يقوم بفتح فم الملك لتخرج الروح وكان ذلك التقليد وقفاً على خليفة الملك على العرش وولي عهده. وبذلك يرسل الملك القادم سابقة إلى رحلته الأبدية، في خلال الأربعين يوماً الماضية حكم "آي" البلاد خليفة للملك ووقع اختياره على أن يتزوج الحسناء "عنخسن آمون" أرملة الملك الراحل، فهو منذ زمن يشتهيها في نفسه وأيضاً ستكون ضمانته إلى الحكم ولن يجرؤ أحد على الاعتراض عليه بعد أن يفتح فم الجثة سوف يخرج إلى الكهنة في الخارج ويخبرهم بأنه قد أرسل روح الملك في رحلته ولن يستطيع أحد منهم أن يعترض بعدها.

وصل إلى حيث الجثة مسجاة على لوحٍ حجري مائلٍ يحيط به من أسفله حوض صخري مليء بالملح لتتجمع به السوائل التي تخرج من الجسد.

نظر الكاهن "آي" إلى جسد الملك الشاب وابتسم قائلاً له :

_ هل رأيت يا عزيزي توت؟! مهما كنت ذكيا فلن تستطيع أن تخدع ثعلباً عجوزاً مثلي ! لقد حاول من قبلك من هم أكثر ذكاءً وقدرة على المراوغة، ولكن هيهات هل كنت تعتقد أنك تستطيع أن تخدعني وتتخلص مني بهذه السهولة، من قال إنك كنت تستطيع إعادة إحياء عبادة أبيك الأبله والتخلص من آمون و كهنته؟

نظر إلى الأسفل وهز رأسه في حزنٍ مصطنع :

_ كنت صغيراً في ريعان شبابك يا عزيزي واأسفاه على ما أصابك!

وتنهد بسخرية وبعدها ابتسم بخبثٍ قائلاً:

_ أما زوجتك الفاتنة فلا تقلق بشأنها، سوف تكون ملكة ولكن بجانب ملكٍ قوي تلك المرة وليس صبياً غراً، أما "حور محب" قائد جندك وقاتلك فسوف يحين وقت التخلص منه،

@ART_OF_BOOK

وذلك سيكون قريباً وسكت برهة وردد: قريباً جداً.

تنهد الكاهن وهو يتجه إلى الجثمان ويمد يده للفك السفلي ليجذبه إلى أسفل ولكن ما هذا؟ إنه يرى عينَي الجثة تنظران إليه بشر أسود، تراجع إلى الوراء مذعوراً واصطدم بالجدار الحجري خلفه وهَز رأسه غير مصدقٍ ما شاهده أغلق عينيه وفتحهما مرة ثانية ونظر إلى جثمان الملك الشاب ولكن وجد عينيه مغلقتين كما هما قال في نفسه ضاحكاً:

ما بال الأوهام قد سيطرت عليك يا آي، أية جثة تفتح عينيها وتنظر لك؟ فلتبعد عن عقلك تلك الهواجس، أكيد أنها ظلال لهب المشاعل تتحرك على وجه الجثمان أم أنه ضميرك يهيئ لك الأوهام، لا تستسلم للعاطفة يا آي وأكمل ما أتيت من أجله، ونظر ثانية إلى الملك الشاب وجذب فكه ليفتحه وعندما انتهى قال:

ـ فلتعذرني يا مليكي ولكن لم أكن أستطيع أن أقف صامتاً وأنت تخطط للعودة بنا إلى الوراء وتهز الأرض من تحت أقدامنا كما فعل أبوك ! لا تستغرب فقد كنت أحبك كولدٍ لم أحظ به، ولكن هناك أمور أهم من العاطفة البشرية هي التي تتحكم بنا يا ولدي، لقد تنازلت لك عن مقبرتي، أعلم أنه لم تواتيك الفرصة لصنع واحدة لك فقد كنت في بداية ربيعك فلم تلتفت لذلك، ولكن متاعك الأبدي قد جُهزَ منذ فترة بذهب وصيك "سمنخ كارع" الذي كان يكنزه في سنة حكمه وأعيد إلى طيبة بعد وفاته، وأعدك بأن تكون مقبرتك أعجوبة لم تكن لملكٍ من قبلك أو بعدك، ففي الأخير كنت أحبك يا "توت" من كل قلبي.

ثم نظر له نظرة طويلة وانصرف صاعداً الدرجات حيث لا بُد من أن يجتمع مع الكهنة للترتيب لتتويجه وجلوسه على العرش.. قبل عودة "حور محب" من معركته في الشمال.

***

خطا علاء وعمر إلى داخل المنزل المتهالك في إحدى المناطق الشعبية بالقاهرة حيث يقطن إبراهيم "حماصة"، كان الشارع الضيق يحتوي على عدة منازل كلها لها الطابع نفسه المتناهي في القِدَم واللون الغباري الرمادي الذي أذاب كل الفروق بين الألوان للبيوت؛ لتصبح باللون نفسه كان المدخل معتماً والدرجات المتآكلة تسبح في بحر من القاذورات والروائح الكريهة.

صعدا إلى الطابق الثاني، طرق عمر الباب بحِدة، جاوبهما صوت نسائي عالي الوتيرة يسأل من بالباب، وبعد دقيقة انفتح الباب عن وجهٍ لسيدة في منتصف العمر ترتدي جلباباً متسخاً وغطاءً للرأس منقوشاً بزهور قد بهت لونها من الاستعمال، صافحت أنفيهما رائحةُ طعام قوية تنبعثٍ من داخل الشقة وقفت تنظر إليهما بتمعن وقالت:

_ نعم ماذا تريدان يا بهوات؟

رد عمر بعصبية:

_ نريد إبراهيم.. أين هو ؟

ردت بخوف وشحب لونها عندما لاحظت عصبية عمر فهي تعرف جيداً تلك اللهجة وأصحابها منذ أن تزوجت إبراهيم وانخرطت هي الأخرى في مشاكله مع الشرطة. نظرت إلى علاء قائلة بصوت خافت:

_ ذهب منذ ساعة إلى المقهى في آخر الشارع.

نزل الاثنان مرة ثانية على الدرجات المتهالكة فقال علاء:

_ حاول أن تخففَ من حِدتكَ قليلاً يا عمر فالرجل تائب منذ فترة طويلة، أيضاً لا نريد أن

@ART_OF_BOOK

نخيفه؛ فالحصول على العلبة أو معرفة أين تخلص منها أهم عندنا من نظرتك المتشددة تجاه اللصوص والقتلة.

نظر له عمر وأدار وجهه الناحية الأخرى بغضب.

وجدا إبراهيم جالساً على مقهى صغير يحتوي على عدد من الكراسي القديمة المظهر والطاولات الخشبية العارية المفترشة أمام محل لا تتعدى مساحتة الثلاثة أمتار يوجد به مكان إعداد الشاي والقهوة والشيشة.

جذب كل من النقيب علاء والملازم عمر كرسيين وجلسا في مقابل إبراهيم الذي فغر فاه من الدهشة.

بادرهم بصوتٍ مرتعش ونبرةٍ ينضح منها الخوف ونظرة زائغة :

_ علاء بيه؟ خير يا باشا ؟!

رد علاء بهدوءٍ وهو ينحني ليقترب منه:

_ خير يا إبراهيم لا تخف أعرفك بعمر بيه معنا في مباحث الأقصر ويعمل معي على القضية نفسها.

أومأ ابراهيم برأسه وهو مفتوح العينين على آخرهما وهو لا يدري ما يحدث وهو يرى نظرات عمر الصارمة والعدائية تجاهه.

أردف علاء :

_ اسمع يا إبراهيم، عندما سرقت قصر "توفيق باشا" وقُبِضَ عليك لم تُعد جميع المسروقات، فأين بقية المسروقات؟

نظر إبراهيم بعدم فهم:

ـ أية مسروقات يا باشا ؟ لقد رُدت جميع الفضيات التي سُرِقت ومبلغ الألفي جنيه وقتها كان قد صرف، ولقد سُجِنتُ وأنهيت عقوبتي والله الحمد، فأية مسروقات يا باشا أنا لا أفهم؟

رد علاء بحزم وهو ينظر له بتمعن

ـ أنت تدري أن جميع المسروقات لم تعد فلا تحاول الخداع؟

رد إبراهيم بعنادٍ وصوت مرتفع:

ـ ولكن يا باشا لقد أنهيت عقوبتي كاملة فماذا تريدان مني الآن؟

عقد علاء ذراعيه أمامه وتراجع إلى ظهر المقعد قائلاً:

ـ نريد علبة السيجار التي لم تعدها يا إبراهيم!

نظر إليه إبراهيم بحيرةٍ واضطرب قائلاً:

ـ أية علبة ؟ أنا لا أعلم عن علبة السيجار هذه شيئاً، كل ما سرقناه قمنا ببيعه للتاجر وقد قُبِضَ عليه ورُدتِ المسروقات !

تراجع علاء إلى الخلف ناظراً في عينيَ إبراهيم مباشرة وشاهده وهو يتنفس بسرعة وظهرت قطرات عرق على جبهته من شدة الاضطراب .

ـ لا يا إبراهيم فعلاً رُدتِ المسروقات إلا تلك العلبة، ولم ينتبه أحد للتحري بشأنها لأن الكل ومنهم صاحبة المنزل رأوا أنها ليست ذات قيمة مادية عالية كباقي الفِضيات اللهم إلا

قيمة عاطفية لصاحبتها ولذلك لم يسأل أحد عنها باهتمام، لكن الآن نريد تلك العلبة يا إبراهيم وإلا..

صمت علاء ونظر إليه بغضبٍ.

رد إبراهيم بسرعة:

ـ يا باشا لقد تبت إلى الله ولا يوجد في بيتي أي شيءٍ حرام الآن، أقسم لك.

هب عمر من مقعده بقوة جعلت المقعد يهوي إلى الخلف بصوتٍ فرقعة عالية جعلت الجالسين ينظرون بانتباهٍ حيث يجلس الثلاثة.

أمسك بتلابيب إبراهيم واقترب من وجهه وهو يصر على أسنانه:

ـ اسمع يا حماصة مراوغتك هذه لن تفيد؛ أمامك حتى صباح الغد وتكون تلك العلبة معك وإلا أقسم بالله لن يكون لديك مصدر رزق بعد الآن وسيُزَج باسمك في قضية القتل وأنت تعرف ما معنى ذلك، هل تفهم ما أقول؟

تراجع إبراهيم بخوفٍ بعيداً عن وجه عمر الذي أفلته بقسوة وقال والخوف يقطر من كلماته :

ـ حاضر يا باشا غداً صباحاً سوف تكون عندكما، ولكن بالله عليك يا باشا ونظر إلى علاء يستعطفه: أنا عندي أولاد صغار أريد أن أربيَهم، وأنا بريء ولا يمكن أن أقتل بعوضة. كنت أعتقد أن تلك العلبة غير ذات أهمية ولا تساوي شيئاً ولكن سبحان الله ! لا يريد أي شيء حرام أن يكون معلقاً برقبتي.

نظر إليه علاء بهدوء وقال :

أما كان لك أن تعترف من البداية؟ وألا تضيع وقتنا معك، على العموم موعدنا هنا في العاشرة صباحاً وتكون معك العلبة أفهمت ؟

أومأ إبراهيم برأسه في خضوع ظاهر وقد شحب وجهه.

انصرف كل من علاء وعمر وهما يتبادلان النظرات والابتسامات خفية.

***

وقفت الملكة "عنخسن آمون" تطل من نافذة مخدعها على أراضي طيبة الحبيبة ومجرى النيل في الوادي، كانت تنظر إلى الطيور وهي تحلق في السماء بحرية وتتمنى لو كانت طائراً بينهم وتبتعد عن كل المشاكل والهموم التي تحوم حولها، لم يمض على جنازة حبيبها ومليكها سوى يومين وها هو الوزير الكاهن "آي" يساومها عن نفسها وحياتها فإما أن يتزوجها ويصبح الملك وهي مليكته أو ترفض فتخسر حياتها كما خسرتها أمها نفرتيتي من قبل، ومن قبلها أبوها "إخناتون" هي تعرف أن نفوذ الكهنة قد تخطى نفوذ الملك في البلاد، ولذلك فهي تعرف ما يستطيع "آي" فعله فهو يجمع بين ولاء كهنة "آمون" وخوف الشعب منه ومن بطشه، وخصوصاً بعد أن تخلص من "حور محب" وأرسله في حملة عسكرية لا يعلم أحد إن كان سيعود منها أم لا، بعد وفاة الملك "توت" أرسلت إلى ملك الحيثيين أن يرسل أحد أبنائه لتتزوجه ويصبح ملكاً على مصر، لقد تسلل اليأس إلى روحها فلم تعد تريد الحياة، لقد أصبحت بعد وفاة كل عائلتها دمية لاحول لها ولا قوة يتلاعب بها الكهان لأغراضهم الدنيئة.

كان رده على رسولها رداً مهذباً، وأخبره بسعادته لإرسال أحد أبنائه البواسل للزواج من ملكة طيبة، وأخبره بتقديره لقرارها الحكيم لعدم اختيارها أحد من أبناء وطنها ليكون ملكاً على البلاد! هل كان هذا الردُ يحتوي على سخرية مبطنة؟ هل أخطأت بذلك القرار ؟

دخلت وصيفتها بخطوات سريعة يتطاير من حولها حشايا لباسها الخفيف وأخبرتها بأن أحد العرافين يريد مقابلتها للأهمية !

تنهدت "عنخسن آمون" وردت عليها بنفاد صبر وغضب مكتوم بدون أن تنظر لها :

_ أحد العرافين؟ أتدخلين بتلك السرعة واللهفة إلى مخدعي وتزعجيني من أجل واحد آخر من أولئك النصابين؟ ألا يكفيك ما نحن فيه من مصائب في الحاضر بل وننتظر ما هو أفظع في المستقبل، فما الذي لا أعرفه وسوف يخبرني به ذاك العراف لا أريد أن أرى أحداً اغربي عن وجهي وعقابك سوف يكون شديداً!

لكن الوصيفة لم تنصرف وقالت وابتسامة خفيفة على شفتيها ونظرة تشي بأمر خَفِي هناك:

_ أعتقد يا مولاتي أنكِ يجب أن تقابلي هذا العراف فهو يعرف عن الماضي والحاضر والمستقبل.

التفتت "عنخسنامون" إلى الوصيفة بغضب:

_ أجننتِ ؟! أتخالفين أمري؟

ولكنها صمتت عندما شاهدت النظرة المرتسمة على وجه الوصيفة الأسمر الجميل وتراجعت قائلة:

_ فلتدخليه لنَرى ما لديه.

دخل رجل نحيلُ الجسد تبدو عليه آثار سنواتٍ عجافٍ كان يلتف بثوب من الكتان المهترئ وقد استحال لونه إلى خليط من ألوان الأرض والثرى، وكان يغطي كامل وجهه إلا عينين بدا عليهما الإعياء، كان يستند على عصاة كانت لوقت قريب غصن شجرة بلوطٍ غير

مستوٍ.

نظرت إليه بدهشة ولم تتعرف عليه من الوهلة الأولى حتى كشف اللثام عن وجهه.

كانت المفاجأة أكبر من أن يستوعبها قلبها المهموم لقد عرفت معلمها "آني" رغم ما حفرته على وجهه سنوات الهرب والاختباء من تجاعيد، لكنها لا تنسى بريق الذكاء المُشع من تلك العينين ولا طيبة الوجه ذي الملامح الكريمة ، هُرِعَت إليه تمسك يديه تحتويهما بين يديها وتنحني لتحييه في احترام لكن المعلم أمسك كتفيها وقبلها على جبهتها.

نظرت إليه قائلة:

ـ لا أصدق عينيَ، أين كنت يا معلمي ؟ لقد بحثت عنك كثيراً بعد وفاة الملك "توت" ولكن اختفت عني أخبارك منذ زمن لماذا تركتِني وحدي وأنت تعلم أني في أمس الحاجة إليك وإلى نُصحِكَ؟

نظر إليها أني بحُنُو وقال :

ـ إنه موضوع يطول شرحه يا ابنتي، لقد أتيت على الفور عندما علمت بوفاة "توت" وأنكِ الآن بمفردك أمامهم، ولكن كان يجب الحذر منهم وأن أتحايل لأراكِ في الخفاء بعيداً عن أعينهم المنتشرة في كل مكان.

لم تتمالك نفسها أمامه وانهارت دموعها غزيرةً على وجهها :

ـ تقصد بعد قتله، لقد تآمروا عليه الكهنة والكاهن الأكبر الوزير "آي" و "حور محب"، لقد أحسوا بما ينتوي أن يفعل وقرروا القضاء عليه كما فعلوا مع أبي وأمي !

ربت المعلم "آني" على رأسها مهدئاً وقال بصوتٍ خفيضٍ:

@ART_OF_BOOK

ما حدث قد حدث، والمهم الآن ألا تقعي بين براثنهم لأنهم لن يرحموكِ، ف "آي" سوف يتزوج منك ليعطِيَ لنفسه شرعيةَ الجلوس على العرش بصفة دائمة وليس مؤقتاً حتى العثور على وريثٍ ملكي.

رفعت عينيها إليه بخوف :

ـ وماذا أفعل يا معلمي ؟ أنا وحيدة بينهم، حتى الخروج خارج أبواب القصر أصبح مستحيلاً! لقد أصبحت من اليأس أن أرسلت رسولاً في الخفاء إلى ملك الحيثيين ليرسل إلى أحد أبناءه لأتزوجه ويصبح ملكاً معي على عرش مصر .

نظر لها غير مصدق أنها أقدمت على مثل تلك الحماقة:

ـ يا إلهي ! هل جننتِ يا ابنتي؟ ألا تعلمين أن ما أقدمت عليه يعتبر ضرباً من الخيانة؟! لا الشعب ولا الأمراء ولا الكهنة سوف يسامحونك على هذا الطلب، وهل تعتقدين أنهم سيتركونكِ حتى تجعلي أجنبيا ملكاً عليهم؟ أنا لا أصدق أنك أقدمتِ على هذه الفعلة الحمقاء !

ردت وهي تنشج من بين دموعها:

ـ وماذا كنت تريدني أن أفعل؟! أن أتزوج "آي" وأقع بين يديه كالثمرة الناضجة؟ أم أُقتل كما قتلوا زوجي وأمي ؟ وتخلصوا من أبي من قبلهم قل لي يا معلمي ما الطريق؟

أطرق "آني" في حيرة من أمره لقد أتى ليخبرها بأنه وضع كل البردِيات مع الملك الشاب مع خاتم لأبيه الملك الموحد وتمثال كان لديه للملك الشاب وهو في طفولته؛ ليحملها في رحلته الأبدية إلى العالم الآخر ليُطمئن قلبها ويُهدئ من حزنها، ولكن ما وجده فطر قلبه عليها وأصبح لا يستطيع أن يتركها في القصر بعد ما سمعه، قال لها ناصحاً:

اسمعيني جيداً هل هناك من تثقين به من وصيفاتك؟ أعني أن تكون على استعداد أن تفديك بحياتها ؟

ـ أجل هناك "سافورع"، إنها من أخلص وصيفاتي، لِمَ؟

ـ فلتحضريها ولتجمعي من متاعك ما غلا ثمنه وخف وزنه وجميع أوراقك الثمينة، أما بقية ثيابك فلتجمعها ولتضعها خارج أسوار القصر في لفائفَ من القماش الرخيص، ولترتدي بعض ثيابها، لا بُد لك من أن تتركي القصر في التو يا ابنتي وسنبحر جميعاً خارج البلاد، أنا وأنتِ وابنتي وزوجتي معاً ف "آي" لن يهدأ حتى يعثر على تلك المخطوطات، سيظل يتقلب في مضجعه خوفاً من أن يأتي اليوم الذي تظهر فيه للعلن ويثبت فيه أن كل آلهتهم أوهام وأن أباكِ كان على الحق، ولا تخافي فإن هروبنا لن يطول فأنا أعلم جيداً أن "حور محب" لن يتركه على العرش طويلاً، وعند عودته سيتخلص منه ومن الكهنة فلديه القوة والجيش الذي سيدحرهم به .

نظرت له وأومأت برأسها ودموع الحسرة والهَم تنهمر على خديها.

***

جر إبراهيم قدميه صاعداً إلى شقته على الدرجات المتهالكة وهو يسمع الأصوات المنبعثة من خلف أبواب الجيران متزامنةً مع روائح الطعام الثقيلة ممزوجة برائحة القمامة المنتشرة في المدخل! فتح باب شقته التي كان حالها لا يختلف كثيراً عن حال صاحبها، استقبلته زوجته وهي تطل بوجهها من خلف الستارة التي تغطي مدخل المطبخ التي استحال لونها الزاهي لآخر كالح قائلة بصوتٍ عالٍ:

ـ هناك اثنان قد سألا عليك منذ ساعة وأخبرتهما بأنك على القهوة، هل رأيتهما؟

@ART_OF_BOOK

وعندما لم تجد جواباً منه حيث ما زال مطرقاً لأسفل ينظر إلى الأرضية المتسخة، خرجت من المطبخ وجلست بجواره تسأله بحنان:

ـ خيراً يا إبراهيم ماذا حدث ؟!

ـ لا أدري يا سميحة أعتقد أن الله لم يقبل توبتي!

خبطت على صدرها بعنف قائلة:

ـ لِمَ تقول هذا يا إبراهيم

ـ الاثنان اللذان أتيا ليسألا عني من الشرطة!

نظرت إليه غير مصدقة :

ـ لقد علمت من مظهرهما وطريقة سؤالهما ولكني كنت أكذب إحساسي، لماذا ؟ ما الذي فعلته؟

ـ لم أفعل شيئاً، أتذكرين سرقة الصعيد التي قُبِضَ علي بعدها لقد رددت كل المسروقات إلا علبة سيجار تافهة أعطيتها لأخي حسين وقد فرح بها لأنها ذكرته بأيام خدمته للبرنس "محمد على" لأني رأيت عليها شعاراً يشبه الشعار الملكي أيام "الملك فاروق" وكنت أريد أن أهديه شيئاً يسعده.

خبطت سميحة على صدرها وقالت بعنف :

ـ لقد قلت لي إنك تخلصت من كل شيء أتى من الحرام، ألم يكفِكَ ما حدث لنا من وراء فعلتك ؟ أتريد أن يحرمنا الله من بقية أبنائنا من وراء أعمالك ؟!

نظر إليها بغيظ وصاح قائلاً :

أنتِ تعلمين جيداً أنني تبت إلى الله وابتعدت عن الحرام ولم يَدُر ببالي أن تلك العلبة التافهة ستجر علي كل تلك المصائب، فليلعن الله اليوم الذي فكرت فيه في تلك السرقة.

وأخفى وجهه بين يديه وشرع بالبكاء بحرقة! كأن الذكرى أعادته إلى يوم وفاة ولده البكر.

ربتت سميحة على كتفه قائلة:

ـ هون عليك يا إبراهيم لعل الله أراد بذلك أن يخلصنا من كل ما هو حرام حتى وإن كان شيئاً هيناً، لا تهتم فسأصعد الآن إلى أخيك بطعام العشاء وسأقوم باستبدال العلبة بأخرى عندي اشتريتها منذ فترة من الحسين، ومع ضعف نظره لن يلاحظ الفرق !

في صباح اليوم التالي كان عمر في انتظار إبراهيم عند المقهى نفسه وبدون أي كلمة سلمه ابراهيم كيساً بلاستيكياً يحتوي على علبة خشبية قديمة استحال لون الخشب بها إلى لونٍ كالح أصفرَ متسخ، ولكن ما يميزها هو ذاك الشعار الفضي البارز في منتصف الغطاء، تركه عمر بدون أن يلحظ تلك الدمعة التي فَرت من عينه وكلمة الحمد لله التي انطلقت من فمه كمن مَن الله عليه بالنجاة من الغرق.

كان موعد لقاء النقيب علاء والملازم عمر مع الدكتور عبد العظيم عند السابعة مساء، وعند وصولهم وجدوا "ريم" و "رنا" وأمهما قد سبقوهم إلى هناك، وعندما فتح الباب استقبلتهم أيضاً رائحة الطعام الشهي الذي أعدتهُ الأم للدكتور ولبقيتهم كطعام العشاء.

آثروا تناول الطعام قبل البدء في التركيز على الصندوق وحل لغزه حتى يكون الدكتور عبد العظيم في أعلى حالات التركيز، بعدها وضعوا العلبة أمامهم، أمسك كل منهم العلبة يقلبها حتى صاحت "رنا":

ART_OF_BOOK

لا بُد لنا من كسر الشعار عن الغطاء فبالتأكيد سنجد الرسالة أسفله !

وافقها الجميع على ما قالته وأخبرها الدكتور بأن تحضر عِدة التصليحات من علبة في دولاب المطبخ، وبعدها قام علاء وعمر بإزالته برفق فقد كان الخشب على وشك التفسخ !

وجدوا عدة أرقام محفورة خلف الشعار الفضي لم يفاجؤوا في البداية؛ لأنهم قد اعتادوا على شفرة الكتابة ولكن بعد الترجمة جلسوا جميعاً ينظرون إلى بعضهم بعضاً، ولسان حالهم يقول في حيرة وإحباط : أليس لتلك الألغاز من نهاية ؟!

كانت الرسالة كالآتي :

600 30 80

400 40 6 90

1 200 30 1 5 2

وعند ترجمتها حصلوا على رسالة تقول :

خلف صومعة الراهب، ثم رسمة يد تشير بثلاثة أصابع، وصليب!

نظروا إلى بعضهم بعضاً بيأس حتى انبرى عمر بضيق قائلاً:

ـ لغز آخرُ، وعندما نصل إلى حل نجد لغزاً آخر، ونستمر إلى ما لا نهاية!

أما "رنا" فردت:

ـ ولكن ما صومعة الراهب تلك؟ وأين توجد ؟!

@ART_OF_BOOK

نظرت لها "ريم" وقالت :

صومعة راهب ! أكيد ستكون بكنيسة ما.

رد علاء بنفاد صبر :

_ هذا معناه أن المخطوطات مخبأة بكنيسة ما ؟

يا إلهي ما هذا التعقيد؟ وكيف لنا أن نجد هذه الكنيسة؟ والأهم كيف سنبحث داخلها؟

كان الدكتور عبد العظيم ينظر لهم وهو صامت وينظر إلى الأفق البعيد شارداً حتى انتبهوا إلى جلوسه صامتاً.

نظرت أم "ريم" إليه وقالت :

_ دكتور عبد العظيم لقد أتتك فكرة فهذا يبدو على وجهك.

نظر لها الدكتور وقال مفكراً :

_ لقد ذكرتم أن هذا الباشا ترك وصية بأن يظل القصر متوارثاً في العائلة أليس كذلك؟

رد علاء:

_ نعم يا دكتور ولقد أوصى بعدم هدم القصر أو المساس به ولكن لِمَ هذا السؤال؟!

_ ألا ينبئكم هذا بشيء ؟ لقد أخفى هذا الرجل المخطوطات داخل القصر وليس بعيداً عنه، كما عرفنا أنها كانت أمانه لديه فكيف يضعها في مكان بعيدٍ عنه؟ وكيف يخاطر بذلك من الأساس ؟ كما أنه من الصعب أن يخبر أحداً عنها في ذلك الوقت، ثانياً: عندما أحس بالخطر ترك تلك الرسالة لأولاده وهو على يقينٍ من فهمهم لها.

@ART_OF_BOOK

سكت برهة ثم قال بتأكيد:

يا أولاد المخطوطات داخل القصر ولكن في مخبأ سِري!

سكتوا جميعاً مفكرين وهنا نطق علاء قائلاً:

ـ ولكن يا دكتور من ارتكب الجريمة قد فحص جميع أرجاء القصر بدقة كما لاحظت وباحترافية شديدة فهل فاتهم مخبأ سِري؟ لا أعتقد !

نظر إليه الدكتور مفكراً :

ـ من الممكن أن يكون المكان ظاهراً للغاية بحيث أن أحداً لا يفكر فيه كمخبأ، وأيضاً صعب تغييره على مَر السنين.

نظرت الأم قائلة وكانت صامتة تستمع إليهم في البداية:

ـ لقد سمعت بهذا الاسم من قبل "صومعة الراهب" أجل لقد كان في قصة من القصص البوليسية، وكان يطلق على غرفة سرية في الحائط وراء مكتبة ما مساحة صغيره بالكاد تتسع لشخصٍ جاثٍ على ركبتيه كالراهب الذي يصلي ذات باب خفي وبالتالي يصعُبُ اكتشافُها.

نظرت لها "رنا"ضاحكة:

ـ وتلك الفائدة أيها السادة من أن يكون لك أم مدمنة على قراءة القصص البوليسية.

احضنتها وقبلتها مضيفة:

ـ فكرة هائلة يا أمي.

نظر علاء إليها وهو يزفر :

@ART_OF_BOOK

أتعلمين أنها فكرة جيدة، ولكني فتشت القصر ورفعت جميع الألواح والأثاث وأعتقد أن القتلة قد فعلوا ذلك ولم نعثر على شيءٍ غير الخزنة القديمة بالحائط خلف اللوحة التي كانت بالمكتب.

ردت "ريم" بجدية وهي تنظر إلى غطاء الصندوق :

ـ ولكن اليد والصليب إلامَ يرمزان؟

سكت الجميع لبرهة ونظروا إلى علاء فهو الوحيد الذي قلب القصر رأساً على عَقِبٍ ...

نظر لهم في حيرة قائلاً :

ـ لا أعرف فالحوائط ممتلئة بمجسماتٍ للصليب منتشرة في أرجاء القصر وكذلك بعض صور القديسين والمسيح ولكن لا شيءَ خلفها !

أخيراً تكلم الدكتور "عبد العظيم":

ـ حتى الآن لقد وصلنا إلى نهايةٍ مسدودة! ولكن الحقيقة الوحيدة هي أن تلك المخطوطات ما زالت داخل القصر وما حدث من تتبع "ريم" بعد قتل السيدتين يدل على عدم وصولهم لها للآن.

نظر علاء إلى "ريم" وقال باضطراب :

ـ لقد علمت اليوم أنه ليس هناك من جديد في القضية وهناك اتجاه من النيابة لغلق القضية وتقييدها ضد مجهول، لذلك لا بُد لنا من العودة إلى الأقصر غداً صباحاً أنا وعمر فقد انتهت مهمتنا هنا ولا بد لنا من العودة إلى عملنا !

نظرت له "ريم" بحزنٍ وقالت:

@ART_OF_BOOK

هل ستعودان بهذه السرعة ؟!

نظرت "رنا" إلى أمها وابتسمت بخبثٍ :

ـ لا بد من أن ترتبَ لنا زيارة إلى الأقصر حضرة النقيب فأنا أتحرق شوقاً لزيارة المعابد الفرعونية وأيضاً لرؤية القصر .

نظر لها علاء مبتسماً:

ـ على الرحب والسعة عندما يكون لديك إجازة ولدى "ريم" أيضاً يسعدني استقبالكن بالأقصر.

ونظر إلى عمر وابتسم وهو يراه ينظر إلى "رنا":

ـ لقد تأخرنا ويجب أن نذهب الآن.

انصرف علاء مع عمر بعد أن راقبا الطريق لبُرهة حتى اطمئنا لخُلُو الشارع، ومن ثم نزلت الأم لتجلس بعض الوقت مع السيدة عنايات وبقيت "ريم" و "رنا" مع الدكتور عبد العظيم لترتيب الطاولة ووضع بواقي الطعام بالثلاجة.

جلست "رنا" بجوار الدكتور وسألت :

ـ دكتور بفرض أننا وجدنا تلك البردِيات وسلمناها للدولة فهل سيسكت مَن يسعَونَ وراءها عن ذلك؟

سكت الدكتور "عبد العظيم" وهو ينظر لها مفكراً، ثم فَهِمَ ما ترمى إليه وابتسم.

***

ذهب عمر وعلاء إلى الأقصر دخل علاء إلى المكتب صباح أحد الأيام فوجد عمر ينتظره ويبدو على ملامحه التوتر :

ـ صباح الخير يا عمر، ما بك هذا الصباح؟ هل أنت دائماً هكذا يا عمر متجهم على الدوام ؟!

ـ صباح الخير يا فندم ما يحدث يخرج المرء عن شعوره !

ـ ماذا حدث ؟!

ـ لقد أغلِقَ ملف القضية يا فندم، ولقد رُفِعَتِ الحراسةُ عن القصر فالآن أصبح الجناة في استطاعتهم أن يعيثوا فيه بكل اطمئنان ويبحثوا بكل أريحية.

نظر علاء إلى بعض الأوراق التي أمامه على المكتب وغمغم قائلاً:

ـ ومتى ترفع الحراسة؟

ـ اليوم منذ الصباح الباكر، لقد ترك فردَا الأمن مكانهما !

نظر إليه علاء بهدوء :

ـ وكذلك نحن يا عمر ستكون فرصتنا للبحث عما نريد، ولكن سأضع المنزل أيضاً تحت رقابة سريةٍ تابعة لي !

أخيراً انفرجت أسارير عمر للمرة الأولى منذ الصباح عندها ابتسم علاء قائلاً:

ـ حسناً هل تريد أن تتناول طعام الفطور معي الآن؟

***

@ART_OF_BOOK

كانت الشمس تميل ناحية الغروب جلس على حافةِ سور الكورنيش للنيل في الجهة المقابلة للقصر شاب يرتدي أسمالاً بالية وحذاءً مقطوعاً قديماً وطاقية استحال لونها إلى لونٍ يصعب وصفه، جلس هناك على قطعة من الكرتون المُقَوى يمسك بيده رغيفاً يحتوي على بضعة أقراص من الطعمية الساخنة، كان يأكل وهو ينظر إلى القصر ببلاهة وبعد قليل أتى رجل كهل يحمل صُرةً من الثياب القذرة على كتفه وجلس بجانبه وأشار بيده إلى فمه بما معناه أنه يريد أن يأكل، مد الشاب يده إلى جانبه وأعطاه النصف الآخر من الرغيف، وعندها قال له :

_ مرحبا يا عم نبراوي، هل رجعت إلى مكانك المعتاد؟

نظر له الرجل نظرة خاوية ولم يرد وانهمك يقضم من الرغيف بنهمِ مَن لم يأكل لأيام.

جلس محمود المخبر الشاب المتنكر في ثياب بالية بجانب نبراوي وهو من اعتاد سكان المنطقة رؤيته دائماً يحمل صُرةَ ثيابٍ قديمة ويرقد على الكورنيش أمام القصر كان لا يتحدث مع أحد ولكنهم يعطفون عليه ببعض الطعام فهو يرفض أخذ النقود تماماً، ويطلقون عليه اسم "البركة" .. أمضى محمود الوقت محاولاً التحدث إلى نبراوي حتى يشغل الوقت الذي يمر بطيئاً وهو جالس يراقب القصر، لم يدرِ وقتها أنه سوف يحصل على شاهد لجريمة القتل، فبعد مضي ساعة من حديث كان يتخلله كلمات غير مفهومة وعدة إشارات، والقصة كما رواها نبراوي أنه كعادته في أيام الشتاء الباردة ينقل مقره من على الكورنيش إلى المبنى القديم المتهدم الذي يقبع بجوار القصر، فيفترش الكرتون ويتلحف بغطاء قديم، في ليلة الجريمة أحس بصوت سيارة تغادر فأطل بنظره من فتحة في الحائط فشاهد سيارة سوداء تغادر بهدوء ثم أربعة ظلال لرجال ضخام الجثة يتشحون بالسواد ويجروا حقيبة صغيرة ورائهم يتجهوا بخفة الثعالب إلى داخل البوابة المعدنية للقصر، عندها أصابه الأرق ولم يدر ماذا يفعل، بعدها بفترة سمع صرخة وحيدة ضعيفة ثم شاهد السيارة تعود مرة أخرى لتحمل الرجال الذين غادروا

القصر وتنصرف، علم محمود وقتها أن ما يقال من الأهمية بحيث أنه لابد أن يخبر به علاء بيه حتى ولو كان الشاهد مجذوبا كنبراوي، نظر محمود ناحية القصر وكان الظلام قد بدأ يهبط على المدينة، فحسب ما قاله علاء بيه لن يحاول أحد دخوله قبل هبوط الظلام فلن يغامروا بأن يقتحموه أمام المارة نهاراً، وهناك المخبر حسنين الذي يراقب القصر من الناحية الأخرى.. وأوصاه أنه يتصل عليه إذا رأى أي شيء مريب أو تحركات غريبة مهما كانت تافهة أو تبدو غير ذات أهمية، لقد علم أنه أوقفت الحراسة على القصر منذ الأمس وذلك دليل على أن القضية انتهت وأقفل ملفها، لقد حاول هو وجميع مخبري المركز لفترة طويلة أن يصلوا إلى طرفِ خيطٍ في هذه القضية ولكن بلا جدوى لكن الآن لديه شاهد محتمل لمرتكبي الجريمة.

بدأ يشعر بنسمة باردة تهب من ناحية النيل فقرر أن يقوم بالمشي حول القصر ويتجه إلى الجهة الخلفية ليتسامر مع حسنين، ولكن وجد سيارة حسنين القديمة فارغة، كان بابها مفتوحاً من جهة السائق ولا أثر له التفت حوله في حيرة واتجهت أنظاره ناحية الحديقة الخلفية للقصر متسائلاً: هل ذهب إلى هناك ليلبيَ نداء الطبيعة؟ أم شعر بالضيق فذهب ليحركَ قدميه، ولكن لم يترك السيارة غير مغلقة الأبواب؟ إنه ليس من عادته، فلينتظر بضع دقائق وليختبئ بعيداً عن السيارة في انتظار عودته ليفاجئه كالعادة فهو دائما يحب إخافته كلما اجتمعا في مهمة ما، وكان حسنين دائماً يزجره بلهجته الصعيدية المحببة إلى نفسه متهماً إياه بأنه سيكون السبب يوماً في توقف قلبه وموته!

انتظر محمود عدة دقائق ولكن ليس هناك من أثرٍ لحسنين في الجوار، ساوره القلق فقام بالاتصال على اللاسلكي الذي يحمله ولكن بلا جدوى لم يحصل على رد عندها حدث ما جعل قلبه يختلج في صدره رعباً ! لقد شاهد شعاعاً ضئيلاً من الضوء يعبر نافذة من نوافذ

@ART_OF_BOOK

القصر الثانية واحدة ويختفى مرة أخرى!

ركض محمود بعيداً عن القصر وحاول الاختباء خلف إحدى الشجيرات، أمسك بجهاز التليفون الذي أعطاه إياه النقيب علاء للاتصال به عند الضرورة، وبعد رنةٍ واحدة رد النقيب علاء فبادره محمود بما جرى وما شاهده فأمره علاء بالمكوث مكانه مختبئاً وأن يراقب جيداً ما يحدث حتى يصل إليه، لم تمضِ عشرون دقيقة حتى وجد أمامه النقيب علاء والملازم عمر .

بادره علاء :

_ ماذا حدث؟ وأين حسنين؟!

أخبره محمود بما شاهده مرة ثانية واختفاء حسنين غير المبرر، نظر علاء إلى عمر وكأن هناك اتفاقاً بينهما، سيدخلان القصر وسيعرفان من بالداخل وماذا يفعل تسلل الاثنان بعد أن أوقفا محموداً للحراسة خارج المبنى، دخل الاثنان من الباب الخلفي للقصر الذي يؤدي إلى مطبخ القصر، فقد كانت هناك نسخة من المفتاح لدى علاء.

أشار علاء إلى عمر بأن يبحث في غرف الطابق الأرضي، على أن يذهب هو إلى الطابق العلوي.

لم تمضِ برهة حتى سمع علاء صوت ضربة قوية وأقدام تركض بسرعة! هُرِعَ نازلاً السلم في خطواتٍ قليلةٍ وفي البَهوِ وجد عمر ملقًى على الأرض لا يتحرك اقترب منه وهو خائف ألا يجده على قيد الحياة، وضع إصبعيه على رقبته ليتحسس نبضه وهاله خيط الدم الذي ينبثق من مؤخرة رأسه، دقيقة ودخل محمود مهرولاً وثيابه ملطخة بالطين وهو يصرخ:

_ لقد هربوا لم أستطع أن أوقفهم لقد عاجلني أحدهم بلكمةٍ في وجهي أوقعتني أرضاً

@ART_OF_BOOK

ولكنني لم أفقد الوعي ورأيتهم يركبون سيارة سوداء رباعية الدفع !

عندها شاهد جسد عمر المُسَجى فهلع قائلاً:

_ هل قتلوه؟

نهره علاء قائلاً :

_ لا إنه على قيد الحياة، لقد ضربوه على رأسه.

وأسرع يطلب الإسعاف وبعدها اتصل بأحد الضباط ليرسل قوة من الأفراد إلى القصر وجلس بجانب عمر وهو يحاول أن يوقف نزيف رأسه بالضغط عليه.

***

في وقت لاحق دخل علاء مكتب المقدم أحمد الخشاب ملقياً التحية الرسمية، بعدها نظر إلى وجهه فوجده عابساً ناظراً إليه بغضبٍ، أشار إليه بأن يجلس وبدأ يقول بحِدة:

_ ألم أقل لك إن القضية أغلقت ؟! وأمرت النيابة بإغلاق القضية وتقييدها ضد مجهول؟ ما الذي حدث لتذهب إلى القصر مرة أخرى؟ وتشتبك مع لصوص أغبياء وتعرض حياة زميلك عمر للخطر ولولا عناية الله لكان في عداد الأموات، وحياة مخبر آخر بعد أن وجدناه فاقد الوعي ومصاب على مسافة من القصر.

توقف قليلاً ثم قال بهدوء :

_ أوامر إغلاق القضية أوامر صادرة من أعلى ! ألم يلفت نظرك سرعة انتهاء القضية بدون حَل نظراً للظروف السياسية التي تمر بها البلاد؟! فهناك أشخاص متنفذون يريدون سرعة انتهائها بدون إبداء أية أسباب، وليس في أيدينا غير الموافقة واتباع التعليمات!

@ART_OF_BOOK

نظر إليه علاء وقال باندفاع:

_ لقد حصلنا على شاهد وبالتالي هناك شيء جديد في القضية الإعادة فتحها.

نظر إليه المقدم أحمد بغضب :

_ أي شاهد أتعني المجذوب الذي يجوب الشوارع ولا يدرك ما حوله؟

هل ستصدق النيابة شاهدك هذا أو تأخذ بأقواله؟ اسمعني جيداً، لقد قيدت القضية ضد مجهول وأغلقت على ذلك، فلتتبع الأوامر بدون مناقشة أو اتخاذ أي مبادرات من عندك أفهمت ؟

أنهى المقدم أحمد كلامه بحدة وهو يضرب بقبضته سطح المكتب.

نظر إليه علاء بدهشة وأمأ برأسه موافقاً ثم وقف وحياه وانصرف! جلس المقدم أحمد ينظر بشرودٍ في أثره ثم أخرج هاتفه وقام بالاتصال، وعندما رد عليه الطرف الآخر أخبره بأن الموضوع انتهى وأغلق للأبد حسب التعليمات

أغلق الهاتف وضرب بقبضته على جانب كرسي بقوة، فقد كان يشعر بالغضب من نفسه، ولكن كان لا بُد من هذا لتصرف الحماية نفسه ومن قبله علاء.

خرجت "ريم" من غرفتها وعلى وجهها الحزن، وجدت أمها وأختها جالستين تتابعان المسلسل وعندما رأت أمها وجهها الشاحب أغلقت التلفاز ونظرت لها باهتمام قائلة:

_ ما بكِ يا "ريم"؟ ماذا حدث ؟!

_ لقد هاجموا عمر وأصيب بشدة وهو الآن في المستشفى، لقد اتصل علاء وأخبرني الآن.

@ART_OF_BOOK

قفزت رنا من مكانها متسائلة بجِدةٍ:

ـ ماذا ؟ ماذا حدث؟ وكيف؟ وما حالته الآن؟ لا بُد من أن نذهب له.

نظرت "ريم" إلى والدتها بدهشة ثم إلى رنا قائلة:

ـ ما بكِ يا رنا؟ فلتهدئي، لقد هوجموا عندما وجدوا أن أحدهم يعبث بالقصر، دخلوا للإمساك به فضربوا عمر على رأسه وهربوا، وهو الآن بالمستشفى وحالته مستقرة، لا تقلقي مجرد اشتباه في ارتجاج بالمخ وسيخرج في غضون يومين.

نظرت لها رنا والدموع بعينيها:

ـ فلنذهب لرؤيته يا "ريم" أرجوكِ !

نظرت لها والدتها بغضب وقالت لها بحدة:

ـ هل جننتِ؟ ما بالكِ؟

هدأت "ريم" من حدة والدتها قائلة :

ـ لقد أصبحا كأخوين لنا يا أمي فلا تستغربي حزن ولهفة "رنا" على عمر.

ونظرت إلى "رنا" محذرةً إياها وقالت :

ـ لقد كنت أخطط للذهاب إلى الأقصر لتغطية مهرجان للفنون هناك رغم أنه ليس من اختصاصي، ولكن لا أحد يريد أن يذهب نظراً للوضع الحالي للبلاد، وأعتقد أن "رنا" في حاجة إلى الترويح عن النفس ليومين فما رأيكما بأن نذهب جميعاً إلى الأقصر، منها رحلة

@ART_OF_BOOK

عمل وفي الوقت نفسه تكون فرصة لرؤية الآثار والمعابد التي لم تَرَياها في حياتكما.

نظرت لها الأم وقالت بضيق :

ـ لم تعد لَدَي استطاعة للسفر الطويل و "رنا" لديها دراستها.

هتفت "رنا" في حماس:

ـ لكن أنتِ تعرفين أن لدينا إجازة الآن للاحتفال بشم النسيم وأنا بالفعل أستبق مذاكرة الدروس عن المدرسة فلنذهب أرجوكِ.

نظرت لها الأم وتنهدت.

ـ حسناً فلتذهبي مع "ريم" ، أما أنا فلا أستطيع السفر الطويل ولكن سأذهب تلك الأيام لزيارة خالك في البلد.

وصلت "ريم" و "رنا" إلى محطة القطار التي كانت خالية نوعاً ما نظراً لظروف تعطل السياحة ولما تمر به البلاد من تغيرات سياسية.

كانت المفاجأة هي انتظار عمر لهما على محطة القطار، كان يظهر على وجهه بعض الشحوب ولكن عدا ذلك كان يبدو بحالة جيدة.

حيا كلا من "ريم" و "رنا" بابتسامةٍ زاد اتساعها عندما نظر إلى "رنا" التي احمر وجهها خجلاً وعندما سألته "ريم" عن علاء أخبرها بأنه اضطر للذهاب في مهمة رسمية وسيعود في الغد، أما عن نفسه ففي إجازة لمدة يومين للراحة وسيكون مرافقاً لهما في الأقصر؛ ورافقهما بسيارته إلى الفندق القابع على النيل وتركهما لترتاحا من عناء السفر على وعد بأن يعود صباحاً ليأخذهما في جولةٍ بالمدينة، ولكن أخبرته "ريم" بأنها ستذهب صباحاً لمقر

@ART_OF_BOOK

المهرجان لتغطيته وسيقوم الفندق بترتيب سيارة لها، أما "رنا" فستظل في الفندق طوال فترة الصباح فعرض أن يمر عليها ويذهب بها إلى معبد الكرنك فوافقت، وانصرف مودعاً وهو ينظر إلى "رنا" بابتسامة.

في صباح اليوم التالي دخل عمر إلى بَهوِ الفندق فوجد "رنا" في انتظاره وهي ترتدي جينز وتيشرت وحذاءً رياضيا وتحمل حقيبة ظهر قماشية على كتفها وقد عقصت شعرها إلى الوراء وعلى وجهها نظرة تصميم جادة.

حياها عمر قائلاً بابتسامة:

ـ أراكِ كمن يستعد للذهاب في مهمة وليس لزيارة الآثار.

قالت بابتسامة خبيثة :

ـ فعلاً سوف نذهب في مهمة وبعدها سنذهب إلى المعبد !

اختفت ابتسامة عمر عندما فهم مغزي حديثها وانبرى قائلاً:

ـ لا تقولي إنك تريدين الذهاب إلى القصر ! فهو الآن تحت حراسةٍ مشددةٍ بعد ما حدث.

ـ وهل سيستعصى على حضرة "الملازم أول عمر" الدخول إلى القصر ؟

ـ لا طبعاً ولكن لا أستطيع أن أغامر بوجودك هناك بعد ما حدث !

ـ نظرت له بجَديةٍ قائلة : أولاً .. كما قلت هناك حراسة على القصر فأعتقد أن من اقتحمه في المرة الأولى سيكون من الغباء أن يكررَها في الصباح !

ثانياً: لا بُد من أن أفتش القصر يا عمر لأن الدكتور عبد العظيم لديه نظرية، وقد بحثت معه الموضوع ولا بُد من أن أدخل القصر لأجد ما أخبرني به.

زفر بضيق:

ـ الدكتور "عبد العظيم" ثانية! وماذا كانت نظريته العبقرية هذه المرة؟!

ـ سأخبرك بكل شيءٍ في الطريق والآن هيا بنا نتحرك حتى لا نتأخر ونستطيع بعدها الذهاب إلى المعبد.

كان عمر طوال الطريق يقود سيارته وهو متجهم ويفكر، هل من الممكن أن يكون هناك خطر من دخول القصر ؟ هو ما زال لا يثق في أن يتوقف هؤلاء المجرمون عن بحثهم.

وصلا إلى القصر وركن عمر سيارته على بُعدٍ من المنزل وأكملا الطريق على الأقدام ... شاهدت "رنا" نبراوي مستلقياً على فراشه المصنوع من أوراق الكرتون فاتجهت ناحيته بابتسامة ومدت له يدها ببعض النقود، أخذها منها مبتسماً وهو يقول بكلمات متشابكة غير مفهومة:

ـ ستجدين ما تبحثين عنه !

ثم صمت ومال برأسه كمن يستمع إلى أحدٍ يهمس في أذنه وقطب حاجبيه قائلاً:

ـ ولكن احذري العيون الحمراء.

وانطلق يضحك بصوت عال.

نظرت له "رنا" مفكرة وبابتسامة قالت:

سأفعل.

عندها نظر لهما عمر باستغرابٍ قائلاً:

ـ منذ متى يا "نبراوي" تأخذ نقوداً من أحد أتعلمين أنه يرفض أخذ أي نقود، ولم أره ولا مرة واحدة يفعل ذلك منذ تواجدي بالأقصر !

انطلقا إلى باب القصر الخلفي، عندها نظر عمر حوله في توجس كان قد مَر على الحارسين على الباب الأمامي وأخبرهما بأنه سيقوم بمعاينة للقصر من الداخل وأمرهما بأن يقف أحدهما عند الباب الخلفي حتى ينتهي، دخل هو و "رنا" إلى الداخل وقاما بتفحص طابِقَي القصر ولكن لم يجدا أي شيءٍ يلفت الأنظار، مجرد حوائط متهالكة وأثاث قديم يكسوه الغبار، وبعد ساعة من البحث الحثيث لم يجدا أي شيءٍ يمكن أن يدلهما على المخبأ المزعوم، بعدها قال عمر لرنا :

ـ أرأيت ؟ لقد فحصنا القصر شبراً شبراً ولم نجد أي شيءٍ، حتى القَبو فحصناه بعناية أيضاً، هيا الآن سنغادر.

قالت "رنا" :

ـ اغلق أنت النوافذ والإضاءة وخلال ذلك سأقوم بالتصوير، لقد نسيت ذلك خلال بحثنا، لقد أوصاني دكتور " عبد العظيم" بذلك.

فتحت "رنا" هاتفها وانطلقت تصور الردهة وغرفة المكتب وكان عمر يمر على أزرار الإضاءة ويغلقها واحداً فواحداً قبل خروجهما ويغلق النوافذ التي فتحاها لدخول الهواء في الطابق الأرضي.

وفجأة توقفت "رنا" وهمست منادية عمر، نظر لها فوجدها قد تجمدت مكانها وبان على وجهها الفزع !

عندما اقترب منها قالت من بين أسنانها:

ـ عمر هناك كاميرات مراقبه مَخفِية في القصر ! انظر.

وأرته تليفونها حيث يظهر شعاع أحمرُ منبثق من نقاطٍ على الحوائط واللوحات.

نظر عمر لها بدهشة وقال:

ـ يا إلهي ! كيف لم نكتشف تلك الكاميرات؟ ورجال المعمل الجنائي كيف فاتهم هذا؟

نظرت له محذرةً قائلة بهدوء:

ـ تصرف بطبيعية واخفِض صوتك ربما هناك ميكروفونات أيضاً وأنا متأكدة من ذلك، دعني الآن أصور حتى نكتشف أين توجد تلك الكاميرات، ولن تتكلم حتى نخرج من القصر !

أمضت نصف ساعة تجوب خلال القصر وأخبرته بأن يغلق النوافذ التي فتحها لحظة دخولهما ولكنها لاحظت شيئاً أعاد إلى ذهنها كلام الدكتور " عبد العظيم" وتفسيره للرسالة على العلبة ! "اليد والصليب وإشارة اليد إلى مخبأ الأوراق".. كانت هناك لوحة جدارية مرسومة على الحائط كعادة تلك الأيام تملأ حائطاً كاملاً بالردهة تصور الصلاة في إحدى الكنائس والملائكة يحومون حول رؤوس المصلين وهناك ذلك الراهب الذي يرفع يده ويشير بها إلى اتجاهٍ معين وباليد الأخرى يحمل الصليب، اللوحة باهتة متآكلة ولكن واضحة لمن يبحث في تفاصيلها، يا إلهي إنه الراهب وهو يحمل الصليب بيد ويشير باليد الأخرى،

@ART_OF_BOOK

أحست بالعرق ينساب بارداً على ظهرها كثعبانٍ يتلوى نزولاً، أدارت وجهها ناحية الجهة التي تشير ناحيتها أصابع اليد فوجدت أنها خلفية السلم الصاعد إلى الطابق الثاني، هل المخطوطات مخبأة هنا ؟ ولكن كيف تستطيع البحث بدون أن تكتشفها الكاميرات خرجت خلف عمر الذي كان ينتظرها في المدخل وقد أقلقه ما اعتراها من اضطراب، نظر لها بحدة قائلاً:

_ ماذا حدث بالداخل ؟ ولِمَ ترتعشين؟ لا تقولي لي إنك فوجئت بالكاميرات فنحن نعلم أن من نواجههم على استعدادٍ لفعلٍ أي شيءٍ وزراعة كاميرات ليست بالشيء الصعب عليهم!

حاولت أن تستجمع شتاتَ نفسها وتهدئَ من أعصابها قائلة:

_ لا أبداً هلم بنا نذهب إلى المعبد وسأخبرك بكل شيء.

خرجا من بوابة المنزل وفي طريقهما إلى السيارة نظرت إلى "نبراوي" في الناحية المقابلة وتوقفت لبرهة وهي تنظر إليه.

سألها عمر عن سبب وقوفها، نظرت له وأشارت ناحية الكهل الذي يجلس على الأرض بجانب السور قائلة:

_ احذري الأعين الحمراء ... كيف عرف ؟!

سأل عمر بدهشة:

_ عرف ماذا؟ عم تتحدثين ؟!

_ الكاميرات يا عمر "العيون الحمراء" كما أسماها، إنه لشيء غريب !

وقفا ينظران ناحية "نبراوي" بصمت.

كانت "ريم" مشغولة بإجراء الأحاديث مع فناني المهرجان والتقاط الصور حتى تعود وتكتب مقالها عن المهرجان وتكون واثقة من أنها غطت النشاطات فيه كافة، وبعد عدة ساعات خرجت لتحصل على بعض الهواء وكوبٍ من القهوة في الكافيتريا الملحقة بالمبنى المقام به المهرجان عندها فوجئت بعلاء يمشي باتجاهها وابتسامة عريضة ترتسم على مُحَياه، ابتسمت هي الأخرى بخجلٍ وأحست بالحرارة تلفح وجنتيها ولكن للحظةٍ انتبهت لنفسها وارتسمت على وجهها معالم الجِد والرزانة، وصل إلى طاولتها وحياها بلهفةٍ قائلاً:

ـ أعتذر عن عدم استقبالي لكما في محطة القطار فأنتِ تعرفين الأحوال هذه الأيام مضطربة للغاية وخصوصاً في الصعيد.

ردت بهدوء لايشي بما بداخلها :

ـ أرجوك لا تعتذر ، أدري أن عملكم صعب للغاية وخصوصاً تلك الأيام وعمر قام بالواجب وأكثر.

عبر وجهه تعبير الضيق مما قالت ومن هدوئها الظاهر، فهو لم يكن يتوقع هذا الحوار الجامد!

حاول ألا يظهر الضيق الذي بداخله وخصوصاً للفظها اسم عمر بدون ألقاب وقال:

ـ أنا الآن على استعداد لأخذكِ للقيام بجولة في المدينة أنتِ و"رنا" إذا كنتِ قد انتهيتِ من هنا.

قالت:

@ART_OF_BOOK

أمامي فقط نصف ساعة لتغطية مؤتمر صحفي لأحد الفنانين وأكون قد انتهيت، لقد أخبرتني "رنا" بأن عمر سيمر عليها للذهاب لـ "معبد الكرنك".

_ حسناً سأنتظرك حتى تنتهي ونقابلهما للغداء.

ابتسمت موافقة وانصرفت تاركة إياه ينظر في أثرها بصمت.

***

جلست رنا على أحد أحجار باحة "معبد الكرنك" تتفحص الفيديو الذي صورته على تليفونها من داخل القصر وبجانبها جلس عمر بصمتٍ يفكر ، وفجأة هبت واقفة وهي تصرخ :

_ وجدته .. لقد وجدت المخبأ يا عمر !

نظر لها بغير تصديق :

_ مستحيل كيف وجدته؟ وكيف تعرفين أصلاً بأنه المخبأ ؟

أشارت له إلى شاشة الهاتف وقالت :

_ انظر لقد أخذت فيديو الصورة القديس في اللوحة وهو يرفع يده، الآن انظر إلى اتجاه اليد إلى أين تشير؟ إلى تحت الدرج حيث هناك لوحة لصليب كبير مطعم بمشغولات من الحديد هل رأيت؟

نظر عمر إلى الفيديو ثم نظر لها بدهشةٍ قائلاً:

_ لقد كنت أعلم أنكِ ذكية يا "رنا" ولكني لم أتوقع تلك الدرجة من الذكاء، عندكِ حق

@ART_OF_BOOK

الأوراق مخبأة خلف الدرج ولكن كيف لم يكتشفها المجرمون بفرض أن لديهم كل تلك التكنولوجيا ؟!

نظرت له بحيرة قائلة :

ـ لا أدري يا عمر فهناك لغز في الموضوع بفرض أنهم من نتوقع قيامهم بالجريمة ومن وضعوا كاميرات بالمكان فلا بُد من أنهم مسحوا القصر بالأشعة للبحث عن مخابئ.

واستطردت بضيق :

ـ ولكن ما الفائدة؟ فالقصر مليء بكاميرات مَخفِية ولا نعرف عددها أو مكانها.

نظر لها مفكراً:

ـ بسيطة سنستعمل جهاز تشويش واستطيع الحصول عليه من صديق لي مهتم بتلك الأمور، ولكن أتعرفين، أخشى أنهم يستنتجون من ذلك حصولنا على الأوراق ويبدؤون بالتحرك وبذلك نتعرض للأذى.

صمت الاثنان يفكران وبعد برهة قالت "رنا" بابتهاج: لدي فكرة، وسردت عليه الخطة التي أعدتها هي والدكتور عبد العظيم من قبل في حال عثورها على المخبأ.

بعد ساعتين في مطعم على ضفاف النيل...

جلس الأربعة تحت شمس الصعيد الحارة في الربيع وكان الغضب على وجه علاء يشي بما يناقشونه...

ردد علاء بغضبٍ:

@ART_OF_BOOK

انسوا ما تخططون له! لن أسمح بأن أضع حياة أي أحدٍ في خطر مرة ثانية، يكفي ما حدث المرة السابقة يا عمر لقد كنت على وشك أن أفقدك وكان التسرع في مواجهتهم خطأي.

نظر إليه عمر بعتابٍ وقال :

ـ لقد أُخِذنا على غِرة المرة السابقة، ولكن هذه المرة سوف نكون مستعدين وكل خطواتنا مدروسة.

ردت "رنا" بإلحاح :

ـ لو طبقنا خطتنا بكل دقة صدقني لن يستطيعوا اكتشافنا .

أكمل عمر :

ـ ولا تنسيَ أن (سامحً) من أفضل الفنيين المتخصصين في التكنولوجيا الذين تعاملنا معهم، وفي الوقت نفسه لن يسأل عن تفاصيل العملية؛ لأنه يعلم جيداً سِرية العمليات لدينا فقط ينفذ ما يطلب منه، ثانياً: لا نستطيع الآن بعد أن وصلنا وأصبحنا على بُعد خطوة أن نترك الموضوع الذي راح ضحيته ثلاثة أشخاص!

نظر علاء إلى "ريم" واستغرب صمتها فقال :

ـ لماذا أنتِ صامتة؟ هل توافقين على كلامهم؟

ـ لا ولكن بفرض أننا وجدنا الأوراق ماذا سنفعل بعدها؟ ألا تعتقدون أن هذا أخطر من محاولة البحث نفسها؟

رد علاء بحزم:

@ART_OF_BOOK

إذا عثرنا على الأوراق ستُسلم طبعاً إلى الجهات المسؤولة لا جدال في ذلك، لكن ما الذي جعل هذا السؤال يمر على خلدك من الأساس؟!

قالت بحزن:

ـ هل تعتقد أن من فعل ذلك لمجرد البحث عن تلك الأوراق، وقتل كل من يقف في طريقه ماذا سيفعل لمن يجدها؟ أو يعرف بوجودها فعلاً؟ أو السماح بتسليمها إلى الدولة.

وجم الجميع وصمتوا فجأة فقد كان كل ما يمر بخواطرهم هو الحصول على الأوراق وحل لغزها، ولكن الآن فعلاً أصبح العثور عليها أخطر من مرحلة البحث عنها !

ردت "رنا" وعينها تلمع بخبث :

ـ في هذه الحالة سنجدها وسيجدها هم أيضاً ونظرت إلى عمر.

نظر الاثنان إليهما بحيرة ولكن "رنا" صمتت بغموض.

في المساء ذهب عمر إلى منزل سامح الذي يقيم في شقة صغيرة بمفرده في إحدى المباني المطلة على النيل، جلسا في الشرفة وسأله عمر:

ـ سامح أريدك في مهمة خاصة ولكن سِرية للغاية!

رد سامح :

ـ ماذا تعني بخاصة؟ أليست تابعة لجهاز الشرطة؟

ـ لا هي مهمة رسمية طبعاً ولكن سرية للغاية، ولا نريد أن تُعرف بين الأفراد في القسم لأسباب أمنية .. فهمت ؟ وبدون أسئلة!

فهمت .. وما المطلوب مني بالضبط ؟

تشويش على كاميرات مراقبة.

رد سامح :

_ كاميرات مراقبة! أين؟

_ داخل منزل "توفيق باشا".

نظر له سامح مندهشاً لكن عمرَ عاجلهُ قائلاً:

_ سأشرح لك كل شيء، ولكن لأوضح لك الأمر أنا لا أريد لمن يراقب بالكاميرات أن يعرف أن هناك تشويشاً، ولكن أريد أن تثبت الصورة لوقت معين بحيث إن ما يحدث في هذا الوقت لا يظهر للمراقبين ... أفهمت؟ هل تستطيع ذلك ؟

نظر إليه سامح بسخرية:

_ أكيد فهمت فهذه لعبتي وشيء بسيط بالنسبة لي ولكن لفعل ذلك لا بُد من وضع جهاز قريب من مجال الكاميرات، أعني أن نضع جهازاً داخل المنزل !

_ لا مشكلة ولكن نريد أن ننجز الأمر غداً، هل تستطيع؟

_ لا مشكلة ولكن عليك وضع الجهاز اليوم وسأكون بالسيارة في الخارج كي أجهز معداتي وأدخل على نظام الكاميرات.

***

في اليوم الثاني عصراً جلس عمر و "رنا" على أحد الأحجار في البهو الخارجي للمعبد

@ART_OF_BOOK

وهما في انتظار مكالمة من سامح ليخبرهما بأنه استطاع السيطرة على الكاميرات والميكروفونات داخل القصر ليبدؤوا التحرك والدخول من الجهة الخلفية للقصر. وسيكون سامح بانتظارهما هناك، كما أن علاء و"ريم" في سيارة لمراقبة القصر من الجهة الأمامية تحسباً لأي دخلاء.

بدا على عمر التوتر بينما "رنا" بالمقابل في حالة من الهدوء الغريب !

تكلمت "رنا" بهدوء ناظرة إلى عمر :

ـ ما يثير استغرابي يا عمر هو موافقتك على خطتي وخطة الدكتور "عبد العظيم" وأنت الشخص الجاد الحازم في عملك فلِمَ وافقت؟ وبصراحة !

نظر لها بجدية ثم نظر لأسفل حيث كان يرسم دوائرَ بقدمه على الرمال !

ـ أتعلمين لِمَ دخلت كلية الشرطة ؟ لقد كان حلمي منذ الصغر هو دخول كلية الهندسة وفعلاً كنت متفوقاً في دراستي، حتى اليوم الذي كنت في العام الثاني من المرحلة الثانوية، يومها انقلبت كل حياتي رأساً على عَقِب؛ كانت لَدَي أخت أكبر مني بأربع سنوات وكانت في السنة الثانية من كلية الصيدلة، كانت كالملاك، وفي يوم من الأيام تأخرت في العودة من كليتها وأراد أبي أن ينزل ليبحث عنها من شدة قلقه عليها، لكن قبل أن ينزل تلقى اتصالاً يفيد بأن أختي أصيبت في حادث سيارة وهي تعبر الطريق وهي بالمستشفى في حالة خطرة، عند وصولنا إلى المستشفى أخبرونا بأنها ماتت وأن السيارة التي صدمتها هربت ولم يستطيعوا الإمساك بها ولكن كان هناك شهود رَأَوا رقم السيارة وماركتها ولونها بوضوح، ولكن اتضح أنها مِلكُ ابن رجل أعمال كبير ! وطبعاً تم عمل محضر مفبرك بتاريخ قديم بسرقة السيارة وخرج ابن رجل الأعمال من القضية! مع أن الشهود أدلوا بأوصافه وتعرفوا عليه، ولكن حسب

القانون لم يستطع أحد أن يمسهُ، عندها عرفت أنه ليس المهم أن يطبقَ القانون ولكن التغلب على ثغراته، إنها حرب مع القانون وضده في الوقت نفسه.

نظرت بحزن وبدأت تقول:

_ آسفة لأني جعلتك تتذكر كل....

لكنها لم تكمل كلامها لأن جرس الهاتف رَن مقاطعاً حديثهما، كان سامح يخبرهما بأنه انتهى ولا بد من أن يسرعا لأن الوقت محدود.

هُرِعَ الاثنان إلى الباب الخلفي للبيت حيث وجدا (سامح) يدخن وهو يجلس على إحدى درجات السلم المؤدي إلى باب المطبخ مرتدياً ملابس تظهره كسائح...

تلفت عمر حولهم وأخبر سامحاً بأن يخبر علاءَ كونهم بالداخل وأنزل قناعاً أسودَ على وجهه هو و "رنا" ودخلا من الباب بسرعة وسامح في أثرهما يقول بصوت خافت:

_ أمامكما عشرون دقيقة من لحظة دخولكما فلتسرعا.

دخل عمر و"رنا" متجهين ناحية أسفلِ الدرج حيث لاحظت "رنا" مجسم الصليب الحديدي على الجدار صغير المساحة، مَدت يدها تتحسس الحواف المعدنية فوجدت بروزاً دقيقاً كرأس الدبوس في حافة الناحية العليا فضغطت عليها بقوة إلى الداخل؛ فانزلق الحائط للخارج بصرير ضعيف دافعاً طبقة من ورق الحائط الذي كان يغطى المساحة أسفل الصليب، التفتت إلى عمر الذي مد يده بسكينٍ صغير حاد ومر على حواف البروز حتي قطَع الورق، عندها استطاع أن يدخل السكين بين الحائط وذلك الغطاء حتي انزاح لأعلى مُصدِراً صوتَ صريرٍ عالٍ وناثراً طبقة من الغبار في الجَو كاشفاً عن فجوة صغيرة لا تسمح إلا لطفلٍ صغير أو شخصٍ نحيفِ الجسد بالمرور عبرها.

@ART_OF_BOOK

نظرت "رنا" إليه وقالت بخفوت :

_ فلتوجه ليَ ضوء الكشاف للداخل.

بدأ عمر بالاعتراض قائلاً:

_ نحن لا نعرف ما الممكن أن يكون بالداخل، من الممكن أن يكون المكان مليئاً بالحشرات أو ممكن الثعابين !

ردت "رنا" بحزم:

_ لا تقلق سآخذ حِذري، لا تقل إننا بعد أن وصلنا إلى هنا سنخاف ونعود.

وانزلقت داخل الفجوة وأمسكت كشافها بفمها لينير الطريق أمامها.

كانت تحس بالإثارة تكاد تنهش قلبها الذي أصبحت دقاته تسابق بعضها بعضاً، زحفت من خلال مكان ضيق وجرحت ذراعيها من جراء احتكاكها بحائط الفجوة الضيقة وبعدها وجدت نفسها في غرفة مربعة أبعادها "متر في متر" أو أكثر بقليل استطاعت أن تجلس القرفصاء وتنظر حولها بتمعن.

وجدت العديد من الصناديق الصغيرة المصنوعة من الرصاص و المصفوفه بجانب الجدار، بدأت تفتحها واحداً تلو الآخر فوجدت في أحدها تمثالاً برأسٍ خشبي جميل الملامح ملونٍ لإمرأة وصندوقين يحتويان على أوراق وملفات قديمة والصندوقان الآخران وجدت بها خمس لفائف بردي ملفوفة بحرصٍ داخل لفائف من الكِتان القديم وموضوعة في حقيبة قماشية من القطن أما آخر صندوق فوجدت ورقة بردي وحيدة مع تمثالٍ ذهبي فرعوني صغير، نادت على عمر بصوتٍ هامسٍ:

عمر مرر لي الحقيبة القماشية.

مد عمرُ يده بالحقيبة قائلاً:

_ اسرعي يا "رنا" فليس أمامنا وقت طويل.

تناولت "رنا" الحقيبة وأفرغت ما فيها داخل الصندوق وملأتها بأوراق البردي مع لفائفها الكتانية والتمثال الصغير والتفتت لتخرج ولكن عندها توقفت ثم رجعت مرة أخرى لترى الصناديق المحتوية على أوراق مكتوبة بخط اليد وأسرعت بأخذ ملفين.. أثار فضولها ما كُتِبَ على غلافهما، أغلقت الحقيبة جيداً وزحفت إلى الخارج.

مد عمر يده ليساعدها وعندما عبرت الفجوة قامت تنفض عنها الغبار الملتصق بثيابها ونظرت إليه قائلة :

_ هذا الرجل كان قمة في الذكاء!

نظر لها مستفهماً ولكنها قالت له على عجل:

_ دعنا نخرج من هنا أولاً وسأشرح لك.

هُرِعَا خارجَين من الباب الخلفي نفسه، فوجدا "سامحَ" في انتظارهما وهو يحمل حاسوبه.. وأشار بيده علامة أن كل شيءٍ على أحسن ما يكون؛ وبدون أية كلمة انصرف عمر و"رنا" إلى سيارتهما وسامح إلى سيارته في الناحية الأخرى.

نظرت "رنا" ناحية عمر وقالت له لاهثةً من فرط الإثارة:

_ هل تعلم أن الغرفة مبطنة من الداخل بالمعدن ؟!.. وأعتقد على الأرجح أنه الرصاص ولذلك لم يستطع من قام بفحص الفيلا الوصول للمخبأ !

رد عمر بدهشة:

_ ولكن كيف له في ذلك الوقت أن يعلم عن أجهزة الكشف الحديثة ليبطن الغرفة بالرصاص ؟!

_ لا أدري يا عمر من الممكن لجعل الصوت مصمتاً عند الطرق على الجدار أو أعتقد أنه بذلك يؤمن مكاناً مناسباً لحفظ الآثار والأوراق من التلف، في الحالتين ما فعله كان في مصلحتنا من الآخر، فلتتصل بعلاء الآن وتخبره بانتهاء المهمة.

كان علاء و "ريم" يجلسان في السيارة أمام باب القصر وهما صامتان حتى رَن جرس الهاتف، أجاب علاء واستمع إلى الطرف الآخر وبدون أية كلمة أغلق الخط وأدار السيارة وانطلق!

التفتت " ريم" ناحيته متسائلة:

_ هل انتهى الموضوع؟

هز رأسه بالإيجاب بدون أن يتكلم وهو ينظر إلى الأمام !

كان علاء من داخله يتميز غيظاً فقد كان يريد أن تقوم السلطات بالموضوع وتسلم الأوراق رسميا إلى وزارة الآثار وينتهي هذا الكابوس بالنسبة لهم، فقد كان يريد أن يركز على علاقته بـ"ريم" بعيداً عن المطاردات والجرائم ولكن تهور "رنا" ومساندة عمر لها وموافقة "ريم" ومن ورائهم أفكار دكتور "عبد العظيم" المجنونة جعلته يقف وحيداً في موقفه هذا وبالتالي الموافقة على أن يدخل كل من رنا وعمر إلى المنزل والعثور على المخبأ، والتأكد من وجود الأوراق وبعدها يقوم بإبلاغ المسؤولين للحضور والكشف عن الأوراق المخبأة وتسليمها علناً إلى وزارة

الآثار، فهو يرى أن ذلك يبعد الخطر عن "ريم" ويعرف من يطاردها أن الأوراق ليست بيدها الآن.

اجتمع الأربعة للعشاء في المطعم الذي يطل على مياه النيل الكريستالية بسريانها الهادئ تحت ضوء القمر، جلست "ريم" صامتة فقد انتهت المغامرة كما تسميها "رنا" وانتهت الصلة التي تربطها بعلاء ومن الممكن ألا تراه بعد الآن! ليس من الممكن بل الأكيد، أما علاء فقد كان يفكر بطريقة تجعل دخول البيت والبحث فيه حتى يتسنى لهم العثور على المخبأ طبيعياً بدون أن يكون هناك شبهة أمام رؤسائه، أما "رنا" وعمر فقد كانا متوترين كمن ينتظر خبراً ما وطفق عمر ينظر إلى هاتفه كل دقيقة وكذلك "رنا"، خيم الصمت على الجلسة حتى أتى الطعام وبدؤوا بالأكل بذهنٍ شاردٍ... أتت رسالة إلى تليفون عمر فابتسم ونظر إلى "رنا" وقد اتسعت ابتسامته وأومأ لها برأسه فابتسمت بدورها وزفرت بارتياح وبدأ الاثنان يأكلان بنهمٍ ! وكأن هذا الخبر قد فتح شهية كليهما، أما الآخران فلم يلحظا تلك الإشارات لانشغال كل منهما بمشكلته.

بادر علاء بضيق:

ـ فليقل لي أحدكما الآن كيفية إقناع السلطات بدخول المنزل وفحصه حتى يعثروا على المخبأ بطريقة عادية غير مثيرة للشبهة !

نظر الثلاثة إلى بعضهم في صمت إلى أن قالت "ريم" :

ـ ألم تقل إن كل محتويات المنزل قد أوصى المُلاك بها كتبرع للكنيسة فلِمَ لا تتصل بهم للقدوم للحصول عليها ؟

رد علاء :

أجل لكن لا بُد من إجراءاتٍ لحصر التركة ومن ثم توزيع التركة حسب وصيتهم.

رد عمر :

ـ بسيطة لِمَ لا نتصل بمحاميهم للحضور لعمل جردٍ لمحتويات المنزل بما أن القضية قد أُغلِقَت؟

رد علاء بحماس :

فكرة جيدة سأتصل بمحاميهم وليحصل على إذنٍ قضائي وسأخبره بسرعة ذلك نظراً لمحاولة الاقتحام قبلاً.

عندها بدأ الثلاثة في حالة معنوية مرتفعة .. ما عدا "ريم" التي ظلت صامتة على غير العادة!

بعد عدة أيام انتشر الخبر في الصحف والميديا بالعثور على مخبأ يضم العديد من القطع الأثرية في فيلا "توفيق باشا" وتسليمها إلى هيئة الآثار.

***

كان "فكري عبد السلام" من أقدم أمناء مخازن مصلحة الآثار وقد أفنى أكثر من ثلاثين عاماً في مجال حفظ وترتيب وتسجيل الآثار في المخازن والآن أمامه عدة أشهر قليلة ويُحال إلى المعاش، كان لديه أمل أن يمدوا له في خدمته بعض الوقت حتى يستطيع أن ينتهي من إكمال جهاز ابنته الكبرى وإكمال تعليم أخواتها سيكون ذلك بمشقة وتعب ولكن وقتها سيكون بذل أقصى جهده في سبيل أولاده، لكن بعد الثورة والظروف التي تمر بها البلاد لا يعتقد أن ذلك سيحدث أما الآن أصبحت أمامه فرصة كبيرة في ظل تلك الفوضى وحالات

@ART_OF_BOOK

اقتحام المتحف ومخازن الآثار فلن ينتبه أحد لعدة أوراق بردي مفقودة، وخصوصاً أن من يريدها سوف يدفع فيها مبلغاً كبيراً، سواء له أو لغيره ولن يشك فيه أحد فهو معروف بنزاهته طوال فترة عمله في المصلحة وكم عُرضت عليه مبالغُ من المال في نظير قطعِ مهملة من المخازن ولكنه كان يرفض بشدة ، كان لا يريد أن يدخل جوف أولاده لقمة حرام كما كان يقول في الوقت الذي كان يري غيره من الزملاء يتمتعون برفاهية العيش ولا يجرؤ أحد على أن يحاسبهم أو يسألهم من أين لهم هذا، الجميع يعرفون والجميع يغضون الطرف، هي شبكة متشعبة والكل فيها مستفيد من أكبر رأس إلى أصغر عامل في المصلحة، فلِمَ لا يستفيد هو الآخر؟ هل نفعه إخلاصه وأمانته وهو يركض بين أروقة المستشفيات الحكومية ليحصل على جلسة غسيل كُلَى لزوجته، ويقترض من القاصي والداني ليغطيَ تكاليف العلاجِ، وابنته التي طالت خطبتها وأصبح خطيبها متململاً من طول المدة نظراً لعدم انتهائهم من شراء باقي الجهاز، لقد هدد بفسخ الخطبة ما لم يتم الزواج في خلال عدة أشهر.

لم يكن من ضمن اللجنة التي تسلمت القطع الأثرية التي عُثر عليها في فيلا "توفيق باشا" بالأقصر ولكنه حاول باستماتة ليكون موجوداً وقت حفظها في المخازن ومعرفة أي مخزن ستوضع به وتحت أي رقم، من تواصلوا معه كانوا يعرفونه جيداً، يعرفون مواعيد دخوله وخروجه، يعرفون كل شيء عن عائلته، وكان الإتفاق هو : تحضر الأوراق ستأخذ أربعمائة ألف من الجنيهات أو كما هددوه بشكل غير مباشر أو تفقد ابنك والخيار لك. هل كان أمامه طريق آخرُ؟ بالطبع لا، في هذه المرحلة البائسة من حياته لا يحتاج للتهديد لتنفيذ ذلك، أهم شيء الآن الحصول على المال، ولتذهب المصلحة بكل ما فيها إلى الجحيم فهم لن يمددوا له في خدمته كما عرف، والآن كل ما عليه هو أخذ الأوراق وشطب أرقامها من السجلات! وحتى لو اكتشفوا الموضوع سيكون هو بعيداً عن الشك!

@ART_OF_BOOK

ذهب إلى المقطم في سيارته المتهالكة ووقف في المكان الذي وصفوه له، انتظر عشر دقائق، بعدها أتت سيارة رباعية الدفع سوداء وفُتِحَ البابُ بجانب الكرسي الذي بجوار السائق ودعاه صوت خشن للدخول، جلس بجانب السائق الذي لم يستطع تبين ملامحه في ظلام الشارع والسيارة ولكنه انتبه لشخصٍ ضخم الجثة يجلس في الخلف قال الرجل الذي يجلس أمام المقود وهو ينفث دخان سيجارته ذا النكهة الثقيلة: هل أحضرت الأوراق ؟ رفع الحقيبة المحتوية على الأوراق ومد يده بها إليه، لكن الرجل لم يحرك ساكناً ليأخذها ولكن أشار برأسه إلى من في الخلف ليأخذها فمد يده من الخلف وأخذ الحقيبة بغلظة ومن ثم فتحها ليعد خمس ورقات بردي بحذرٍ حتى لا تهترئَ وعندها تلفظ بكلمة تمام كما تخرج من أعماق بئر سحيقة، ومد يده بحقيبة جلديه تحتوي على النقود صَوبَ فكري الذي انتشل الحقيبة من يده بلهفةٍ وفتحها ليعد الأوراق النقدية الجديدة ولم ينتبه لحركة الرجل من خلفه إلى أن شعر بملمس السلك المعدني البارد يلتف حول عنقه، وبسرعة أحس بالضغط على عنقه مغلقاً مجرى الأكسجين إلى رئتيه! حاول أن يقاوم بيديه ولكن كان السلك كمن التصق بجلده حينها شعر بالرجل الجالس بجانبه يخرج من السيارة ويغلق الباب ليدخن سيجاره الفاخر في الهواء الطلق الذي عَز عليه الآن، أخذت قدميه تضربان في أجزاء السيارة بعنف وبدأ الضباب الأحمر يغشي عينيه قبل أن يدخل في الثقب الأسود الذي لا عودة منه وعلى فمه كلمة واحدة ... لماذا ؟

بعد أن أسلم فكري الروح بدقائق دخل الرجل ذو السيجار الفاخر مرة أخرى إلى السيارة وهو يهز رأسه ويعاتب ذلك الغوريلا الآدمي الذي يقبع في الخلف في هدوء وكأنه لم يخنق شخصاً منذ دقيقة بل وضحيته لا تزال تقبع أمامه وعيناها مفتوحتان:

_ لا أعلم لِمَ تصر على خنقهم بهذه الطريقة كل مرة؟! ألم يكن من الأسهل أن نخدرَه

قبلها حتى لا يقاوم ؟!

رد عليه ببلادةِ من أخذ مخدراً للتو :

ـ لكن أين المتعة في ذلك؟!

نظر له الرجل وهز رأسه وتنهد وابتسم ابتسامة خفيفة كمن يقول: لا فائدة في الحديث معك ثم أدار السيارة ونظر إلى جثة فكري نظرة طويلة وانطلق بالسيارة في ظلام المقطم حيث سيتخلصون من الجثة من أعلى الجبل كالعادة!

جلست "ريم" في الجريدة تتفقد الأخبار المتداولة على مواقع "السوشيال ميديا" وتتابع حالة الانفلات الأمني التي تغزو الشارع المصري في هذا الوقت والتخبط السياسي الذي يعم الأرجاء، كانت في تواصل مستمر مع علاء للاطمئنان عليه حيث إنه بعد العثور على الأوراق وتسليمها بدأت علاقتهما تأخذ منحنًى آخر، حيث أصبح من الواضح أن ارتباطهما رسميا يعد مسألة وقت، عندها فوجئت بخبر عن اختفاء قطع من مخازن المتحف المصري وأنه جارٍ التحقيقُ في الحادث، يا إلهي ! لا تجعل ما تفكر فيه الآن حقيقة، هل كانت نظرية الدكتور "عبد العظيم" صحيحة؟ وأنهم لن يكفوا عن المحاولة حتى يحصلوا على غايتهم؟! لو كانت الأوراق هي التي سُرِقت فمعناه أن ثلاثة أرواح قد سفكت دماؤها وضاع حقها هدراً! لكن لم يخطر ببالها أنهم أصبحوا أربعة بالفعل منذ زمن قريب، رَن هاتفها وجدت أختها تتصل فردت بسرعة متسائلة:

ـ خير يا "رنا" هل حدث شيء؟

ردت "رنا" بصوت ضاحك:

ـ ما بالك يا "ريم"؟ أصبحتِ متشائمة على الدوام وذات مزاج سوداوي!

@ART_OF_BOOK

ردت "ريم" بنفاد صبر :

ـ دعك من أسلوبك المستفز هذا، لماذا تتصلين الآن؟ ماذا تريدين؟

ـ لا شيء لكن اليوم سوف نتناول الغداء عند الدكتور "عبد العظيم"، وسنذهب أنا وأمي وسوف ننتظرك هناك.

هزت "ريم" رأسها موافقة وقرنتها بكلمتين :

ـ حسناً سأقابلكما هناك.

وأغلقت الهاتف بسرعة.

قرعت جرس الباب ففتح الدكتور بنفسه وهو يرتدي نظارته المميزة وملابسه ذات الذوق العتيق الذي يأبى أن يغيره.

بادرها قائلاً بابتسامة:

ـ لقد تأخرتِ وكنا على وشك تناول الطعام بدونك !

دخلت معتذرة على التأخير، وجدت أمها وأختها جالستين على المائدة والطعام أمامهم ولكن الواضح أنهم لم يبدؤوا بعد كما قال الدكتور.

جلست معهم وهي تحاول أن تتناول الطعام ولكنها لم تستطع إلا ابتلاع القليل، كانت "رنا" تنظر إلى الدكتور بنظرات خَفِية وهو يهز رأسه بمعنى.. أعلم!

عند انتهائهم من تناول الطعام ساعدت "رنا" أمها في تنظيف البقايا عن المائدة عندها نظر الدكتور "عبد العظيم" إلى "ريم" قائلاً:

@ART_OF_BOOK

أريد أن أتحدث معك فلنذهب إلى غرفة المعيشة.

قبل أن يجلسا قالت "ريم" بعصبية:

ـ هل علمت أن الأوراق قد سُرِقَت من المخازن؟ وسجلت على أنها قضية سرقة آثار عادية من مخازن المتحف كما حدث مع الحادثتين من قبل في المتحف !

نظر لها وهو جالس بهدوء وقال:

ـ علمت .. اجلسي وسأخبرك بشيءٍ .

نظرت له مستغربة الهدوء الذي يتحدث به وهو أكثر من يعلم أهمية تلك الأوراق التاريخية ثم جلست أمامه بملل.

قال بحزن:

ـ أنتِ لا تعرفين أن هناك روحاً أخرى أُزهِقَت في سبيل تلك الأوراق أو بالأحرى بسبب الطمع، لقد علمت أنهم عثروا على جثة أمين مخازن ملقاة في المقطم، قد خُنِقَت وعُرِيَت ورموها من أعلى الجبل، وبعدها اكتشفوا اختفاء الأوراق من المخازن، ألا ينبئك هذا بشيءٍ ؟!

ردت "ريم" بحيرة:

ـ لكن لم يكن هناك خبر في الصحافة عن ذلك، حتى أنهم لم يعلنوا عن مهنة الجثة التي وجدوها في المقطم منذ أيام !

ـ ماذا تريدينهم أن يقولوا ؟ إن أحد أمناء المخازن الذي أمضى ثلاثين عاماً في الهيئة وكان على بُعد أشهر قليلة من التقاعد قد سرق الأوراق وكان يبيعها لأشخاص قد غدروا به وقتلوه ؟!

@ART_OF_BOOK

بالطبع لا، وقد قامت السلطات بالتعتيم على الحادث حتى العثور على الجناة وأشك في أنهم سيجدونهم كما حدث قبلاً! أنتِ تعرفين أن البلاد في خِضم أحداثٍ جسام وهم ليسوا في حاجة للإعلان عن انعدام الأمن وسرقة آثار من مخازنهم وأن كاميرات المراقبة لديهم معطلة.

ردت مندهشة:

ـ ولكن كيف عرفت كل هذا ؟

ـ لِمَ الاستغراب فأنا أمضيت عمري كله في هذا المجال ولي كثير من الزملاء والمعارف لا يزالون يعملون هناك وأخبروني بكل التفاصيل.

ردت بحزن:

ـ والآن وصلنا إلى نقطة الصفر يا دكتور ! وضاعت الأوراق التي راح ضحيتها أربعة أشخاص للآن.

كانت "رنا" وأمها قادمتين إلى غرفة المعيشة عندما نظر الدكتور إلى "رنا" وابتسم:

ـ هل تعتقدين ذلك؟..

ونظر إلى "رنا" ضاحكاً بخبثٍ:

ـ هل نقول لها؟

ردت "رنا":

ـ فلنقل لها لأنها على وشك أن تدخل في نوبةِ حزن الآن!.. وأعتقد أنني وأمي لا نستطيع تحملها في هذا الوقت.

@ART_OF_BOOK

رد الدكتور قائلاً بجدية :

اسمعيني يا "ريم" جيداً ولكن قبل هذا أريدك أن تعديني بألا تغضبي من أختك لقد فعلت كل ما طلبته منها ولقد اتضح الآن أنه الأفضل، لقد طلبت من "رنا" أن تبدل الأوراق بأوراقٍ أخرى كانت لَدَي! هي بالفعل أثرية ولكنها ليست بذات أهمية ما عثرنا عليه، وقد كانت تحملها معها في حقيبتها وطلبت منها ألا تستخدمها إلا في حالة العثور فعلاً على الأوراق المنشودة، وقد أخبرتها بأن تخفي عنكِ هذه الخطة لأننا نعلم أنكِ سوف تخبرين النقيب علاء.

وابتسم ونظر إلى "رنا" التي كانت تخفي ضحكتها وتتظاهر بالجدية كي لا تغضب أختها.

نظرت لهما "ريم" بغضب:

ـ هل فعلتما كل ذلك من وراء ظهري ؟! ولكن لماذا تخفونه عن علاء فهو معنا منذ البداية ويعلم جيداً ما نواجه .

عقد الدكتور ذراعيه أمامه وهو ما زال مستريحاً في جلسته:

ـ لسببين يا "ريم"؛ أولاً : علاء من النوع الصريح الذي يقدس مهنته وواجبه تجاهها، لذلك لن يوافق على ذلك باعتبارنا سنسرق هذا الكنز من الدولة وهو ما كان سيرفضه.

أما ثانياً: وهو الأهم هو يرى من وجهة نظره أن اكتشاف الأوراق والإعلان عنها وإزاحة تلك المسألة بعيداً عنكِ يبعد عنكِ الخطر ويجعلهم يتأكدون من أنه ليس لكِ علاقة بها فيبعدون عنكِ وعن أسرتكِ.

تنهدت بعمق قائلة :

@ART_OF_BOOK

ولكن كيف أبدلتهم رنا وقد كان عمر معها.

ثم سكتت برهة مفكرة وأخيراً نطقت بعصبية وهي تهب واقفة:

ـ لا لا لا ! .. لا تقل إن عمر كان على علمٍ بما حدث.

نظر لها الدكتور عبد العظيم" بهدوء مشيراً لها بأن تجلس قائلاً:

ـ لم يكن على علم فقط ولكن ساعد في الخطة أيضاً، هل تعتقدين أن "رنا" كانت لتستطيع فعل ذلك بمفردها ؟ وكيف تعتقدين أن الأوراق قد وصلت لي بينما كنتم بالأقصر لقد أرسلها عمر مع إحدى السيدات كذلك مع كمية من "الفطير" والقشطة الرائعة، وقد عرفت بعدها أنها زوجة أحد المخبرين العاملين معه وقدم معها زوجها بالقطار وكانت الأوراق والأشياء الأخرى مخبأة بالسبَت مع الفطير.

وبدأ يضحك بسعادة!

نظرت له "ريم" في دهشة مما يقول وسألت :

ـ أي أشياء أخرى... ماذا الآن؟ "رنا" ما الذي يقوله الدكتور أي أشياء أخرى؟

ردت "رنا" بارتباك :

ـ داخل الغرفة وجدت بعض التماثيل صغيرة الحجم وبعض الملفات والأوراق المكتوبة بخط اليد وكانت محفوظة بشكل جيدٍ في صندوق مغلق بعيداً عن الأشياء الأخرى التي كانت بالغرفة فأعتقدت أنها ربما تكون مهمة ويستطيع الدكتور الاستفادة منها !

وضعت "ريم " كفها على وجهها هاتفة :

يا إلهي ! لم نكد ننتهي من أوراق البردي حتى تدخلينا في مشكلة أخرى؟! هذه تعتبر سرقة ألا تفهمين؟

رد الدكتور "عبد العظيم" مهدئاً إياها قائلاً:

ـ بالعكس هل تعرفين أن "توفيق باشا" كان مهتما بالبحث عن مقبرة "نفرتيتي" وقد دون ملاحظاتٍ ونقاطاً مهمة من الممكن أن تدلنا على مكان المقبرة.

جلست "ريم" ناظرة إليهما نافذة الصبر بصمت ثم قالت:

ـ لكن أين الأوراق الآن يا دكتور ؟!

رد عليها بابتسامة هادئة:

ـ في الحفظ والصون لا تقلقي لن يعرف مكانها مخلوق.

ونظر إلى "رنا" واتسعت ابتسامته.

ـ وماذا سنفعل بها الآن ؟ وهي تحوي في طياتها تلك الشرور التي تقضي على كل من يعرف بأمرها وما تحتويه !

ـ لا تقلقي لقد أخذت العديد من الصور لها وبدأت في ترجمتها، وما توصلت إليه إلى الآن لشيء خطير .

وسكت لبرهة ثم نظر إليها قائلاً :

ـ خطير للغاية.

أسندت "ريم" ذقنها على يدها مائلةً على الطاولة وناظرة بتمعن للدكتور قائلة بسخرية :

حسناً وماذا ستفعل بتلك المعرفة الآن؟ هل ستنشر ما ترجمته وبعدها تظهر الأوراق للعلن؟ وتضع نفسك في بؤرة الخطر وتصبح الضحية الخامسة ومن بعدك أنا وأمي و"رنا" وعلاء وعمر أم ماذا يا دكتور ؟!

نظر لها الدكتور " عبد العظيم" قائلاً بهدوء :

_ لا تقلقي، إن إظهار الحقيقة في الوقت الخاطئ لهو نوع من الغباء! والتاريخ يشهد على الضحايا الذين جاهروا بالحقائق في أوقات لم يكن لدى الشعوب الوعي والاستعداد لتقبلها ويكن الوقت المناسب لنشرها.

عندما أتم ترجمة النصوص، ولم يحالفني الحظ لنشرها بكل ما فيها من حقائق فإن لَدَي الكثير من التلاميذ الموثوق بهم لفعل ذلك لا تخشَي شيئاً.

***

جلست "عنخسن آمون" على ضِفةِ النيل أمام الكوخ المصنوع من الخوص الذي تعيش فيه الآن مع المعلم "آني" وزوجته وابنته وخادمتها المخلصة بعد هروبها من براثن الكاهن "آي" الذي كان يخطط لاتخاذها زوجةً؛ ليُكسِبَ موقفه شرعية أمام الشعب ! فالقوانين كانت تسمح للأفراد الذين من عامة الشعب بالحكم إذا كانت زوجاتهم من ذوات الدماء الملكية في حالة عدم وجود وريثٍ شرعي للعرش، هو الآن يحكم البلاد ويمسك بجميع مقاليد الحكم في يده بغياب "حور محب" بمساعدة الكهنة في جميع أنحاء البلاد رغم أنف الشعب، وهي لن تُعطيَهُ شرعيةَ الجلوس على العرش حتى لو ضحت بحياتها. سقطت الدموع الحارة على خديها عندما تذكرت زوجها وحبيبها "توت" وما فعلوه به، كانت الشمس تميل للغروب داخل مياه النيل الصافية التي اصطبغت باللون المائل للبرتقالي كلون قرص الشمس

الذائب بها، انتبهت من أفكارها على صوت خطواتٍ وراءها فالتفتت وَجِلَةً، عندها تنهدت براحةٍ فلم تكن إلا تلك العجوز المبجلة التي يطلقون عليها الأم "كابي" في تلك الأنحاء، كانت لديها خبرة كبيرة في المداواة بالأعشاب والخلطات وقراءة الطالع من الكواكب، كان الجميع يحترمها ويهابها في الوقت نفسه، كانت "عنخسن آمون" تراها في سوق القرية تجلس أمام منضدتها الحجرية وأمامها قوارير زجاجية تحوي الكثير من الأعشاب وحولها نفر من نساء أهل القرية جالسات حولها يستمعن لكلامها ونصائحها.

اتجهت "كابي" ناحية "عنخسن آمون" وعندما وقفت أمامها انحنت لها محيية قائلة :

_ عمت مساءً يا مليكتي الجميلة.

نهضت "عنخسن آمون" من مكانها خائفة قائلة برجفة:

_ ماذا تقولين أيتها الأم الموقرة ؟ أية ملكة؟ فأنا "ساكوتا" ابنة المعلم "بيبي" وأسكن في ذاك البيت المبني من الخوص الذي يقع هناك... وراءك .

جلست الأم "كابي" بجانبها وربتت على يديها قائلة:

_ لا تخافي يا ابنتي في "كابي " تعلم كل شيء ولا تبوح بشيء، فأنا أعلم بكل أحزانك وهمومك فقد رأيتِ من المصائب ما ينوء بحملها من هم أكبر منك سِنا وأكثر قوة ولكن لا تخافي، كنتِ فيما مضى ملكة وستصبحين بالمستقبل ملكة، ومن نسلك سيكون هناك ملوك يخوضون الحروب، ويحكمون الممالك، لكن كل هذا سيكون في البعيد عن أرض طيبة في بلاد بعيدة، ومرتفعات عالية، وستعيشين سعيدة مع زوج محب حتى نهاية حياتك، أما زوجك المغدور "الملك الصغير" فسيكون له شأن عظيم وسيتردد اسمه على كل لسان ويكون زاد رحلته هو الحقيقة التي ستشع يوماً ما وتنير بمصباحها ظلام الأكاذيب، فليحرسكِ الإله

@ART_OF_BOOK

في علياته يا ابنتي..

قالت هذا مبتسمة وهي تقف مستندة على عصاها الغليظة ماضية في طريقها تاركة "عنخسن آمون" تنظر في أثرها وهي مفتوحة العينين فاغرةً فاها من الدهشة، غير قادرة على النطق أو اللحاق بها لتستفسر عما قالته لكنها قالت لنفسها: فليحدث ما يحدث فلتلقِ بي أمواج الأقدار على أية ضِفة من ضفاف الحياة لم أعد أهتم، ونظرت ثانية إلى الشمس التي غرقت الآن بالكامل في مياه النيل لكنها تعي جيداً أنها سوف تعود في الصباح ثانية بالتأكيد.

***

خاتمة توضيحية

دخل بني إسرائيل مصر على يد سيدنا يوسف بعد أن أصبح عزيز مصر في عهد الملك زوسر الأسرة الثالثة كما يقال، استناداً إلى لوحة المجاعة التي رسمت على صخرة في عهد البطالمة، حيث أن الإسكندر الأكبر أراد أن يرد لكهنة آمون اعتبارهم بعد أن اضطهدهم الفرس وفضلوا اليهود عليهم، فطلب الكهنة من الإسكندر أن ينقشوا تلك اللوحة حيث جعلوا فيها من ساعد الملك هو الإله خانوم وليس سيدنا يوسف نبي بني إسرائيل في فكرة بناء الصوامع للحبوب، فمنذ استيطانهم كان لهم مجتمعهم الخاص ومكان سكنهم وعبادتهم وحتى لغتهم بعيداً عن المصريين، وقد حاول اليهود تدمير اللوحة فيما بعد ولكن فشلوا، لذلك نجد بها شق عريض.

عند قدوم الهكسوس إلى مصر لم يكن قدومهم غزواً بل كان استيطان على زمن طويل، حيث كانوا يتاجروا بأشياء لم تكن متواجده في مصر في ذاك الوقت كالزيتون والخيول، وبعدها أقاموا مدينتهم أواريس في الشمال واستفحل وجودهم وصاروا تهديداً للمصريين وملكهم الذي كان في العاصمة طيبة في الجنوب، ومن ساعدهم في ذلك كان العبرانيين جيرانهم في شمال مصر، أي بني إسرائيل، ورغم ذلك كان الهكسوس ينظرون لهم نظرة دونية، نعود الآن إلى ميلاد سيدنا موسى وعثور زوجة فرعون آسيا بنت مزاحم عليه في النيل وتبنيه، معظم الأساتذة في الغرب يصرون على أن فرعون الخروج هو رمسيس الثاني والبعض يصر على أن فرعون سيدنا موسى ليس هو فرعون الخروج، بل ذهبوا إلى أن من كان يقتل المواليد ويستحي النساء كان رمسيس الثاني، ومن طارد بني إسرائيل هو ابنه مرنبتاح استناداً إلى لوح نقش فيه انتصار مرنبتاح على الإسرائيلين، ولكن منذ عام ونصف ثبت خطأ الترجمة واتضح أنها الإزيليين وهو مكان فيه عدة قبائل وليس الإسرائيليين.

لماذا رمسيس الثاني ليس فرعون موسى.

1. لم يذكر في أي بردية أو نقوش على جدران المعابد من عهد رمسيس الثاني أن مر على مصر في عهده أي أوبئة أو هجوم للجراد، بل على العكس كان عهده عهد رخاء وغزوات عدة حتى آخر أيامه مما يدل على قوة الدولة.
2. عند وفاة رمسيس الثاني كان عمره يناهز التسعون عاماً، كما أظهر فحص المومياء الخاصة به أنه كان يعاني من التهاب المفاصل الذي يسبب صعوبة الحركة فما بالك بمطاردة بني إسرائيل لعدة أيام، وأظهر الفحص أيضاً أنه لم يمت غرقاً.
3. كان لدى رمسيس الثاني تسعون من الأبناء فما حاجته لتبني رضيع ألقى به اليم أمام قصره.
4. عندما أمر فرعون هامان أن يوقد له على الطين ناراً ليطلَع إلى إله موسى نعرف أنه لم يكن في عهد رمسيس الثاني؛ لأنِ المعابد والقصور في عهده كانت من الحجارة كمعبد أبي سنبل.
5. كان مقر حكم رمسيس في الجنوب حيث شيد المعابد والتماثيل العملاقة أما رحلة بني إسرائيل فقد بدأت من الشمال حيث دلتا النيل لأنه ذكر أنها كانت خمسة أيام تقريبا ومن ثم وصلوا إلى البحر وبالتالي إذا كانوا بالجنوب لأخذت منهم وقتاً أطول بكثير.

لماذا فرعون هو ملك من ملوك الهكسوس وهو فرعون الخروج؟

1. عندما ذكر اسم فرعون في القرآن ذكر كاسم علم وليس لقباً عندما أمر الله سبحانه وتعالى موسى وهارون بالذهاب إلى فرعون لأنه طغى هل يعقل أن يذكر الله طاغية في كتابه الكريم بلقب تعظيمه.

ما لم يذكر أن أطلق لقب فرعون على أحد من الملوك المصريين بعد هذه الفترة كما

@ART_OF_BOOK

أتت آية يسبق فيها اسم فرعون بحرف المناداة يا" وهو يأتي قبل الاسم العلم وليس اللقب ﴿ اذهَبَا إِلَى فِرعَونَ إِنهُ طَغَى﴾.

2. عندما قال فرعون لأهل مصر أليس لي ملك مصر والأنهار تجري من تحتي.

﴿وَنَادَىٰ فِرعَونُ فِي قَومِهِ قَالَ يَا قَومِ أَلَيسَ لِي مُلكُ مِصرَ وَهَٰذِهِ الأَنهَارُ تَجرِي مِن تَحتِيٓ أَفَلَا تُبصِرُونَ﴾.

كان يقصد بالجمع هنا فرعي دلتا النيل في الشمال، أما حكام مصر في ذلك العصر كان مقر حكمهم في الجنوب حيث العاصمة.

3. لم يذكر في الحضارة المصرية أن هناك من حاكم ادعى الألوهية كما ادعى فرعون، فقد كان لدى المصريين عدد من الآلهة المقدسة وعلى رأسهم آمون.

﴿وَقَالَ فِرعَونُ يَا أَيهَا المَلَأُ مَا عَلِمتُ لَكُم مِن إِلَهٍ غَيرِي فَأَوقِد لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطينِ فَاجعَل لِي صرحاً لعَلي أَطلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِني لَأَظُنهُ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾.

4. أسماء فرعون وهامان وآسيا بنت مزاحم لم تكن أسماء من الحضارة المصرية القديمة وإنما تميل أكثر إلى الحضارة الكنعانية في الشمال أي من حيث أتى الرعاة أو الهكسوس.

وأخيراً فإن الحضارة المصرية القديمة كانت من أرقى الحضارات التي وجدت في القدم، وما زالت شوكة في خاصرة بني إسرائيل الذين يحاولون ربط أي جور أو ظلم وقع عليهم قديماً بها، وأن فرعون الخروج هو مصري بالرغم من كل الدلائل التاريخية والدلائل في كتاب الله العزيز المحفوظ إلى أبد الآبدين.

@ART_OF_BOOK